ظاهرة التطرف
الأسباب والعلاج
بقلم
١٩٩٢

ظاهـــرة التطـرف

(الاسباب والعلاج)

ظاهرة التطرف

الأسباب والعلاج

دكتور

محمد أحمد بيومي

أستاذ ورئيس قسم الاجتماع

كلية الآداب - جامعة الإسكندرية

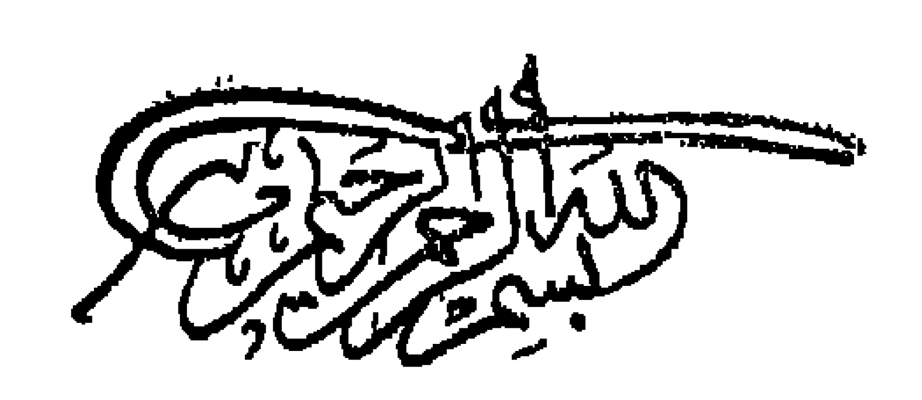
١٩٩٢

دار المعرفة الجامعية

٤٠ شارع سوتير الأزاريطة

الإسكندرية

الفنية للطباعة والنشر
٤٨ شارع جودة - رأس التين - الإسكندرية
تليفون ٨٠٣٤٥



«ادع الى سبيل ربك بالحكمة والموعظة الحسنة ، وجـادلهم بالتى هى أحسن ان ربك هو أعلم بمن ضل عن سبيله وهـو أعـلم بالمهتدين»

صـدق الله العظيم

(القرآن الكريم ١٦ : ١٢٥)

محتويات الكتاب

مقدمة

كان أقوى صوت للعامل الدينى فى ساحة المجتمع المصرى ، هو تلك الرصاصة التى اطلقت باسم «الاسلام» ضد الرئيس أنور السادات وأدت بحياته فى السادس من اكتوبر ١٩٨١ . وبالرغم من أن بعض الباحثين يعتبر «ان حادث الاغتيال كان رمزا لقمة الازمة التى وصل اليها النظام السياسى المصرى ، فمقدمات هذه الازمة بدأت فى اعقاب حرب اكتوبر ١٩٧٣ وارتفعت حرارتها فى احداث يناير ١٩٧٧ ودخلت مرحلة الغليان طوال الشهور التسعة الاولى من عام ١٩٨١» . الا أننا نرى ان الباحث فى تاريخ مصر خاصة بداية هذا القرن يدرك تماما ان التاريخ متصل الحلقات وان كانت ثورة ١٩٥٢ والحركة الاسلامية ــ متمثلة فى حركة الاخوان ــ قد تعاونا بعض الوقت ، فقد كسبت ايدلوجية الثورة جولة ١٩٥٤ وجولة ١٩٦٥ ، الا أن الحركة الاسلامية قد كسبت جولة ١٩٨١ ونهت بذلك جيل ثورة ١٩٥٢(١) .

ومن أوضح الظواهر داخل مجتمع الجامعة اليوم ظاهرة الجماعات الاسلامية ، فلا تخلو كلية من الجامعات المصرية من جماعة اسلامية . ففى أى جامعة من الجامعات «ترى شباب فى عمر الزهور سمات الايمان بادية فى وجوههم ، نفوسهم ساكنة آمنة يملؤها الحماس للاقتداء برسول الله (ﷺ) فى كل شىء .... الكثير منهم اطلقت اللحية والبعض يلبس الجلباب الابيض . يتحدثون فى حماس وصدق مهتمون للمعرفة الاسلامية متعطشون لمعرفة مخططات الاعتداء على الاسلام ، فيجادلون ويناقشون حول الغزو الفكرى للمجتمع المسلم والانهزام الحضارى أمام الحضارات الاوربية التى يسمونها حضارة الجاهلية . يؤمنون ايمانا يقينيا انه ليس هناك غير الاسلام طريقا ومنهجا ونظاما يحقق للبشر سعادتهم فى الدنيا قبل الاخرة ، ثائرون هم على ما تزخر به حياتنا من منكرات جاهلية لا يثقون فى وسائل الاعلام

لانهم يعتبرونها وسائل الغزو الفكرى والغزو الحضارى ويرون فى التليفزيون بالذات معول هدم لمقومات الاسرة المسلمة بما يقدم من برامج»(٢) ٠

ولاشك انه كانت هناك ظروفا بمثابة المناخ الذى ساعد على تفريخ تلك الجماعات ، اقصد مناخ القهر والمطاردة والتشريد والسجن والاعتقال للمنتمين لفكر الدينى ٠ فالحركة الاسلامية فى مصر تعرضت للقهر ٠ فظهور هذه الجماعات هو ، اذن ، «ثمرة للشجرة الخبيثة التى نمت وترعرعت فى هذا المناخ الفاسد الذى ساهم فى ايجاده تخلى العلماء عن واجبهم مما جعل ساحة العمل الاسلامى خالية من العلماء العاملين بعد ان غيبت الحركة الاسلامية خلف جدران السجون بربع قرن من الزمان»(٣) ٠

والظاهرة ليست ظاهرة حالات فردية أو مشكلة افراد اصطدموا بالنظام ولكنها مشكلة متكررة ٠ تظهر فى فترات معينة ، ظهرت فى الاربعينات والسبعينات والثمانينات من هذا القرن ٠

ان ما نامل أن نحققه فى هذا البحث هو رصد معدلات العامل الدينى فى الساحة المصرية وتحديد الاتجاهات الدينية ومسارها وما تحمله من معايير وقيم للعديد من الشباب المصرى والذى يتحمل لواء التغير أو الاعتراض ٠ ونحن فى معالجتنا لهذه الظاهرة ، مؤكدة الالتزام بالتحليل العلمى دون أى حكم قيمى مسبق ، ولهذا فسوف نعتمد على التراث الذى كتب عن هذه الجماعات والتراث الذى كتب عن هذه الجماعات ذاتها ، وذلك حتى تكون الصورة اكثر وضوحا ، ويمكننا بذلك تحديد دور العامل الدينى فى مشكلات التغير الاجتماعى والهوية الحضرية والاعتراض السياسى ٠

والله ولى التوفيق والسداد

المؤلف

تمهيد

اعتبارات نظرية ومنهجية لدراسة ظاهرة التطرف

«التطرف Extremism » فى ابسط معانيه هو الخروج عن القواعد الشفهية (العرف) أو المكتوبة (القانون) والقيم والاطر الفكرية والدستورية التى حددها وارتضاها المجتمع كتحديد لهويته ، وسمح من خلالها بالتجديد والحوار والمناقشة(٤) . وموضوع التطرف قد يكون فكريا أو سلوكيا . ومن ناحية اخرى فالتطرف هو كلا نهايتى مقياس الاعتدال وليس باحدهما فقط . ويتبع التطرف اتجاها عقليا وحالة نفسية تسمى بالتعصب»(٥) Fanaticism الجماعة التى ينتمى اليها . وفى حالة غياب الحوار واللغة المشتركة فان أى الدفاع المتشدد عن المبادىء التى يؤمن بها الفرد أو التى تؤمن بها الفكر أو السلوك «المتطرف» المشحون بصبغة «تعصبية» فغالبا ما ينعزل تدريجيا عن الفكر السائد ، خاصة فى الحالات التى يشعر اصحاب هذا الفكر أو السلوك بتحدى النظام الاجتماعى لهم أو فى الحالات التى يمثلون فيها الاقلية ضد الاغلبية . وقد يصل التطرف الى نهاية مقياس الاعتدال ــ اما بسبب شطط فى الافكار او السلوك أو بسبب اساليب قمعية يقوم بها النظام ضد معتنقى هذا الفكر ــ ويتحول المتطرف من فكر او سلوك مظهرى الى عمل سياسى وهنا يلجأ التطرف الى استخدام وسيلة «العنف»(٦) Vidence لتحقيق المبادىء التى يؤمن بها الفرد او جماعته الدينية أو السياسية أو الفئوية . وعندما تستطيع «الجماعة المتطرفة» ان تحقق بعض الانتصارات . أو تمتلك وسائل العنف والقوة فانها قد تلجأ ــ سواء على المستوى الفردى أو المجتمعى أو الدولى ــ الى استخدام وسيلة الارهاب Tektorism الفكرى أو النفسى أو المادى ضد كل من يقف عقبة لتحقيق اهدافها .

لقد جاء اهتمـام علم الاجتماع بدراسة ظاهرة التطرف انطلاقا من اهتمامه بمشاكل التغير والثورة . ثم تطور هذا الاتجاه فيما بعد وعولجت ظواهر التطرف والعنف كنـوع من «الاعتراض» العنصرى ــ وفيما بعـد الاقتصادى والسياسى للتمايزات الاجتماعية فى الجيـاة الاجتماعية»(٧) وفى أواخر الستينات ــ وخاصـة بعـد ثورة الطلاب فى فرنسـا (١٩٦٧) بدأت

دراسات العنف والتطرف تعالج كجزء من الحركات الاجتماعية وكجزء من «ثقافة الشباب» أو ثورة الطلاب(٨) . ومما دعم هذا الاتجاه بروز الاتجاه الراديكالى واليسارى الجديد بين جمهور الشباب(٩) ويلاحظ قصور علم الاجتماع الدينى فى التصدى لمعالجة ظاهرة التطرف . فمعظم التحليلات التى يعتمد فيها فى هذا المجال مستمدة اساسا من علوم اجتماعية اخرى خاصة علم الاجتماع السياسى . وقد يرجع هذا اساسا الى اهتمام المحللين بالجوانب السياسية للتطرف والعنف . الا اننا نؤكد بالحاجة الماسة الى وجود المزيد من الدراسات الشمولية التى تهتم بهذه الظواهر خاصة فى العالم الثالث حيث ان الكثير من الحركات الثورية تنبع اساسا من التراث الدينى ، ومازالت العديد من الحركات الدينية فى العالم الثالث تشكل المعارضة الحقيقية للانظمة القائمة ، ومازالت هذه الحركات تدفع بالعديد من الشباب بافكار وموجهات عقائدية جديدة أو مستمزة من التراث ومن ثم تدفعهم تحمل مسئولية تغير الواقع القائم(١٠) .

ظاهرة التطرف ظاهرة عالمية تشمل العالم باجمعه ولا تقتصر على قطر دون آخر ، ومن ثم فان محاولة تشخيصها وعلاجها على اساس من الظروف المحلية فقط يقضى الى خطأ فى التشخيص وخلل فى العلاج . ومن ناحية اخرى ، فان هذه الظاهرة ــ اعنى التطرف ــ ظاهرة قديمة قدم الانسانية ذاتها . فما ظهر دين أو مذهب أو نظام والا كان من بين أعضاءه أو انصاره متطرفون ومعتدلون . وتقع الخطورة فى التطرف فى القاعدة الفكرية والاقتصادية التى ينطلق منها ، كذلك درجة اتساعها ومدى التعاطف والتشجيع الذى يلقاه هؤلاء المتطرفون فى بداية نشاطهم باعتبارهم مظهرا حيا من مظاهر الانبعاث الدينى أو الصحوة الدينية ، ويصعب فى كثير من الاحيان من رؤية مداخل التطرف والشطط ومظاهر العلاج والانحراف فى منهج وافكار واسلوب بعضهم من الدعوة واسلوب العمل . واخيرا ، فان هذه الظاهرة لها ابعادها الاجتماعية والسياسية والدينية والنفسية . فهى ، اذن ، ظاهرة مركبة ومن ثم لا ينبغى أن يكون تشخيصها وعلاجها منحصرا فى اطار منظور واحد فقط مهما بدت له من اهمية واعتبار(١١) .

١ ـ ان التحليل العلمى لابد من ان يكون نابعا أساسا من معرفةمتعمقة بالظروف التى تساهم فى نشأة وتشكيل فكر وسلوك تلك الجماعات ٠

٢ ـ كذلك لا يمكن ان يكون الاعتماد فى التحليل والتشخيص نابعا فى شأن هذهالظاهرة وجماعتها من تصريحات وبيانات اجهزة الامن مهما كانت قدرتها وكفاءتها ٠ ذلك ان التقرير العلمى شىء والتقرير الامنى شىء آخر٠

٣ ـ لابد للباحثفىهذا المجال ان يكون ملما بالفكر الخاص بالجماعات المتطرفة خاصة مفاهيمهم عن الفكر والجاهلية ، والحاكمية والاعتزال ، والمفاضلة كذلك يجب الا يعتمد الباحث فى فهمه لهذه المفاهيم علىكتب اعداد الحركة أو الكتب الاعلامية فى هذا المقام ٠ بل على الباحث ان يبين المصدر الرئيسى لهذه الافكار فى التراث والتفسير الحديث الذى اعطى لهذه المفاهيم من قبل هذه الجماعات ، واخيرا التوظيف الاجتماعى والدينى لهذه المفاهيم لخدمة قضايا الجماعة ٠

٤ ـ كذلك فان الباحث فى هذه الظاهرة لا يمكن عزلها عما يجرى فى السياق الاجتماعى فى المجتمع محل الدراسة ككل ٠ فلا يمكن مثلا أن نعزل ظاهرة التطرف عن مناخ السخط الاجتماعى والاحساس بالاحباط وغياب العدالة والمعايير الموضوعية للثواب والعقاب والفشل والنجاح ٠ مثل هـذا السياق هو البيئة المبكرة لظهور ظاهرة التطرف الدينى وغير الدينى وانتشار موجات التمرد والرفض بين الشباب وباختصار ، فان ظاهرة التطرف ماهى الا صورة من صور الرفض الاجتماعى والاحتجاج على غيابالعدالة التوزيعية بصورها فى نظام المجتمع ٠

٥ ـ ان الباحث فى هذه الظاهرة لابد له من ربط هذه الظاهرة بالبناء السياسى القائم ودرجة احترامه لحقوق وحريات الافراد ودرجة استعداده لقبول الرأى الاخر بصـدر رحب ٠ فالفكر المتطرف غالبا ما ينشأ فى بيئـة منعزلة لا تسمح بالحوار والتجديد ٠ ولهذا يلجأ المتطرفون الى شن حرب مدمرة على البنـاء السياسى الذى تعيش فيـه الافكار المقيدة لحريتهـم ولا تعطيهم الفرصة للتعبير عن افكارهم ومشكلاتهم ٠ ولهذا فالفكر المتطرف صنوان للاغتراب السياسى والاجتماعى ٠ «فالظاهرة قائمة فى اغوار العقول

واعماق القلوب مالم يبدأ التعامل الفكرى والنفسى مع هؤلاء الشباب فستخذل الدائرة تأخذ مسارها. تبدأ كما تبدأ دائما دعوة هادفة الى الله ثم لا تلبث الوجوه ان تعبس والصدور أن تضيق ، ولا تلبث فوهة البركان ان ترسل الحمم على اصحابها وعلى الناس» .

٦ ـ ان ابراز ظاهرة التطرف على انها قضية انحراف شباب عن قيمه ومجتمعهم لفراغه الفكرى ـ يعنى مغالطة فى التشخيص والتحليل . فالقضية هى قضية مجتمع يتغير ، وهناك مفاهيم وافدة ومفاهيم من التراث ومفاهيم مستنبطة تتفاعل فى وعى الانسان المعاصر ولا يجد لها معان مؤكدة ويجد تناقضا بين القيم الدينية وبين ماهو حادث فى معظم القوانين والتشريعات التى تحكم الحياة الاجتماعية . فالخمور مباحة والربا مباح والحدود معطلة : فالمجتمع متناقض مع نفسه فى ادعاؤه بان دين الدولة الاسلام .

٧ ـ يجب الا نحكم على اعضاء هذه الجماعات من المنظور المجتمعى الخاضع لوسائل الاتصال الحكومية التى تبرز هؤلاء على انهم جماعة تقوم على العنف والتصفية الدموية ، ونحاول بذلك اتخاذ خط معاد من المتدين أو الخط الدينى بوجه عام وتعامل التطرف مع الاتجاه العام على انه اتجاه واحد . فتقييم الاعمال التى حدثت باسم جماعة الاخوان المسلمين فى الاربعينات قد اختلط بالعمل الاسلامى . فالعمل لحل مشكلات المجتمع من منظور اسلامى ارتبط بالعنف والدمار والقلة المنحرفة والتعدى على النظام الحاكم . فنحن لا نبحث عن ما سمى «بالقلة المنحرفة» أو «الحاقدة» أو «القلة العمياء» أو «المأجرون باسم الدين» أو «المتسترون وراء الدين» كما تصفهم وسائل الاعلام . كما ان الصحافة تروج لبعض المفاهيم الاخرى مثل «العلم والايمان» و «اخلاق القرية» و «العيب» ، ودعم الدعوة الاسلامية و «تطبيق الشريعة الاسلامية» .

٨ ـ يجب التعامل مع هذه المشكلة باسلوب يختلف عن الاساليب الدعائية ، فلم يعد مفيدا ولا مطلوبا اجترار الماضى أو البكاء على ماحدث أو توزيع الاتهامات أو البحث عن مبررات وتعليلات . أو الجمود امام الظاهرة . فالظاهرة لم تعد تهدف هدفا احاديا ، وانما اصبحت تتصل

بالمجتمع كله ، الامر الذى يقتضى نظرة علمية شاملة ومتكاملة تغطى الابعاد المختلفة للظاهرة وتحاول الوصول الى تصور لاسلوب علاجها والتعامل معها . كذلك يجب تجنب التفسير الذاتى والاحادى .

والحق أن المجتمع المصرى المعاصر يموج بالعديد من التنظيمات العلنية والسرية أو شبه السرية ؛ فهناك الجماعات الإسلامية التى تعمل جهارا من اجل التوعية الاسلامية والدعوة الى اقامة المجتمع الاسلامى ، الا انها لم تأخذ بالعنف وسيلة لتحقيق اغراضها . وهناك تنظيمات اخرى تتحدث باسم الدين الا أن لها طابع سياسى بحت . وهناك من ناحية ثالثة ، تنظيمات اخرى تتحدث باسم الدين ، والدين يعنى لها دين وسياسة لا انفصام بينهما . وهناك ايضا حركات توفيقية بين اتجاهات متنوعة واحيانا متعارضة .

ان هذه التنظيمات وغيرها لعبت دورا هاما فى حياة المجتمع المصرى وكانت فى بعض الاحيان اداة هائلة من ادوات التغير والاصلاح ، وفى احيان اخرى كانت وسيلة من وسائل الهدم والتدمير أو بمعنى أصح هز اركان المجتمع وزعزعة دعائمه وتفكيك روابطه . والتنظيمات الدينية - خاصة ماهو سرى منها - له سحر وجاذبية قوية تهفو بنفوس فريق من الناس وتستميلهم وتستأثر باهوائهم ، وتبلغ منهم مبلغا يدفعهم الى المخاطرة والمجازفة والاتيان بغرائب الاعمال وقبول الطاعة العمياء والاستسلام المطلق . والواقع انه فى الكتمان والسرية والخفاء والغموض ما يستهوى الخيال بوجه عام ويطلق الاوهام والاحلام .. (فهذه المنظمات الدينية السرية وشبه السرية) تمثل لنا قوة غير معروفة ومصدر هذه القوة هو جماعة من الافراد قد اجتمعوا ليقوموا بعمل يعجز عن القيام به الفرد بنفسه . وقد يكون هذا العمل خيرا وقد يكون شرا ولكنه فى الحالتين يتسم بميزة السر ويلحق بعالم الخفاء»(١٢) .

ومن ناحية اخرى ، نجد ان الوسائل التى تستمدها هذه المنظمات قد تبدو صالحة نافعة من وجهة نظر المنتمين لهذه التنظيمات ، الا انها تعد ضارة وهدامة للمحافظين على النظام القائم . والقائمون على النظام القائم يعدون ظهور هذه المنظمات بمثابة عهد جديد اما المدافعون والمنتفعون من

النظام القائم يعدون ذلك جرما يجب معاقبة اتباعه واسرهم والقضاء عليهم ليستريح المجتمع ويأمن الناس(١٣) ٠

ومن الامور التى اصبحت معترف بها أن ظهور هذه المنظمات يكثر عندما «تضطرب الحياة الاجتماعية ويسود الطغيان والاستبداد ، والضيق والحرمان ويشعر الناس بحاجة ماسة الى مقاومة الطغيان والانتقام من الظالمين»(١٤) ٠

واى ما كان الهدف وراء تكوين هذه التنظيمات فان السرية والتستر هى العوامل الرئيسية التى تجذب اليها الاعضاء والمؤيدين ٠ وتختلف البواعث التى تهيب بهؤلاء الانصار الى الاندماج فى هذه التنظيمات والانخراط فى انشطتها ٠ فقد يكون الباعث للانضمام بهذه المنظمات هو حب السيطرة والطمع فى السلطة والنفوذ ، وقد يكون الدافع العمل فى الخفاء واظهار القدرة والملكات ويتميز المنتمين لهذه التنظيمات بالتحمس الشديد لتحقيق أهداف التنظيم والتفانى فى سبيله(١٥) ٠

ويبين سعدالدين ابراهيم فى تصديه لبيان الخطأ فى تشخيص ظاهرة التطرف بأن هناك تشخيصا تقليديا بعد كل هزة وموجه تصيب بالمجتمع المصرى ٠ ويتكرر هذا التشخيص من عام ٧٤ ـ حتى ١٩٨١ بأن :

(أ) ان القاعدة العريضة من الشباب المصرى بخير وان المنحرفين قلة غريبة ٠

(ب) ان السبب فى هذه الظاهرة الصراع الدينى أو الرياضى والثقافى ٠

(جـ) ان البيت والمدرسة أو الجامعة أو وسائل الاعلام لا تقوم بواجبها كما ينبغى فهم المسئولون عن تطرف الشباب وفهمهم المعوج للاسلام واستخدام العنف ٠

(د) ان رجال الدين ربما قصروا فى واجبهم فى نشر وتفسير الاسلام الصحيح وفى عدم التصدى للارهابيين الذين حرفوا الاسلام ٠

(هـ) ويقترح للعلاج ان تقوم الأسرة والمدرسة والجامعة ووسائل الاعلام بدورهم ورسالتهم فى التصدى لظاهرة التطرف الدينى ٠

الا ان الملاحظ ان هذه الظاهرة تتكرر ويتزايد عدد المنتمين لها ۰ بينما نجد ان عدد المتهمين فى قضية الفنية العسكرية ۹۱ شخصا سنة ١٩٧٤ ،وتلاحظ أن عدد الذين اتهموا فى قضية التكفير والهجرة ٢٥٨ متهما ۰ وان عدد الذين انتموا الى تنظيم الجهاد الاسلامى فى ١٩٨١ ٥٧٨ متهما ۰ هذا يشير بوضوح الى «تزايد فى عدد المنتمين لهذه الجماعات ويعنى ايضا ان الحلول المقترحة لم تحقق حصر الظاهرة ، وذلك لان هناك اساسا خطأ فى التشخيص» ۰ وابسط ما يمكن ان يقال ۰۰۰ حول ظاهرة التطرف الدينى هو «انه يتصف بالتبسيط المخل وبالتسطيح البيروقراطى وبالهروب النعامى من محاولة الغوص وراء اسباب الظاهرة»(١٦) ۰

وهناك اخطاء فى التشخيص يمكن أن تنحصر فى الاتى :

(أ) ان وسائل الاعلام تتحدث عن المتطرفين «كما لو كانوا قد نزلوا علينا من المريخ» ۰ بمعنى آخر ان النظرة لهؤلاء على انهم خارجون عن المجتمع وبانهم بلا جذور فى المجتمع المصرى أو انهم غرباء عنه ،وهذا يعنى ايضا تبرئة المجتمع المصرى منهم ، «ان هؤلاء المتطرفين من صلب المجتمع المصرى وبالاحرى هم ينحدرون من أهم شرعية فى الطبقات الوسطى ۰۰۰۰ انمعظم المتهمين من طلاب وخريجى كلية الطب والهندسة والفنية العسكرية وكان آباؤهم من موظفى الدولة او صغار ومتوسطى الملاك فى الريف والمدن»(١٧) ۰

(ب) ان التطرف لا يعنى وجود «قلة منحرفة» بل انه شعور الشباب «بالمفارقات المذهلة بين قدراتهم الذاتية وانجازاتهم التعليمية والمهنية من جانب وبين نصيبهم الحقيقى من الثروة والسلطة فى مجتمعهم من جانب آخر ۰ انهم يشعرون انهم قد فعلوا كل ما طلبه المجتمع من حيث التفوق والتحصيل ومع ذلك فهم هامشيون لا حول لهم ولا قوة ۰ ان معظمهم لا يستطيع أن يلبى مطالبه الاساسية المشروعة «مثل السكن والزواج» اذا ظل امينا وبقى داخل حدود الدولة المصرية ۰ ان معظمهم يشعر ان كل ماحوله يتغير ، وبلا سبب مفهوم ، وانه عاجز عن السيطرة او حتى المشاركة فى احداث او منع هذا التغير ۰ ان الجيل الذى اكتسب وعيه فى السبعينات۰۰

لا يصدق أحدا ... واصبحوا يشكون فى كل شىء متغير . واصبح الثابت الوحيد فى حياة بعضهم هو وجه ربك ذو البقاء والاكرام ودينه الحنيف وقرآنه وسنة نبيه . كلهم ثوابت لا تتغير . الشريعة الاسلامية اقوى من اى قانون وضعى ،النظام الاجتماعى الاسلامى هو العاصم من الفساد الداخلى والضعف الخارجى . الذى يمانع فى ذلك يصبح عدوا لله ولرسوله وللمؤمنين .وبالتالى يحل سفك دمه . بل ويجب سفك دمه»(١٨) .

(جـ) يخطىء من يعتقد ان التطرف ظاهرة حديثة ووافدة فى المجتمع المصرى . ولقد شهد المجتمع المصرى فى الاربعينات والسبعينات مظاهر التطرف والعنف الدينى والسياسى ، ويرجع هذا الى أن النظام السياسى كان متلكئا عن أمر سابقا لحركة المجتمع وان عدم التواكب فى الحركة خلق فصاما بين بعض الشرائح الاجتماعية الهامة والقيادة السياسية وتحول الفصام الى خصام ثم الى تطرف(١٩) .

(د) انه ليس بالردع وحده يتم القضاء على ظاهرة التطرف . فبالرغم من أن العقاب الصارم مطلوب فى مواجهة اعمال الارهاب ، الا ان الخطأ فى الاعتقاد بأنه بالاجراءات الامنية وحدها يمكن القضاء على التطرف . فلم يؤدى تطبيق هذا الى اختفاء الظاهرة بل على العكس يزداد المنتمين للمنظمات المتطرفة . ان المطلوب هو «ان ننهى هامشية هذا القطاع من شباب مصر ، ولن تنتهى تلك الهامشية بالردع وحده أو البرامج الاحتفالية أو بالوعظ والارشاد ... اذ لم ينجح النظام السياسى فى تاميمها (ثورة الشباب) لصالحه ، بينما نجح التطرف فى استقطابها لصالحه وفى استعدائها على النظام»(٢٠) .

وباختصار فان الشباب المصرى يواجه الآن بمشكلة رئيسية وهى ان الكثير من الشباب الغيور على دينه يواجه بالقوانين الوضعية وبتشريعات قد تبدو لهم على انها غريبة عن دينهم واسلامهم تحل لهم الحرام وتشيع فيهم الفجور والفواحش ، وهذا ما يؤثر فى الشباب ويخلق حالة القلق .

هذا يدفع الشباب الى اتخاذ طريق «المواجهة» ولذا نجد هذه التجمعات

الشبابية الطلابية الاسـلامية تصطدم اول ما تصطدم بهذا الواقع وتحاول اصلاحه وتغيره ٠

وينتج عن هذه الحالة ثلاثة امور :

(أ) الرضوخ بهـذا الواقع واليأس من الاصـلاح وتغيره مما يدفع الشباب الى التحلل من القيم التى آمن بهـا واعتنقها تحت ضغط الواقع وضروريات الحياة ٠

(ب) الرغبة فى قلب الاوضاع والقضاء عليها ٠ وهنا تظهر الحركات التى تحاول تغير الاوضاع باستخدام العنف أو القوة، وغالبا ما تكون متسرعة ودون اعداد كاف مما يؤخر تحقيق الهدف ويخلق اتجاها معاديا للدعوة ٠

(جـ) يتجـه الفكر الدينى اتجاها آخـر اكثر تطرفا وهـو تكفير كل المسلمين ٠ والملاحظ ان جمهور شباب الحركات الاسلامية احد اختيارين :

(أ) يتمثل الدافع الدينى فى تضخيم بعض الاداب والسنن العملية بحيث تمثل فى حياة الشباب كل الاسلام ، وتصبح اللحية والمسواك والجلباب أهم قضايا الاسلام وهي المحور الذى تدور حوله حياته وافكاره وتصرفاته ومعاملته لغيره من الشباب٠

(ب) سيطرة فكرة العنف والقهر على فكرة الشباب والتسرع والعجلة لاصلاح النظام ٠ وهذا ما سوف نحاول تتبعه لمعرفة العوامل والاتجاهات والنتائج ٠

الهوامش والمصـــادر

١ ـ سعدالدين ابراهيم ، **مصر تراجع نفسها** ـ القاهرة : دار المستقبل العربى ١٩٨٣ ، ص ٥ ٠

٢ ـ يوسف القرضاوى ، «صحوة الشباب الاسلامى» **مجلة الامـة** ، العدد ١٠ ، اغسطس ١٩٨١ ، ص ٦ ـ ٧ ٠

٣ ـ جابر رزق ، **المؤامرة على الاسلام مستمرة** القاهرة : دار الدعوة ، ١٩٨٤ ، ص ١٤٧ ـ ١٦٩ ٠

٤ ـ التطرف فى اللغة معناه «الوقوف فى الطرف بعيدا عن الوسط» واصله فى الحسيات كالتطرف فى الوقوف أو الجلوس أو المشى ، ثم انتقـل الى المعنويات كالتطرف فى الدين أو الفكر أو السلوك ٠ ومن لوازم التطرف انه اقرب الى المهلكة والخطر وابعـد عن الحماية والامان ، انظـر يوسف القرضاوى، **الصحوة الاسلامية بين الجحود واتلطرف**، القاهرة ، دار الشروق ١٩٨٤ ٠ ص ٢٧ ـ ٢٨ ٠

٥ ـ يقصد بالتعصب ذلك السلوك الذى يثبت على الاتجاه نحو هدف معين لا يتزحزح عنـه ، أو مجموعة العادات التى يستمسك بهـا الشخص بشدة ، انظر : مصطفى يوسف ، التطرف كاسلوب للاستجابة ، **دراسات فى الشخصية** ٠ القاهرة : مكتبة الانجلو ١٩٦٨ ، ص ١٤ ٠

٦ ـ انظر الدراسات الخاصة بالعنف وارتباطه بالاحباط فى :

«الف رزق الله» اشكالية العدوانية فى علم النفس : مقـدمة لدراسـة ظاهرة العنف ، **مجلة الفكر العربى** العددان ١٧ ، ١٨ (سبتمبر ـ ديسمبر ١٩٨٠) ص ٢٧٥ ـ ٢٨٦ ٠

محمد جواد رضا «ظاهرة العنف فى المجتمعات المعاصرة» **عالم الفكر** المجلد الخامس ٠ العدد الثالث ١٩٧٤ ٠

اليونسـكو ، المجلة الدولية للعلوم الاجتماعيـة «العنف» العدد ٣٧ ديسمبر ١٩٧٩ ،المركز القومى للبحوث الاجتماعية والجنائية، **العنف التلقائى** الجماهيرى فى المجتمع المصرى ٠ القاهرة ٠ منشورات المركز القومى ١٩٧٦ ٠

(7) See , Gusfield, J. (ed.) **Protest Reform, and Revolt**. New York: John Wiley & Sons, 1970.
Welch, C., and Taintor, U. (eds) **Revolution and Political change**. California : Duxbury Press, 1972.
Berger, P. and Neuhaus, R. **Movement and Revolution** on Americans Radicalism, New York : Archor Books, 1970.

Zald, M., Uccortly J. (eds.) **The Dynomics of Social Movements** Mass : Winthrop 1979.

(8) Oberschall, A., **Social conflict and social Movements** New Jersey : Prentice-Hill, 1973 .

(9) See Keniston, K., **Young Radicals Notes on Commetted** Youth : New York : Harcourt, 1968.

. Lispct, S., M., and Wolin, S. S. (eds) **The Berkely Stuent Revolt : Facts and interpretions.** New York : Archor Books, 1965.

١٠ ـ هنـاك العديد من الاعمال التى تمت حـول ظاهرة العنف من المنظور السوسيولوجى انظر على سبيل المثال :

Fogelson, R., **Violence As protest : A Study of Riots and Ghettos,** New York : Archor Books, 1971.

Brown, R. M., **Strain of Violence : Historical Studies of American vidence end vigilantism. New York** Oxford University Press, 1975.

Macfarlance, L., J. **Violence and the state.** Great Britain : Nelson, 1974.

Marx, E., **The social Context of violent Behaviour A Social Anthropologic study in an Israeli Immigrant town.** London : Routledge & Kegan Paul, 1976.

Grundy, K., and Weinstein, M., **The Ideologies** of violence. Ohio : Charles, E., Mekcill publishing Company, 1974.

Gunn, J., **Violence in Human society.** Great Britain : David & Charles 1973.

Sorel, G., **Reffections on violence** Trans. by T. G. Hulme and J. Roth, London. Callier Books, 1969.

١١ ـ انظر احمد كمال ابو المجد «التطرف غير الجريمة والتشخيص الدقيق» مجلة العربى ١٩٨٢ ، العدد ٢٧٩ ، ص ٣٦ ـ ٤٠ ، انظر ايضـا عبدالعزيز كامل«القمـع سبب للتطرف وليس عـلاجا له» **مجلة العربى ، المرجع السابق** ص ٤٨ ـ ٥١ ٠

١٢ ـ على ادهم ، **الجمعيات السرية** ٠ القاهرة : دار المعارف ١٩٥٤ص ٥ ـ ٦ ٠

١٣ ـ **المرجع السابق** ، ص ٧ ـ ٨ ٠

١٤ ـ **المرجع السابق** ، ص ٨ ٠

١٥ ـ المرجع السابق ، ص ٩ ٠

١٦ ـ سعدالدين ابراهيم ، **مصر تراجع نفسها** ٠٠ مرجع سابق ، ص ١٣ ٠

١٧ ـ **المرجع السابق** ٠

١٨ ـ **المرجع السابق** ، ص ١٤ ـ ١٥ ٠

١٩ ـ **المرجع السابق** ص ١٥ ـ ١٦ ويذكر سعدالدين ابراهيم بان «اللفظة الانجليزية Assossination اصلها عربى ومصرى بالذات وترجع فى جذورها الى ايام الحاكم بامر الله حيث كان بعض المنشقين على الدولة يلجاون الى اغتيال جنود الدولة وهم ملثمون ليلا ٠ وكانت الدولة بدورها تطلق عليهم اسم «الحشاشين» وهو المقابل لما تعنيه فى يومنا هذا بالارهابيين» ٠

المرجع السابق ، ص ١٥ ٠

٢٠ ـ **المرجع السابق** ص ٢٠ ٠

الفصل الأول

البناء القيمى للمجتمع المصرى
الخصـائص والتغيرات

١ ـ تمهيـد : المفاهيم
٢ ـ خصائص البناء القيمى فى المجتمع
٣ ـ التغير القيمى فى المجتمع المصرى

(أ) عوامل التغير القيمى فى المجتمع المصرى

(ب) صور التغير القيمى فى المجتمع المصرى

(جـ) الاثار المترتبـة على التغير القيمى فى الانظمـة المختلفة للمجتمع المصرى ٠

٤ ـ خاتمـــة ٠

١ ـ تمهيـــــد : المفاهيم

يمكن ان تعرف القيمة ـ باختصار شـديد ـ على انهـا المرغوب فيه وموضـوع الرغبـة قـد يكون ماديا أو معنويا ، مـن الفرد أو الجمـاعة الاجتماعية . ويمكن تعريف «نسق القيمة» بأنه مجموعة من المبادىء والقيم والمعايير التى تعمل على أنها المبادىء الدينامية فى التاريخ ، وتعطى«معنى» للانجازات المجتمعية . فنسق القيم هو تلك المبادىء التى يتمسك بها المجتمع أو أغلبيته سواء صراحة أو ضمنيا . هذا ، ويتضمن كل نظام قيما أقرها المجتمع ، وعليه نستطيع أن نتحدث عن قيم أقتصادية وقيم سياسية وقيم تعليمية وقيم أسرية وقيم دينية وهكذا .

وتعمـل القيم «كقوى اجتماعية» فى تشكيل اتجاهات الاختيار عند الافراد ، وهى التى توجه الفعل الاجتماعى نحو الاهداف الخاصة أو العامة ، فالقيم فى الحقيقة هى العوامل أو القوى الحقيقية فى حياتنا الاجتماعية . ومن ناحية أخرى ، فأن القيم هى التى تشكل المعايير التى بدورها تحكم على الفعل بالصواب أو الخطأ . والقيم هى المدعمة للانظمة الاجتماعية وهى التى تحدد وتحتفظ بالبناء الاجتماعى ، ذلك من خلال ما تجدثه القيم من تماسك وانتظام . فالقيم هى رموز أو صور المجتمع فى عقول أفراده .

وتعرف القيم من خلال تجسيداتها ، أى الافعال أو الاشياء التى تتطابق مع ما تتطلبه تلك القيم . والقيم ليست هذه التجسيدات ، بل هى «ملأ»ذو علاقات داخلية ، هذه العلاقات التى تربط نظام القيم ببعض تجعل منه نظـاما «هرميا» . والقيم فى علاقتها مع بعضها البعض فى حـرب دائم ، فتحاول القيم الاقتصادية التغلب على القيم الاخرى ، أو العكس تحاول القيم الدينيـة أو العلمية الهيمنة على سلم القيم «ولكل فرد عدد من سلالم القيم» . وهذا العدد يتناسب مع انواع وعدد المواقف التى يواجهها والتى يطالب فيها بالاختيار . والقيم «كسلم» لا تتخذ مرتبة ثابتة جامـدة ولا تتغير ، بل ترتفع وتنخفض ، وتعلو وتتناوب المراتب حسب ظروف الفرد

والمجتمع • والانسان والمجتمع عليهما ، اذن ، الموازنة والتميز بين مراتب القيم(٢) •

ونظرا لان القيم لها درجات مختلفة من التاثير على الفعل ، فان هذا يرجع الى انها ليست متساوية فى الاهمية • وطبقا لاهمية القيم ومراتبها ، فان صراع القيم والاختيارات يمكن أن تحل فى صالح القيمة الاكثر أهمية •

ومن المعروف أن كل نسق قيمى يحتوى على «بدائل» مقبولة اجتماعيا لتسمح للمجتمع او الفرد بان يكون فى توافق مع المواقف الجديدة أو المشاكل بدون صراع مجتمعى أو فردى • والى الدرجة التى تكون فيها هذه الميكانيزمات البديلة دينامية وفعالة فان نسق القيم يكون أكثر نشاطا فى أداء وظائفه(٣)•

وتعد ظاهرة «التغير القيمى» من أكثر الظواهر الاجتماعية والاقتصادية والسياسية شيوعا وخطورة فى الدول النامية • والواقع ، أن مفهوم «التغير القيمى» من المفاهيم الاجتماعية التى يكتنفها الكثير من الغموض والتعقيد • فقد يضيق البعض استخدام المفهوم ليقتصر على بعض التغيرات فى العادات والتقاليد أو التغيرات المتتابعة والسريعة فى «الطرائق الشعبية» ، وقد يوسع البعض من استخدام المفهوم ليحوى كل التحولات السريعة فى القيم الثقافية للمجتمع • فمن المعروف ، أن بعض اجزاء النسق القيمى سرعان ما يلحقها الفتور ، نتيجة ظروف اجتماعية واقتصادية متجددة ، مالم يتعهدها المجتمع بالتجديد والتحديث(٤) • ولقد حلل علماء الاجتماع القيم كموضوعات للتغيرات الاجتماعية والتكنولوجية والاقتصادية والسياسية • فبالنسبة للقيم العليا ، فأن هناك احتمال يسيطر لامكانية الصراع بينها ، بينما نجد المعارضة والصراع فى المستوى الادنى للقيم • وتحت ظروف التغير الاجتماعى ، فأن التفرقة بين الوسائل والغايات لا يمكن أن تتم بسهولة ، ويلقى هذا بالاجهاد على تكامل اتساق القيم • ولهذا ، فأن الفرد والمجتمع يواجهان بمشكلة الاختيار بين القيم • وعندما تصبح مشكلة الاختيار ، فغالبا ما يظهر «خلاق» القيمة الذين يمارسون نوعا من التكامل ، وذلك عن طريق خلق قيم جديدة ، أو اعادة ترتيب مراتب واهتمامات سلم القيم ، أو احيانا عن طريق تحديث بعض القيم القديمة •

ومن المشاهد، أن المواقف الاجتماعية المتجددة تتطلب أن يكون الافراد قادرين على التكيف على اساس موضوعى لا على اساس تقليدى أو عاطفى. وعملية تحديث القيم ليست بالامر السهل ، فهى عملية بطيئة ولا تحدث تأثيرا الا فى القليل من الافراد . فهناك العديد من الافراد الذين يخشون من التجديد أو الذين تمنعهم مصالحهم أو مراكزهم من تقبل التغير القيمى ، ولابد من حل التناقض الذى يحدث فى النسق القيمى بين ماهو قديم متوارث وبين ماهو جديد . والفشل فى هذا يؤدى حتما الى «**التخلف القيمى**» حيث توجد تناقضات بين رواسب قيمية جديدة ومطالب وقيم الواقع الجديد . كذلك غالبا ما ينشأ عن هذا التخلف القيمى تناقضا بين القيم النظرية أو اللفظية والسلوك أو المواقف الفعلية ، وهذا ما يؤدى حتما الى الاضطرابات والضغوط الاخلاقية والنفسية التى يتعرض لها الافراد فى مرحلة الانتقال من نسق لاخر كموجهات للسلوك الجديد .

وسوف نحاول هنا دراسة خصائص البناء القيمى فى المجتمع المصرى والتغيرات التى اصابته وذلك من خلال ثلاثة محاور رئيسية هى :

١ ـ ماهى العوامل التى ادت الى التغيرات فى البناء القيمى .

٢ ـ ماهى الصور والاشكال التى ظهر بها التغير القيمى .

٣ ـ الاثار التى يطرحها التغير القيمى على سلوك الانسان المصرى.

٢ ـ خصائص البناء القيمى فى المجتمع المصرى :

شهد المجتمع المصرى منذ بداية هذا القرن حتى الان تغيرات قيمية أدت بدور هام الى تغيرات فى النظام الاجتماعى والاقتصادى والسياسى . وسوف نحاول فى هذا الجزء تحديد خصائص البناء القيمى والتغيرات القيمية التى حدثت فى المجتمع ، وذلك من حيث عواملها وصورها وآثارها المختلفة .

ـ تميز المجتمع المصرى ببناء قيمى تميز بالخصائص الاتية :

١ ـ يمكن القول بأن هناك «**ازدواجية**» فى البنـاء القيمى للمجتمع المصرى . فلقد تأرجحت انساق القيم بين السلبية والاستسلام والخضوع من ناحية والايجابية والتحرر والثورة من ناحية أخرى . ومرد هذا ـ كما سوف نبين ـ لاسباب تاريخية واقتصادية واجتماعية وسياسية .

٢ ــ ويلاحظ أيضا أن هـذا البناء القيمى تميـز بصـفة «التعقيد» «والتناقض» • فهو «كيان معقد متشعب يختلط فيه الماضى السحيق بالحاضر المتوتر ، وتتداخل فيه عناصر المادة بعناصر الروح ، وتتصارع فيه اعتبارات الوطنية باعتبارات القومية ••• ولا تخضع فيه أنماط الحياة لانظمة متسقة من القيم»(٥) •

٣ ــ ويحتوى البناء القيمى فى المجتمع المصرى على انساق قيمية فرعية «فلا يوجد نظام قيمى واحـد ، كل نظام فيها قد يكون قيمة متسقة وغير متناقضة مع بعضها البعض ، ويحكمها منطق داخلى يضفى عليها الوحـدة والتماسك»(٦) •

٤ ــ يتميز هذا البناء القيمى «بالتعايشية» بين انساق قيمية ظهرت فى ظروف تاريخية معينة وكانت تلبى حاجات اجتماعية وبين انساق اخرى فرضتها ظروف اجتماعية وحاجات متغيرة(٧) •

٥ ــ أدت هذه «المعايشة» الى خلق خاصية أخرى تميز به البناء القيمى، فى المجتمع المصرى وهى «التراكمية» • فالثوابت ــ كما يقول د• سعدالدين ابراهيم ــ فرزت نظاما من القيم استمر كقاعدة وكخيط متصل طوال التاريخ المصرى ، أى فيما يزيد عن ستة آلاف سنة • والمتغيرات جلبت الى مصر أنظمة متتالية من القيم ، قدم كل منها بشكل اساسى مرحلة تاريخية معينة ، ولكن بدل أن يلفظ بأنتهاء المرحلة حدث له تخزين «أو حفظ ارشيفى» فى الذاكرة الجماعية للشعب المصرى •••••• وكما تتراكم الاشياء وتخزن فى أى منزل مصرى متوسط تتراكم القيم وتخزن •••••• فربما سيأتى الوقت الذى يعاد استخدامها أو توظيفها فيه • التراكمية قد تخلق ازدواجا أو فوضى تبطىء من سرعة الحركة»(٨) •

٦ ــ وهناك خاصية أخـرى للبناء القيمى المصرى وهى «التماسـك والتوحد فى اوقات الازمات التاريخية • فهناك توحد بين نسق القيم المركزى والحاكم أو السلطة المركزية فى أوقات الدراما القومية مثل الافراح والهزائم والحروب والغزو الاجنبى ولعل أحد مظاهر هذه الخاصية ــ «التوحد مع الحاكم بغض النظر عن رأيها (الجماهير) فيه قبل وبعد تلك اللحظة» •

ومثل ما فعل المصريون مع فرعون مصر فعلوا مع محمد على وفاروق حين حاصره الانجليز (حادث ٤ فبراير ١٩٤٢ ، والغاء معاهدة ١٩٣٦ ، وثورة ١٩٥٢ والعدوان الثلاثى ١٩٥٦ ، والوحدة ١٩٥٨ ، والانفصال ١٩٦١ والهزيمة ١٩٦٧ واستقالة وموت عبدالناصر وانتصار اكتوبر ١٩٧٣ واغتيال السادات ١٩٨١(٩) ٠

٧ ـ ايضا يمكن القول بأن البناء القيمى المصرى يتميز بالثبات المكانى والزمانى ، بمعنى أن انساق القيمة فى المجتمع المصرى تبث فى المواطن انه مركز الكون وأن مجتمعه اساس الحضارة٠وقد يرجع هذا الى النيل والزراعة حيث قيمة الارض والاستقرار والاسرة ومن ناحية أخرى ، قد يرجع هذا الى التفوق الحضارى لنسق القيم المصرى على غيره من انساق القيم العربية٠ هذا بالاضافة الى أن نسق القيم المصرى يتميز «بالمحافظة» على ما ثبت اختباره وصحته فى الماضى(١٠) ٠

٨ ـ يلاحظ أيضا أن محور البناء القيمى المصرى قائم على اساس القيم الجمعية ٠ فنجد قيم التعاون والجمعية فى مواجهة الاخطار الاجتماعية والطبيعية والغزو الخارجى ٠ ونشأت عن هذه القيم المركزية قيم أخرى مثل قيم الصبر والتجلد أو قيم القدرية والايمان بالقضاء والقدر(١١) ٠

٩ ـ اما عن المصدر الذى تستقى منه انساق القيم تفرعاتها المختلفة فيمكن تحديدها فى المصادر الاتية :

(أ) القيم المستمدة من الدين الاسلامى مثل قيم العدالة والعمل الشورى والتكامل والمساواة والتسامح والعلم والرحمة والاجتهاد ٠٠٠٠ الخ ولاشك أن هذه القيم هى أهم مميزات انساق القيم فى المجتمع المصرى منذ الفتح العربى حتى الان ٠ ومع عصور التدهور والانحطاط علقت بالقيم الاسلامية الاصيلة قيم أخرى دخيلة مثل التعصب الدينى ، محاربة كل جديد ، عبودية المرأة ، التواكل ، الظلم الاجتماعى والاقتصادى ، الدكتاتورية ، التقليد ٠٠٠ الخ(١٢) ٠

(ب) النسق القيمى المرتبط بالشخصية العربية وما تحمله من قيم الشجاعة والجسارة والاستهانة بالموت فى سبيل الجماعة والكرامة ونجدة

الضعيف وحمايته • ومن ناحية أخرى ، فان هناك بعض القيم القبلية تواجدت مع هذه القيم مثل التعصب الاعمى للقبيلة أو القرية أو الاقليمية، الفردية المفرطة وعدم الانضباط أو عدم الانصياغ للقوانين ، عدم الولاء الا للجماعة العرقية فقط ، النظرة الدونية للمرأة •

وقد استمرت هذه القيم السلبية مع القيم الايجابية • ورغم أن بعض القيم الايجابية العربية قد لا تلائم العصر مثل الكرم الحاتمى ، الخطب اللفظية •• الخ •، الا أنها مازالت تمارس فى المجتمع المصرى المعاصر(١٣)•

(جـ) كان لطول فترات الحكم الاجنبى للمجتمع المصرى أن أفرزت انساق القيم بعد هذه التجربة التاريخية مجموعة من القيم الاجتماعية والسياسية السلبية «مثل الهروبية والتقوقع على الذات» وعدم الاكتراث والتجاهل وعدم اللامبالاة وعدم المشاركة فى المسائل العامة • ولقد نجم عن هذه القيم أن السلوك الموجهة للانسان المصرى هو ««المحافظة على دائرة حيازته الخاصة وتجنب أو تقليص تكامله مع السلطة أو من يمثلها والشك أو عدم تصديق ما يقوله الحاكم» • وقد نشأت عن هذا ايضا بعض القيم السلبية الاخرى مثل تملق الحاكم والتظاهر بطاعته ونقده بعد موته(١٤) •

(د) تمثل الحضارة الغربية رافدا آخر لنسق القيم المصرى حيث تدفقت الكثير من القيم الغربية مثل الحرية الفردية ، الايمان بقدرات الانسان ، التفكير العلمى مواجهة مشاكل المجتمع ، الحرية السياسية ، والمساواة فى الحقوق والواجبات ،المساواة بين الرجل والمرأة ،القيم المادية، الانجاز الاقتصادى•وذلك بعد الغزو الاجنبى لمصر حركات الترجمة والبعثات الخارجية • ويلاحظ أن هذه القيم قد كانت سببا للانتفاضات الشعبية فى أواخر القرن التاسع عشر وطوال هذا القرن اخذت صبغة علمانية وطنية قومية • ومع هذا فان هذه المجموعة من القيم لم تخترق القطاعات الشعبية بعد ، ولم تتعمق أو تنفذ الى عقول الجماهير ••• انما تظل محصورة فى الفئات المثقفة • وهذه الاخيرة رغم نموها السريع والمتزايد مازالت تمثل أقلية عددية•وحتى بين هذه الفئات فان القيم الغربية ماتزال عند معظمهم نصف مطبوخة ونصف مهضومة • هذا فى حد ذاته يعقد من مشكلة القيم وتضاربها بين المثقفين أنفسهم(١٥) •

هذه الخصائص وغيرها تبين التراكمات الثقافية والتاريخية وما نجم عنها من تضاربات وتناقضات بين قيم كل مرحلة .(على أية حال ، يمكن أن نلخص أهم الخصائص الدينامية التى تحكم البناء القيمى للمجتمع المصرى وهى :

(أ) أن القيم الخاصة بالتماسك والتوحد الوطنى هى أكثر القيم ثباتا .

(ب) أن المصدر الدينى نسق القيم المصرى هو الاساس لكل انساق القيم الفرعية الاخرى، وفى فترات الازدهار يسمح من خلال القيم الدينية بتبنى إنساق قيمية اخرى فرضتها الظروف التاريخية أو عن طريق التبنى والانتشار الثقافى بين المجتمعات الاخرى .

(جـ)أن انساق القيم ليست كلها متساوية الاهمية فى الحياة اليومية، فبعض منها ماثل فى كل نشاط وسلوك فردى أو مجتمعى ، والبعض الاخر كامن فى الضمير الجمعى ولا يظهر الا فى الظروف التى تستدعى ظهوره .

(د) أن هيمنة نسق أو آخر من انساق القيم فى مرحلة معينة راجع للظروف السياسية،أو الصفوة الحاكمة فى تلك المرحلة .

(و) تتسرب كل هذه الانساق القيمية المتضاربة داخل الشخصية المصرية ، ولهذا يصعب التنبؤ بسلوكه فى مواقف معينة . وفى هذا الصدد يقول أحد الباحثين المعاصرين «كثيرا ما أخطأت حسابات الحكام والقوى الاجنبية لانها نظرت الى المصريين من خلال نسق واحد من انساق القيم.. بطريقة ثبوتية تجريدية ميتافيزيقية»(١٦) .

٣ ـ التغير القيمى فى المجتمع المصرى :

(أ) عوامل التغير القيمى فى المجتمع المصرى :

يمكن أيجاز العوامل التى أدت الى التغير القيمى وظهور الخصائص السابقة فى المجتمع المصرى الى ثلاثة عوامل اساسية ، وهى :

١ ـ عدم الاستقرار الاقتصادى :

لقد لعبت الظروف المعيشية للغالبية العظمى من المصريين ـ سواء

فى الريف أو الحضر ـ دورا هاما فى «خضوع المصرى وجعلت الطابع المميز لانساق القيمة هو الاستسلام للقدر والخضوع أمام الذين لهم سلطة عليه وعدم تمرده على السلطان»(١٧) ولقد كونت هذه السمات الاستسلامية سواء للقدر أو للحاكم من ناحية ، والتحرر والايجابية من ناحية أخرى ، طبيعة العمل الزراعى . فالزراعة غير الالية خلقت بين القلامين اتجاها سلبيا وهو الاعتماد على ظروف لا دخل لهم فيها مثل حالة الجو والنهر وليس عليهم سوى الاستسلام لهذه الظروف ولهذا نشأتعندهم قيم الصبر والتسليم بالقدر والقيم الغيبية . وقد دعم هذه القيم الكوارث الطبيعية من جفاف ومجاعات وأوبئة . الا أنه يلاحظ ، أن العمل الزراعى نفسه خلق قيمة متناقضة فى انساق القيم ، وهى قيمة التحدى والايجابية ، حيثما نجد المصريين اثناء الفياضانات يهبون لحماية أنفسهم باقامة الجسور واغاثة المنكوبين ، كما انه فى حالة وفرة المياه يتعاونون فى الحرث والزرع.كل هذا بلاشك أدى الى وجود قيم ايجابية تحثعلى السلوكالايجابى والجمعى(١٨).

لقد عانى الشعب المصرى،تاريخيا ، من الظروف الاقتصادية المتدهورة، سواء على ايدى المماليك أو الاتراك أو اسرة محمد على ، فلم تستقر ملكية الارض الزراعية طوال تاريخ مصر حتى النصف الثانى من القرن التاسع عشر ، وكانت السمة المميزة للعلاقات الانتاجية هو الاستقلال وفرض الضرائب . وباستقرار الملكية حدث تغير قيمى سواء بطريقة مباشرة او غير مباشرة ، وهو بروز «قيم تطلعية لدى المصريين نحو امتلاك الارض وظهور الصراع القيمى نظرا لبزوغ طبقة من الملاك من أهالى القرية لها مصالحها المرتبطة بمصالح الحاكم والمتعارضة مع مصالح الفلاحين الاجراء»(١٩) .

ولقد صاحب ظهور الاقتصاد الاقطاعى الزراعى تطور مماثل فى الصناعة وتحول للاقتصاد المصرى الى اقتصاد السوق ، وأصبح النمط الرأسمالى للانتاج هو النمط السائد . وقد صاحب ذلك أيضا ظهور المدن وتوسع فى الطبقة العمالية . ولقد ترتب على تدفق رؤوس الاموال والاستثمارات الايرنبية ، وجود طبقة التجار والوسطاء وطبقة رجال المال(٢٠) .

ويلخص لنا د. **سمير نعيم** ما أحدثته التحولات الاقتصادية والاجتماعية

التى شهدتها الفترة منذ بداية القرن التاسع عشر وحتى منتصف القرن العشرين من تغيرات فى أنساق القيم فى المجتمع المصرى فى الاتى : «التناقض الحاد بين الانساق القيمية للبورجوازية المصرية من جهة وللطبقة الفلاحية والعمالية من جهة أخرى أوبالتالى الصراع القيمى ومحاولة الطبقة المسيطرة فرض انساقها القيمية على الطبقات الكادحة • ويتضح ذلك التناقض فى الانساق القيمية من مظاهر سلوكية عديدة من أوضحها تبنى البرجوازية المصرية وخاصة الشرائح العليا فيها لانماط السلوك الغربية وتشبيهها بالاجانب والافتخار بذلك واحتقار التقاليد والقيم الشعبية بل وحتى اللغة القومية ، والاباحية وتعاطى الخمور والقمار فى مقابل حفاظ الطبقة العاملة على اخلاقياتها ورفضها ومقاومتها لهذه الانماط لسلوكية • واستفادتها من كل ما اتاحته لها التغيرات الاقتصادية من فرص فى تنمية قدراتها الانتاجية والعقلية(٢١) •

وبثورة ١٩٥٢ والقوانين الاقتصادية سواء ما هو خاص منها بالاصلاح الزراعى أو حركة التأمينات ـ تم اضعاف طبقة كبار ملاك الارض الزراعية والرأسمالية كقوة اجتماعية واقتصادية وسياسية•كذلك تم التحرر من سيطرة المصالح الرأسمالية الاجنبية وتقلصت الرأسمالية المصرية،وتم تحقيق مكاسب للعمال أو الفلاحين ، وتم توسيع القاعدة الصناعية مما أدى الى زيادة حجم الطبقة العاملة،ولقد تحقق كثيرا من الخدمات الاجتماعية والثقافية،وحدث ارتفاع نسبى لمستوى المعيشة عند غالبية جماهير الشعب • ولاشك أن هذه التحولات الاقتصادية قد دعمت قيما جديدة على الاقل من الناحية النظرية مثل القيم التى تؤكد على كرامة الانسان وتحرره والمساواة بين الرجل والمرأة والقيم الخاصة بالبذل والعطاء من أجل الوطن والتضحية بالمصالح الشخصية من أجل المجموع والاعتزاز بالوطن وامجاده • ولقد خلقت هذه التحولات ودعمت «قيم انتاجية ترجمت الى سلوك فعلى ظهرت آثاره فى نجاح العديد من المشروعات الاقتصادية الجديدة التى لم يكن لمصر عهد بها من قبل ، واتضح ذلك من استعراض ماهو مفروض فى الاسواق المصرية حيث لاحظنا أن الغالبية العظمى من احتياجات المجتمع المصرى من السلع اصبحت من

الانتاج المحلى بعد أن كانت مصر تعتمد على السلع المستوردة ، كما ان هذه القوة شهدت أعلى معدلات للتنمية عرفتها مصر(٢٣) ٠

وبالرغم من أن الثورة قد مست ثوابت لم يغاير فيها أو يجرؤ عليها أو ينجح فى احداثها حاكم أو نظام سياسى من قبل(٢٤) الا أن الهزيمة العسكرية فى ١٩٦٧ من ناحية ، وعدم توحد القيم الجديدة من مكونات التنظيم الاجتماعى ، صورت قيم هذه المرحلة على أنها **«يوتوبيات خيالية»** ٠

ولقد شهدت مرحلة السبعينات تحولا اقتصاديا جديدا هو ماسمى «بسياسة الانفتاح الاقتصادى» وكما سوف نبين صوره وآثاره،الا ان ما يهمنا هنا هو أن هذا التحول الاقتصادى قد أدى الى التضخم وانخفاض الاجور وارتفاع الاسعار وظهور أنماط جديدة من البطالة المقنعة ، واصبح النظام عاجز عن توفير فرص العمل المنتج ولعل ما شهدته القاهرة وبعض المدن الاخرى من مظاهرات واضطرابات عامة فى يناير ١٩٧٧ هو نتيجة لهذه الازمات الاقتصادية ٠

أن القيم الاقتصادية التى سادت فى الانظمة الاقتصادية المتعاقبة وما احتوته من تنظيمات اقتصادية غلبت عليها عدم الكفاءة قد خلقت شعورا بالتسيب وعدم الاستقرار ٠ فالعمل الزراعى ينظر اليه على أنه قيمة واحيانا أخرى على أنه مرحلة تخلف ويجب تركها لنلحق بالتطور الصناعى ٠ كذلك الحال بالنسبة للقطاع العام والقطاع الخاص والدعم وتدخل الحكومة والاسعار وما الى ذلك ٠ لاشك أن كل هذا جعل نسق القيم الاقتصادية فى حالة من عدم الاستقرار ومن ثم عدم الانتاجية ٠

لقد شكل عدم الاستقرار الاقتصادى والحرمان النسبى والتفاوت الاقتصادى والاجتماعى عاملا هاما من عدم الاستقرار القيمى فى مصر٠وهذا ماهو ظاهر فى الاختلال الواضح وعدم المساواة فى توزيع القيم الاقتصادية، كذلك الخلاف الحاد فى ظروف الحياة واساليبها ويظهر هذا ايضا فى التفاوت الواضح فى ميدان توزيع الدخول٠وكما يشير تقرير البنك الدولى أن الانفتاح الاقتصادى فى المرحلة الاخيرة وسيطرة الرأسمالية الطفيلية على اقتصاد مصر ، قد أدى الى اختلال شديد فى توزيع الدخل فى مصر ٠ فهناك ٥ر٢٪

فقط من سكان مصر يستأثرون بـ ٢٥٪ من الدخل القومى • كما بين أن ١٠٪ من السكان يستهلكون ٤٥٪ من جملة الاستهلاك العائلى بينما يستهلك ٩٠٪ من السكان ٥٥٪ من جملة هذا الاستهلاك(٢٥) •

ويظهر ذلك التفاوت الاجتماعى والاقتصادى ايضا بوضوح فى الاحياء القذرة أو مدن العشش – سواء داخل أو خارج المدن – والتى يسكنها الفقراء ممن يؤدون أعمالا هامشية وبأجور منخفضة أو العاطلون عن العمل • وقد يؤدى هذا الحرمان الى الشعور بالاحباط والاضطهاد على المستوى الفردى والغضب الاجتماعى والسخط العام على المستوى الجماعى مما يدفع هـذه الجماعات الى رفض أى نسق قيمى واحيانا اخرى العنف ضد النظام القائم وقيمة اكثر من هذا ، فقد يتحول الشعور بالاحباط باللامبالاة السلبية • ولقد انعكس كل هذا على السلوك الاقتصادى وادى الى نتائج وخيمة من أعمها :

(أ) قد تميل الحكومات التى تعانى من ذلك الى تخصيص جزء من الموارد القومية للانفاق على نظم واجراءات الامن الداخلى • بدلا من التركيز على مشروعات التنمية ومواجهة مشكلاته الاقتصادية أو على الاقل تقليل التفاوت الاجتماعى والاقتصادى •

(ب) أدى عدم الاستقرار الاقتصادى الى تاثيرات سلبية على الميول الادخارية للافراد مما يدفعهم الى الاكتناز غير المنتج أو الاستهلاك الترفيهى غير الضرورى • وهو سلوك اقتصادى غير رشيد يمثل ايضا آثار اجتماعية خطيرة ترتبط بتعميق الفوارق بين الجماعات والطبقات •

(جـ) نتيجة لعـدم الاستقرار الاقتصـادى نجـد أن الحكومة تحاول الرضوخ للمطالب الاستهلاكية فى كافة المناسبات،كذلك تحت تاثير الجماعات الساخطة قد تحاول الحكومة رفع الاجور وتحسين مستويات المعيشة دون ان يصاحب ذلك تنمية حقيقية فتكون النتيجة التضخم والغلاء •

(د) أدى عدم الاستقرار الاقتصاد الى انعدام الاستمرارية فى متابعة سياسة واحدة محددة المعالم للتنمية الاجتماعية والاقتصادية نتيجة لما يترتب على عدم الاستقرار القيمى من تحول سريع للقيم الايديولوجية الاقتصادية من اليمين الى اليسار والعكس بكل ما يحتويه ذلك من غموض واضطراب قيمى •

٢ ـ عدم الاستقرار السياسى :

لقد كان لبطش الحكام واستيلائهم وأعوانهم على معظم انتاج الفلاح أدت الى طحن المصريين حيث تضافرت عليه كوارث الطبيعة وظلم الحكام ولا يعنى هذا أن سمة «الاستسلام» و «الخضوع» متأصلة فى الشخصية المصرية ، بل على العكس تماما فأن هذه السمة تتغير بتغير الظروف . ولعل السبب الحقيقى فى وجود هذه السمة هو القمع والارهاب من جانب السلطان الذى أدى بدوره الى خلق قيما تدعو الى سلوك من شأنه الحفاظ على ماهو متوارث . وكما يلاحظ أن هذه العوامل القمعية هى نفسها التى تخلق لدى الجماهير قيما مضادة ، أى قيما تدعو الى الثورة عندما يصل الاستقلال الى حد لا يمكن من استمرارية الحياة أو يلوح فى الافق ضعف السلطة الحاكمة أو ظهور قائد ملهم جديد(٢٦) . ولقد كان لطبيعة المصالح الطبقية أن ظهرت الاحزاب السياسية فى عصر محمد على ذات الايدولوجيات الواضحة والتى حاولت أن تؤثر على القيم الموجهة لسلوك الناس بما فيه مصلحتها.وتوالت الحركات التحريرية والثورات متمثلة فى ثورات ١٨٨٢ ، ١٩١٩ ، ١٩٥٢ ، ١٩٧١ وهى دليل قاطع على السمة الايجابية فى انساق القيم فى مصر ، كما أنها تركت أثرا عميقا على هذه الانساق . ولم تكن هذه الثورات ثورات على الحاكم أو المستعمر فى المحل الاول ، بل كانت اساسا ثورات على انساق القيم المتخلفة . ولعل من أهم ما نتج عن هذه الثورة السياسية هو تبلور القيم السياسية وبخاصة لدى المتعلمين ، مثل قيم الوطنية ومكافحة الاستعمار ، والاستقلال ، وقيم الولاء والانتماء .

ومن ناحية أخرى ، فلقد كان لعدم الاستقرار السياسى والتحول من النظام الملكى الى الجمهورى والتغير المستمر فى العناصر الحاكمة من السمات المميزة للعملية السياسية فى نسق القيم السياسية فى المجتمع المصرى(٢٧) . وارتبط ذلك بسرعة تغير الدساتير وتعديلاتها ، وتعدد المظاهرات الشعبية والشغب الذى كان يعكس السخط الشعبى على السلطة الحاكمةوقراراتها(٢٨) . كذلك الحال بالنسبة للحملات العسكرية الاجنبية والحروب التى مر بها المجتمع المصرى وتأثيراتها على الاستقرار السياسى . لقد كان لطريقة تكون الهياكل السياسية واشكالها ووظائفها لطريقة الصورية وفاء العملية الانتخابية

ونتائجها الزائفة والانحرافات فى الجهاز الادارى ، كل هذا جعل من المواطن العادى أنسانا سلبيا لا يعطى اعتبارا للقيم السياسية التى تسود وتسيطر على المرحلة التاريخية والتى اعتبـرها نوعـا من «تزييف الوعى الاجتمـاعى والسياسى» . ولكن بالرغم من كل ذلك ، غالبا ما تظهر القيم الايجابية مرة أخرى خاصة فى اوقات الازمات والحروب حيث نجد على السطح قيم الولاء والانتماء ونجد القيم الجمعية هى محور نسق القيم المركزى .

٣ ــ عــدم الاستقرار الثقافى :

استقر فى وجدان الانسان المصرى منذ اكثر من خمسة الاف سنة العديد من الهويات الثقافية سواء من فرعونية واغريقية وفارسية واسلامية وعربية وشرقية وغربية . ولاشك أن هذه الجوانب المتعددة لجوانب الشخصية المصرية لم ينجم عنه نوعا من الاندماج الحضارى ، بل ظلت هذه الجوانب هامشية احيانا ومركزية احيانا أخرى .

لقد كان من جراء احتكاك المصريين بالغربيين اثناء الحملات العسكرية أن غرست وثبتت قيما تتمشى مع القيم الغربية ومصالح المستعمر والطبقة الحاكمة التى تتعامل معه . وفى نفس الوقت ظهرت قيما أخرى تعبر عن التراث الاسلامى وكانت نتيجة هذا «ثنائية» الصراع بين ماهو غربى أو جديد ، وبين ما هو اسلامى ومتوارث أو تقليدى . وكان طبيعيا أن ينقسم المثقفين الى فريقين : فريق يتبنى قيم الطبقة المسيطرة وهى القيم الغربية ، وفريقا آخر يتخذ جانب غالبية الشعب ويدافع عن القيم الاسلامية . ولقد لعبت هذه «الازدواجية» القيمية دورا هاما فى تمزيق هوية الانسان المصرى ، ولها آثارها الفكرية والسلوكية حتى الان . ولقد كان لاثر الاتصال المستمر بالعالم الخارجى ، وتحسن وسائل المواصلات والاتصال الجماهيرى أن حدث نوعا من تعديل انساق القيم فى مصر وخاصة فى الحضر وذلك من خلال «اطـلاع المثقفين على الايدولوجيـات الغربيـة وعلى النظـم الاجتماعيـة والاقتصـادية والسياسية ونشـاط حركة النقل والترجمة والاحتكاك المباشر بالانماط السلوكية الاوربية للاجانب فى مصر ، ولكن هذا التأثير على انساق القيم كان تأثيرا فارقا ومتمايزا أى أنه كان يتخذ اشكالا متباينة تبعا لاختلاف الطبقات»(٢٩) .

وفى ظل هذه الفوضى الحضارية والصراع بين ماهو «دينى» وماهو «علمانى» نجد ظهور حركات يتخذ بعضها الموقف اليسارى ، والبعض الاخر الشكل الدينى ، واحيانا اخرى الاشكال الفوضوية الهدامة . أضف الى ذلك القلق الذى أصاب المجتمع ، خاصة الشباب ، نتيجة مشكلة الهوية وهـذا ما دفعهم الى اللجوء الى العنف مثل ماحدث فى عام ١٩٨١ .

كل هـذه العوامل قد أثرت على الموجهات القيمية للانسـان المصرى وخلقت ازدواجية قيمية فى شخصيته . جعلت منه شكاكا فى كل ما يدور حوله من ناحية ، متسلط على الذين يقلون عنه ، خاضعا لاولئك الذين يفقونه فى المركز الاجتماعى(٣٠) .

(ب) صور التغير القيمى فى المجتمع المصرى :

يمكن من الناحية الاجرائية ـ تقسيم اشكال وصور التغير القيمى التى اصابت المجتمع المصرى منذ بداية القرن العشرين حتى الان الى ثلاثة مراحل رئيسية : المرحلة الاولى وهى ماقبل ثورة ١٩٥٢ وهى مرحلة قيم البحث عن هوية حضارية ، والمرحلة الثانية مرحلة ثورة ١٩٥٢ حتى ١٩٧٠ وهى مرحلة القيم العقلانية والثورية ، والمرحلة الثالثة وهى مرحلة الانفتاح الاقتصادى ١٩٧٠ ـ ١٩٨١ وهى مرحلة غلبة وهيمنة القيم الاقتصادية ونظرا لاهمية المرحلة الثالثة فقد حرصنا على معالجة مختصرة جدا للمرحلتين الاولى والثانية .

١ ـ المرحلة الاولى :

مرحلة ما قبـل الثورة وازدواجية القيم الخاصـة بالبحث عن الهوية الحضارية . واجه نسق القيم المصرى فى تلك المرحلة مشكلة الاختيار الحضارى بين ثنائيات قيميـة . ففى مجال القيم السياسية ، فان الاختيار من أجل الهوية السياسية بين قيم القومية فى مقابل قيم الاسلامية ، وفى مجال النشاط الاقتصادى كانت مشكلة البحث عن الموجهات القيمية التى تؤدى الى اقتصاد قومى يقـاوم الاستثمار والصناعات الاجنبية . وفى المجال الثقافى ، كان الاختيار بين القيم الغربية التحررية فى مقابل القيم التقليدية المتوارثة . وفى مجال القيم الدينية . نجد دورها فى مقاومـة التغير المفروض على النسـق التقليدى للقيم فى المجتمع المصرى(٣١) .

٢ ــ المرحلة الثانية :

مرحلة الثورة وسيادة القيم العقلانية والثورية ٠ ونظرا لاعتبار الثورة بأنها أعلى صور عدم الاستقرار القيمى ، فهى تتضمن بالضرورة احداث تغيرات قيمية وهيكلية فى الابنية السياسية والاقتصادية والاجتماعية للمجتمع ، كما أنها تتضمن المشاركة الجماهيرية واتساع قاعدة المستفيدين من النظام الجديد فى كافة قطاعات المجتمع ٠

ويتميز نسق القيم فى هذه المرحلة ثنائية الترشيد والعقلانية من ناحية والثورية من ناحية أخرى ٠ ففى المجال السياسى روج للقيم السياسية التى تعلى من قيمة الدولة والتضحية من أجلها داخليا وخارجيا ، واعتبار أن الدولة هى «القيمة العليا» وفى المجال الاقتصادى ثبتت قيم الترشيد والعقلانية والانجاز من اجل التصنيع القومى ومحاربة الترف والكماليات والمناداة بقيم الاشتراكية والمساواة والعدل الاجتماعى ٠ وفى مجال القيم الثورية كان التاكيد على القيم الثورية والراديكالية والابتعاد عن القيم التقليدية التى قد تعوق من حركة المجتمع من التقدم ٠ وبمعنى آخر طوعت كل انساق القيم المركزية لخدمة قيم التحديث الثورى فى كل قطاع(٢٢) ٠

٣ ــ المرحلة الثالثة :

قيم الانفتاح الاقتصادى وسيطرة القيم المادية ٠ لقد انهار نسق القيم الذى كان سائدا فى الخمسينات والستينات من هذا القرن بموت عبدالناصر أو بمعنى أصح بعد هزيمة ١٩٦٧ ٠ وكان للمجتمع او لقيادته السياسية البحث عن «بدائل قيمية» تحاول بهــا تغيير مسيرته واحــداث تحولات سياسية واقتصادية وتشريعية ٠ وكان على القيادة السياسية فى هذه المرحلة قبل تغير الخط الايدلوجى لها والدخول مرة أخرى فى علاقات مع المجتمعات الغربية أن تغير القيم الموجهة للنظام الاقتصادى وأحلالها بقيم ماسمى بعد ذلك بقيم الانفتاح ٠ وكما سوف نبين فى السطور التالية أن هذه المرحلة شهدت تغيرا اساسيا فى سلم القيم الاجتماعية فاحتلت القيم الاقتصادية على السلم وهبطت قيما اخرى مثل الاستقلال الاقتصادى والعدالة الاجتماعية والكفاح ضد التبعية والقيم الجمعية اسفل السلم فى هرم القيم ٠ وكان طبيعيا ، أن يتبنى المجتمع خاصة بناءه القومى مجمــوعة من القيم التى تتمشى مع مصــالح الطبقــة

الجديدة والمسيطرة على تقاليد السياسة والتشريع والاقتصاد فى المجتمع المصرى(٣٣) .

ومن أجل تحقيق هذا الهدف ـ أعنى استبدال الانساق القيمية بأخرى تتفق مع الواقع الاقتصادى والاجتماعى الجديد ـ فقد بذلت محاولات مخططة لاحداث التغير القيمى المطلوب . واستخدمت وسائل الاتصال الجماهيرى فى التشكك فى قيم المرحلة السابقة . فهوجمت القيم التى كانت تساند النظام الاقتصادى السابق (الاشتراكى) وهياكله الاساسية (القطاع العام) وانجازاته الاساسية (السد العالى والتصنيع) ، وكذلك كل القيم الاساسية التى كانت تساند هذا النظام . ولقد استغل «الدين» والنزعة الوطنية ومعاناة الجماهير على اعطاء الانطباع انه لابد من مرحلة جديدة بقيم جديدة تحقق الانفتاح المطلوب(٣٤) .

(جـ) الاثار المترتبة على التغير القيمى فى الأنظمة المختلفة فى المجتمع المصرى :

لقد كان لهذه المرحلة الاخيرة (الانفتاح الاقتصادى) ، آثارا جوهرية سواء على نسق القيم المركزى المحدد لهوية المجتمع المصرى أو للانظمة الاجتماعية والاقتصادية والسياسية ، كذلك برامج التنمية الاجتماعية والاقتصادية . فلقد حدث مااسميناه «بالتخبط القيمى» فى كل اتجاه ، وساد التشكك والحيرة على اتجاهات الناس وهويتهم الثقافية والحضارية . فما كان ذا قيمة اصبح وبالا وكان يصور على أنه «تابوه» سياسى أو ثقافى أو حضارى اصبح هو الخير الاعظم . أكثر من هذا فان هذه الحملات المخططة «هزت ثقة الناس (وخاصة الشباب) بأنفسهم ، وزعزعت انساق القيم التى تتصل بالذهو والفخر الوطنى . والاهم من ذلك ، أنها أفقدت الناس ثقتهم بأجهزة الدولة ذاتها»(٣٥) .

وعلى مستوى نسق القيم ،نجد أن هذه المرحلة احدثت نوعا من الفوضى الاجتماعية حيث طغت القيم الفردية الذاتية والمرتبطة بالمصالح الشخصية على حساب القيم الوطنية والجماعية المرتبطة بمصالح المجتمع العليا . وظهر نوع من التناقض الفكرى فى المناخ الثقافى . فقد امضى وابعد كل من تمسك بالقيم الاصلية للمجتمع ، بينما رفع من شأن كل من دافع عن القيم

الجديدة ٠ بل لقد وصل الامر الى أن التمسك بأى قيم اصبح فى حد ذاته شيئا غير مامون ، فالانتهازية والوصولية والنفاق هو المثل الاعلى الذى تقدمه وسائل الاعلام للشباب(٣٦) ٠

كل هذا ، بلا شك ، كان له تاثيره السلبى على اتجاهات الناس فى كل موقع ، وكل موقف فالانسان الذى أصيب بالتخبط فى موجهاته القيمية لا يرجى منه اى سلوك صادق أو متزن٠ولهذا ليس بمستغرب ان هذه المرحلة لم تشهد أى أنجاز حضارى الا حرب اكتوبر ١٩٧٣ ، والذى كان امتدادا حتميا لهزيمة ١٩٦٧ ٠ وسوف نحاول أن نبين كيف أثرت هذه المرحلة على كل القطاعات الاقتصادية والاجتماعية فى المجتمع المصرى ٠

ولقد أحدثت التغيرات القيمية تغيرات جوهرية ، فى النظام الاقتصادى المصرى ، وتبنت مصر والنظام الحاكم سياسة الانفتاح الاقتصادى الذى صدر من أجله العديد من التشريعات مثل القانون رقم ٤٣ لسنة ١٩٧٤(٣٧)، وقانون ١٨ لسنة ١٩٧٥ وهى القوانين التى سمحت لرأس المال المحلى والعربى والاجنبى للاستثمار فى جميع المجالات دون قيد أو شرط والدعم اللامحدود بالقطاع الخاص وتقليص دور القطاع العام ٠ كذلك فتح المجال لمكاتب الاستيراد والتصدير المحلية والاجنبية للسيطرة على التجارة الخارجية والداخلية لمصر ٠ وكان طبيعيا أن تتبلور هذه المصالح فى طبقة اطلق عليها **«الطبقة الطفيلية»** والتى لا هم لها الا تحقيق ارباحها الطائلة سواء من عمليات السمسرة والعمولات أو عن طريق الغش واستيراد السلع الاستهلاكية والترفيهية(٣٨) ٠ وامام هذه السياسة الاقتصادية وامام المطالب الاجتماعية ، وأمام الغلاء والمعاناة وجد الانسان المصرى نفسه أمام أختيارين :

(أ) اما ممارسة نشاط ما يدر عليه عائدا سريعا ٠

(ب) واما الهجرة الى الخارج والعودة بالمال المطلوب ٠

ومن المؤسف ان النشاط الانتاجى المشروع لا يمكن أن يلبى الحاجات الملحة والمتجددة لمتطلبات الحياة الاجتماعية فى تلك المرحلة ، ولهذا ظهرت أنشطة اقتصادية مثل السمسرة والمضاربة والاختلاس والانفتاح الاستهلاكى العمل فى شركات الاستثمار الاجنبية ٠ كل هذا بلاشك كان من نتيجته

«فقدان الشباب لقيمة العمل المنتج المفيد اجتماعيا واستبدالها بقيمة أخرى سلبية وضارة بعملية التنمية وهى قيمة الحصـول على المال باسرع واسهل وسيلة ممكنة بغض النظر عن نوعية هذا العمل أو قيمته الاجتماعية أو حتى مشروعيته»(٣٩) ٠

ولاشك ، أن هذا قد أدى الى اختلال فى نسق القيم الاجتماعية حيث حلت القيم الاقتصادية والمادية القمة فى هرم القيم ٠ وقد عبر عن هذا المعنى د٠ سمير نعيـم حيث يقول **«ويكتسب الشباب من خـلال تعامله اليومى فى المجتمع ومن خلال تجاربه ومشاهداته قيما هـدامة تجعل من المال القيمة العظمى فى الحياة بحيث تتوارى وراء كل القيم الانسانية٠فالشجاعة والشرف والامانة والتقدير والاحترام ، بل وحتى العلم او المعرفة كلها امور يمكن أن تشترى»(٤٠) ٠**

وقد أدت هذه السياسة الاقتصادية الى تناقض فى نسق القيم المتعلقة بالنشاط الاقتصادى فلقد أثر هذا التناقض على عملية التنمية وأعاقها من حل الازمات الاقتصادية والاجتماعية ٠ ويمكن تشخيص هذا التناقض القيمى فى الاتى «الكسب السريع» فى مقابل «العمل المنتج» ، «الاستهلاك» فى مقابل الادخار والاستثمار ، «النمطية فى مقابل الابتكار والابداع» ، «اللاعقلانية» فى مقابل «العقلانية»،استباحة واهمال الملكية العامة لحساب الملكية الخاصة فى مقابل «حمـاية ادوات الانتـاج» واجهزتها ، «المصلحة الشخصية» فى مقابل «المصلحة القومية والوطنية»، الوقتية «أو سياسة اللحظة الراهنة » فى مقابل «التخطيط والمستقبل»، «الانحراف» (النفاق ـ الخداع ـ النصب ـ التزوير ـ الرشـوة ـ الفسـاد الاخلاقى) فى مقـابل «القيـم الروحية» و «الانضباط»٠٠٠٠٠(٤١) ولاشك أن غلبة وبروز هذه القيم على سطح المجتمع المصرى ومانتج عنها من سلوك أدى الى الاضرار بالمصالح القومية والتدهور الاجتماعى والاقتصادى ٠ ولقـد أثرت هـذه الموجهات القيمية على سلوك الشباب حيث قدمت أجهزةالاعلام القدوة غير المنتجة والتى لا تتسم بالعطاء، ولكنها تتسم بالفردية والمصلحة الشخصية والاستهلاك والسطحية والانانية وقصر النظر والاستهتار بالعمل وموارد المجتمع ٠ وقد انعكست هذه القيم السلبية ، ودعمتها الظروف الاقتصادية والاجتماعية على اتجاهات الشباب،

حيث اصيب بفقدان الامل فى تحقيق الحياة الكريمة أو الحصول على مسكن ملائم فى المستقبل القريب أو البعيد . ولهذا ظهرت قيم الهجرة أو الهروب من الواقع الاجتماعى وما يتطلبه من ماديات لا يمكن للفرد العادى أن يحققها من دخله الثابت أو المشروع . ولقد كان نتيجة هذا هجرة الكثير من الشباب المتعلم ـ الذى كان مخططا له المساهمة فى التنمية الشاملة للعمل فى أى عمل وذلك من أجل الحصول على المال المطلوب(٤٢) .

ولقد انعكست هذه القيم السلبية على قيم الاسرة ، مثل قيم تأخر سن الزواج والمعايير المادية لاختيار الزوج أو الزوجة وعدم القدرة على التخطيط للمستقبل والاحباط والانحلال الخلقى «فالشباب يجد نفسه عاجزا عن اشباع حاجاته بالاساليب المشروعة التى تتفق مع قيمه ، ولكن لهذه الحاجات ضغوطا عالية تضطره الى اشباعها باساليب غير مقبولة اجتماعيا ، والخطورة فى ذلك أن التخلى عن قيمة اساسية فى جانب لابد انه يتبعه التخلى عن قيم أخرى فى العديد من الجوانب الاخرى»(٤٣) ، وانعكس هذا ايضا على القيم الموجهة للانظمة الاجتماعية الخاصة بالخدمات مثل المواصلات والمرافق الحيوية حيث اتسمت بالفساد والرشوة والمحسوبية . ويؤدى ذلك ، بلاشك الى الشعور بالاغتراب والى اعلاء المصلحة الخاصة على أى مصلحة عامة . ومن ناحية أخرى ، أدى هذا الى انعكاسات خطيرة على انساق القيم التى يتعلمها الاطفال من خلال عمليات التنشئة الاجتماعية . فالعمل المنتج ليس هو الطريق لتحقيق التطلعات بل المظاهر البراقة هى القدوة التى تقدمها وسائل الاعلام(٤٤) .

وكان لابد أن تتأثر القيم المتعلقة بالتعليم بهذا التخبط أو الزيف القيمى . فالحاجات الاساسية والثراء لا يلبى عن طريق التعليم ، وانما يتحقق ذلك بالقيم السلبية والسلوك الاستغلالى . ومهما بلغت درجة التعليم التى يحصل عليها أى فرد ، فأن دخله من عمله الشريف لا يمكن أن يقارن بدخل العاملين فى الانفتاح ، أو من يستغلون مناصبهم لخدمة كبار رجال الطبقة الطفيلية .

أن كل هذه التغيرات الاقتصادية وما فرضته من قيم استهلاكية ترفيهية

جعل من الصعب على الانسان المصرى الاستمرار فى التمسك بالقيم الايجابية والاجتماعية • ان كل هذا دفع بالانسان المصرى الى اللجوء الى الحلول الفردة الذاتية لحل كل مايواجهه فى مشكلة الاختيار القيمى • وهكذا تؤثر القيم الاقتصادية الجديدة على القيم بوجه عام ، فهى تضعف القيمة الداعية للعطاء للمجتمع ، وتدعم القيم الفردية وتزيد من شعور الافراد بالاغتراب وينجم عن ذلك قيما سلبية اخرى مثل التبلد واللامبالاة وعدم المشاركة الاجتماعية والسياسية(٤٥) •

٤ ـ خاتمـــة :

من هذا التحليل السريع لخصائص البناء القيمى فى المجتمع المصرى والتغيرات التى اصابته سواء فى نسقه المركزى أو تجسيداته فى الانظمة الاقتصادية والاجتماعية والسياسية والتشريعية • نقول أن هذه التغيرات السريعة والمتلاحقة التى فرضت على انساق القيم هى التى ادت الى هذا التخبط والتناقض القيمى • فقيم مرحلة ماقبل الثورة استمدت ومازالت تجد من يروج لها الى الان ـ ولما نسيت قيم الثورة ، وكلاهما ، استمر وعايش قيم الانفتاح وهذا يعنى :

١ ـ ان قيم كل مرحلة تطغى وتسود اذا استمرت الظروف التاريخية والمادية والسياسية التى أوجدتها •

٢ ـ أن القيم السلبية التى تظهر فى المجتمع من لحظة لاخرى ، لم تظهر من العدم ، ولكنها كانت كامنة فى انساق القيم التى تكونت تاريخيا ، وعندما تهيأت لها الظروف طفت الى السطح وعملت كموجهات جديدة للسلوك •

٣ ـ طغيان بعض القيم الزائفة التى طردتها ظروف معينة تشكل المعوق الحقيقى لتطوير القيم الايجابية بالنسبة للشخصية المصرية •

٤ ـ أدى التخبط والتناقض القيمى الى تناقض فى قيم الاجيال واتساع الفجوة بين ماهو «تقليدى» وماهو «حديث» وانعكس هذا على تماسك وحدة الشخصية المصرية •

٥ ـ لا يعنى طغيان بعض القيم السلبية غياب القيم الاصلية المميـزة للهوية المصرية ، كل ما يحتاجه البنـاء القيمى من كشف اللثام عن هـذا «الزيف القيمى» الذى فرضته مصالح معينة ومساعدة البناء القيمى على أخذ المبادرة مرة أخرى لتحويل انساق القيم الفرعية لتكون أكثر ايجابية وداعية للعطاء ومن ثم اعادة ترتيب الهرم القيمى(٤٦) ٠

الهــوامش والمصـــــــادر

(١) انظر ، بيومى (محمد أحمد) ، **القيم وأثرها على مواقف واتجاهات الاسرة فى المجتمعات المستحدثة** . الاسكندرية : دار المعرفة الجامعية ، ١٩٨١ . ص ١٧ .

(٢) دياب (فوزية) ، **القيم والعادات الاجتماعية ، مع بحث ميدانى لبعض العادات الاجتماعية فى مصر** ، القاهرة : دار الكتاب العربى للطباعة والنشر ، ١٩٦٦ .

(٣) بيومى (محمد احمد) ، **علم اجتماع القيم** . الاسكندرية : دار المعرفة الجامعية ، ١٩٨١ . ص ١٦٣ ــ ١٦٤ .

(٤) انظــر :

Larzlo, E., and Wilbur, J., (eds.) **Value Theory in philosphy and Social Science.** N. Y. : Gorden and Breach Science publishers, 1973. pp. 12-23.

(٥) ابراهيم (سعدالدين) ، **«مدخل الى فهم مصر»** مقال فى كتاب **مصر فى ربع قرن (١٩٥٢ ــ ١٩٧٧)** تحرير سعدالدين ابراهيم . بيروت : معهد الانماء العربى ، ١٩٨١ . ص ١٧ .

(٦) المرجع السابق ، ص ٤٢ .

(٧) المرجع السابق ، ص ٤٢ ــ ٤٣ .

(٨) المرجع السابق ، ص ٤٣ ــ ٤٤ .

(٩) المرجع السابق ، ص ٤٤ ــ ٤٥ .

(١٠) المرجع السابق ، ص ٤٥ ــ ٤٦ .

(١١) المرجع السابق ، ص ٤٦ .

(١٢) المرجع السابق ، ص ٤٦ ــ ٤٧ .

(١٣) المرجع السابق ، ص ٤٧ ــ ٤٨ .

(١٤) المرجع السابق ، ص ٤٨ ــ ٤٩ .

(١٥) المرجع السابق ، ص ٤٨ .

(١٦) المرجع السابق ، ص ٥٠ ــ ٥١ .

(١٧) نعيم (سمير) انساق القيم الاجتماعية ، ملامحها وظروف تشكيلها وتغيرها فى مصر **مجلة العلوم الاجتماعية** . الكويت ، يونيو١٩٨٢) ص ١٢٨ .

(١٨) المرجع السابق ، ص ١٢٩ .

(١٩) المرجع السابق ، ص ١٣٤ .

(٢٠) نقلا عن المرجع السابق ، ص ١٣٤ ٠

(٢١) المرجع السابق ، ص ١٣٨ ٠

(٢٢) المرجع السابق ، ص ١٣١ ٠

(٢٣) المرجع السابق ، ص ١٤٠ ٠

(٢٤) ابراهيم (سعدالدين) مرجع سابق ، ص ٥ ـ ٥٣ ٠

(٢٥) انظر : مرسى (فؤاد) **هذا الانفتاح الاقتصادى** ، القاهرة : دار الثقافة الجديدة ١٩٧٩ ، ص ٢٩٨ ٠

انظر ايضا عبدالخالق (جوده) «**الانفتاح الاقتصادى والنمو الاقتصادى فى مصر**» ٧١ ـ ١٩٧٧ ٠ **فى كتاب مصر فى ربع قرن** ، مرجع سابق ، ص ٣٨١ ـ ٤١٥ ٠

(٢٦) نعيم (سمير) ، **مرجع سابق** ، ص ١٢٩ ـ ١٣٠ ٠

(٢٧) انظر الدراسة التى اجراها المركز القومى للبحوث عن ملامح السلطة التنفيذية فى مصر منذ عام ١٩٥٢ حتى الان ومعدلات التغير الوزارى وعدد الشخصيات التى تقلدت مناصب وزارية منذ عام ١٩٥٢ حتى الآن ٠ **جريدة الاهرام** عدد ٣٥٦٤٤ ٠ بتاريخ ١٩٨٤/٧/١٥ الصفحة الثالثة ٠

(٢٨) انظر ، معوض (جلال) « ظاهرة عدم الاستقرار السياسى وابعادها الاجتماعية والاقتصادية فى الدول النامية » ، **مجلة العلوم الاجتماعية** ٠ الكويت العدد الاول (مارس ١٩٨٣) ص ص ١٣١ ـ ١٤٩ ٠

(٢٩) نعيم (سمير) ، **مرجع سابق** ، ص ١٣٦ ٠

(٣٠) نقلا عن المرجع السابق ، ص ١٢٨ أنظر أيضا عويس (السيد) **حديث عن الثقافة وبعض الحقائق عن الثقافة المصرية المعاصرة** ، القاهرة ، مكتبة الانجلو المصرية ، ١٩٧٠ ٠

(٣١) انظر :

Bayyumi, M., A., **The Ethic of Social Justice and the spirit of Modernization : An Application of weber's Thesis to the Relationship Between Religious Values and Social change in Modern Egypt.** (unpublished Ph. D. Disrartation U.S.A. Temple University (1976) pp. 121-155.

(32)Ibid., pp. 543-593.

أنظر أيضا :

Thompson, J. N. and Reischaner, R. D., (eds.) **Modernization of the arab World.** N. J. : D. Van Nostrand, Company, 1966. pp. 61-86.

(٣٣) نعيم (سمير) « أثر التغيرات البنائية فى المجتمع خلال حقبة

السبعينات على انساق القيم الاجتماعية ومستقبل التنمية مجلة العلوم **الاجتماعية** الكويت العدد الاول (مارس ١٩٨٣ ، ص ١٣) ٠

(٣٤) المرجع السابق ، ص ١١٤ ـ ١١٥ ٠

(٣٥) المرجع السابق ، ص ١١٥ ٠

(٣٦) المرجع السابق ٠

(٣٧) هناك العديد من الدراسات الخاصة بتقييم تجربة الانفتاح الاقتصادى ٠

انظر على سبيل المثال :

الجريتلى (على) **خمسة وعشرون عاما ـ دراسة تحليلية للسياسات الاقتصادية فى مصر** ، ١٩٥٢ ـ ١٩٧٧ القاهرة ، الهيئة العامة للكتاب ، ١٩٧٧ ٠

حسين (عادل) **الاقتصاد العربى بين الاستقلال الى التبعية** ١٩٧٤ ـ ١٩٧٩ بيروت دار الكلمة للنشر ، ١٩٨١ ٠

شهيب (عبدالقادر) **محاكمة الانفتاح الاقتصادى** : بيروت : دار ابن خلدون ١٩٧٩ ٠

مرسى (فؤاد) هذا الانفتاح الاقتصادى٠القاهرة : دار الثقافة الجديدة ، ١٩٧٦ ٠

(٣٨) نعيم (سمير) ص ١١٦ ٠

(٣٩) المرجع السابق ، ص ١١٧ ٠

(٤٠) المرجع السابق ، ص ١٢١ ٠

(٤١) المرجع السابق ، ص ١٢٤ ـ ١٢٥ ٠

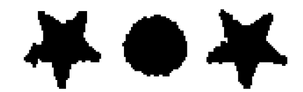
(٤٢) المرجع السابق ، ص ١٢١ ٠

(٤٣) المرجع السابق ٠

(٤٤) المرجع السابق ، ص ١١٨ ـ ١٢٠ ٠

(٤٥) المرجع السابق ، ص ١١٩ ـ ١٢٠ ٠

(٤٦) المرجع السابق ، ص ١٢٣ ٠



الفصل الثانى

القيم الدينية فى المجتمع المصرى
الثوابت والمتغيرات

١ ـ تمهيـــد : طبيعة الاسلام كنظام اجتماعى ٠
٢ ـ القيم الدينية وأنماط التحديث ٠
٣ ـ دور القيم الدينية فى المجتمع المصرى المعاصر :
٤ ـ دور التنظيمات الدينية الرسمية فى التعقيد والاعتراض على السياسة العامة للدولة ٠
٥ ـ كيف أثرت الدول النفطية فى نسق القيم الدينية فى المجتمع المصرى ٠
٦ ـ خاتمـــــة ٠

١ ـ تمهيــد : طبيعة الاسلام كنظام اجتماعى :

من وجهة النظر السيوسولوجية يمكن القول ، بأن الاسلام يختلف فى طبيعته ومناهجه عن الاديان الاخرى . فلقد ذهب جلينر H. Gellner فى محاولته السيوسولوجية للتفرقة بين الاسلام والاديان الاخرى الى أن الاسلام أكثر شمولا من عدة جوانب :

أولا : انه لا يحصر دعواه بحدود اقليمية معينة .

ثانيا : فهو لا يحصر تطبيقه فى بعض النظم دون غيرها .

ثالثا : انه ليس له نوعا من الاستقلال الوجودى فى النص الموصى به .

ولا يمكن أن يتساوى الاسلام ببساطة مع الممارسات العملية للمجتمع الذى ينتشر به . فالاسلام عكس المسيحية فى عدم انفصال المسجد عن الدولة الاسـلامية التى ينبغى أن تعكس القيــم الاسـلامية فى أفعالها . وبكلمات سيوسولوجية يمكن القول ، بأن الاسلام أكثر من أى دين آخر يعتبر بمثابة مظلة blueprint للنظام الاجتماعى ، وأن هناك علاقة وثيقة بين القيم والاعتقاد وبين الواقع الاجتماعى(١) .

وفى الاسـلام ، هناك نموذجان من التغير المعترف به : الاول حركة تقدمية نحو تطبيق الطريقة الاسلامية فى الحياة ، وهذه الحركة تمثل تقدما نحو الطبيعة الانسانية ، والثانى حركة «نكوصية» نحو الجشع الانسـانى والمصالح دون التزام بالقيم الاخلاقية ، وهـذه حركة نحو عـدم التكامل والدمار . ولتجنب التفرقة والتجزئة بين الواقع الاجتماعى والقيم الدينية، فان الاسلام يسمح ببعض التكيف والتعديل حسب الظروف المتغيرة . وهذا ما يفسر لنا لماذا قامت الشريعة بتعريف ماذا "Whats" يجب أن نفعل فى الثقافة تاركة كيف "Hows" حسب الزمان والمكان المتغير . أكثر من هذا ، فان القانون الاسلامى ـ على الرغم من أنه مؤسس على القرآن واحاديث الرسول (ﷺ) الا أنه يسمح للمجتمع بأن يكيف نفسه أمام الظروف الجديدة،

حتى ولو تطلب ذلك تعليق حكم أو قانون كان معترف به فيما سبق . هذا بالاضافة الى ان الاجتهاد يعد منهجا مقبولا ومعترف به لتطور المجتمع الاسلامى ولمقابلة التغير الاجتماعى(٢) .

فالمجتمع الاسلامى يجب أن يعمل طبقا للقيم الاسلامية أو الشرعية ، وتوجيه المجتمع الاسلامى نحو هذا الاتجاه هو مسئولية كل مسلم مطالب بالامر بالمعروف والنهى عن المنكر . فضلا عن هذا ، فان المصلحين الدينين دائما ما يشيرون الى قول الرسول (ﷺ) من أنه (على رأس كل مائة سنة يرسل الله من يجدد أمور دينه) . والحق ، أن هذا الحديث غالبا ما يستخدم لتبرير مهمة المصلحين . وهكذا ، فان الحركات الدينية فى الاسلام أصبحت لها وظائف ثورية . وفى العصر الحديث بدأت صوت الدعوة الى الاصلاح يسمع فى البلاد الاسلامية وذلك عندما اصبح الفساد وعدم التماسك من أهم خصائص المجتمع الاسلامى . وقامت ضد هذه الظروف عدة حركات دينية فى مصر والعالم الاسلامى ، وظهرت قيادات (دينية أو علمانية) ملهمة حاولت حماية القيم الاسلامية وترجمتها فى برنامج من المشروعات والانجازات . هكذا فان الشعور بان التغير والاصلاح أمر ضرورى أو ظاهرة طبيعية نابعة من روح الاسلام(٣) .

٢ ـ القيم الدينية وأنماط التحديث :

شهد القرن العشرين العديد من المحاولات لتحديث المجتمع المصرى . ومنذ مطلع هذا القرن ، فانه بالرغم من أن المجتمع المصرى فى بعض أجزاؤه قد تأثر بالقيم الغربية ، الا أن المجتمع المصرى لم يكن بقادر على استيعاب هذا التدفق الهائل من القيم الغربية . ولقد أدى هذا الى الصراع الفكرى بين المصلحين الدينيين الذين حاولوا الدفاع عن القيم التقليدية ، وبين العلمانيين الذين رحبوا بالقيم الجديدة رغم معارضتها وهجومها للقيم التقليدية . وفى منتصف الطريق بين هذين الاتجاهين ، وقف القادة السياسيون يحاولون التخلص من السيطرة الاجنبية وفى نفس الوقت تحديث المجتمع . ونتيجة لهذه المحاولات المتصارعة ، فان مصر كانت فى حالة تمزق حيث أن نسقها القيمى لم يكن بقادر على التحول نحو خلق المجتمع الجديد(٤) .

فلقد كانت مصر ، منذ القرن ١٦ حتى القرن ١٨ ، تحت سيطرة الحكم

العثمانى ، وما حمله هذا من عزلة وثبات نسبى . أكثر من هذا ، فان نسق القيم الاسلامى فى تلك المرحلة كان تحت التاثير الصوفى والقيمى ، وكان العلماء مستسلمين لواحد من مدارس الفقه الاربعة . وتعد حملة نابليون بمثابة ناقوس الخطر الذى حمل معه أولى جذور تخديث بناء مجتمعى ينتمى الى العصور الوسطى . ولقد حاولت اسرة محمد على تحديث نظام التعليم المصرى ، وذلك عن طريق ارسال البعثات وفتح المدارس وتحديث الاقتصاد المصرى . وكانت النتيجة ظهور الطبقة المصرية المتاثرة بالفكر الغربى ، والتى حاولت نشره فى كل قطاع المجتمع(٥) . وتحت ظروف الاستدانة فان التاثير الغربى أخذ اقصى مداه ، وانتهت ثورة عرابى فى ١٨٨٢ بالاحتلال الانجليزى لاكثر من سبعين عاما .

وبالرغم من أنه فى هذه الفترة كان هناك الصراع بين السلطة الحاكمة والقادة الوطنيين ، الا أن الصراع الاساسى كان بين ثلاثة جماعات رئيسية هى : الجيش ، المثقفين ، والقادة الدينين . ولقد حاول كل منهم تحديث المجتمع وفقا لاطار ثقافى أو دينى أو سياسى وقد حاولت كل جماعة ترجمة افكارها فى برنامج اصلاحى ، وهكذا عرف التحديث مرة على أنه الاتجاه الايجابى نحو التغيير والتجديد ، ومرة أخرى نحو الثقافة الغربية ومن ناحية أخرى ، عرفت «التقليدية» على أنها الاتجاه أو العقلية السلبية أو المضادة للتجديدات والتغير أو الغرب . ونتيجة لهذا الاتجاه ، نظر الى العديد من رجال الدين على أنهم محافظون وتقليديون يريدون العودة بالمجتمع الى الوراء وينشدون مجتمع ثابت بنسق قيمى قديم . وعلى الجانب الاخر نظر الى العلمانيين «والليبراليين» على أنهم من يسعون الى نشر التقدم والعلم والقيم الدينامية . والحق ، ان نسق القيم المصرى منذ ذلك الوقت حتى الان ، مازال «يتارجح» بين القيم المحافظة وبين القيم الليبرالية العلمانية أو بين الموجهات النظرية للاصلاح والفعل السياسى(٦) .

٣ ـ دور القيم الدينية فى المجتمع المصرى المعاصر :

(أ) الاتجاهات الدينية قبل ١٩٥٢ :

من المعروف أنه تحت حكم الاسلام ، فان الدين والسياسة يمثلان

وجهان لشىء واحد . هذا الارتباط العضوى كان سائدا فى مصر حتى ظهور الحركات القومية منذ بداية القرن العشرين . ومع الغاء الخلافة فان العلمانيين خطوا الخطوة الاولى نحو فصل الدين عن الدولة ، وجعل الهيمنة للدولة على كل الامور الاخرى بما فى ذلك الامور الدينية . وتحت الحكم العثمانى الذى استمر أكثر من ثلاثة قرون، ظهر «فجوة ثقافية» بين المتطلبات المتزايدة الاجتماعية والثبات أو الجمود الايدلوجى أو القيمى . ولسد هذه الثغرة فلقد اتفق المصلحين العلمانيين والدينيين على أنه لابد من اعادة تنظيم نسق القيم التقليدى ، واستبداله بآخر يكون قادرا على تلبية المطالب السياسية والاجتماعية الملحة . ولقد حاول محمد على تقويض العلاقة بين الدين والدولة عن طريق ثلاثة طرق : (أ) فصل محمد على بعض العلماء المعارضين له ، راسيا بذلك حق الدولة فى تقييم او فصل رجال الدين ، (ب) وفى نفس الوقت طلب محمد على من العلماء تأييد برنامجه عن طريق اصدار الفتاوى والتصديق الدينى على قرارات الحاكم، (جـ) واستبدا الصفوة الدينية بصفوة عسكرية جاعلا الاولى فى خدمة الثانية ، ومؤسسا بذلك دور الدين فى خدمة النظام السياسى(٧) .

ولقد حاول محمد على من أجل تحديث مصر ــ أو على الاقل تحديث الجيش أن يقيم المصانع ويرسل البعثات وفتح دور التعليم المختلفة ، الا هذا النوع من التحديث لم ينتفع به الا قطاع ضيق من المجتمع ، خاصة ضباط الجيش ورجال الادارة المحيطين بـه . وظل الصراع بين الصفوة الدينيـة والعسكرية كمظهر من مظاهر المجتمع المصرى المعاصر . ومع بروز ثـورة ١٩٥٢ فانه تأكد هيمنة الدولة على كل الانظمة الاخرى(٨) ويعتبر البعض أن هذا انتصار للعلمانية فى مصر . وكما هو معروف بان فصل الدين عن السياسة يمثل أحد العناصر الاساسية للعلمانية(٩) وكما تشير الكثير من الدراسات ، فان عملية العلمانية تتطلب أن يخضع كل النظم الاجتماعية للتحول، ويلازم هذا ظهور حالة عقلية جديدة (فكرية ونفسية)(١٠) والملاحظ ، أن «مصر عبدالناصر» افتقدت هاتين الخاصيتين . فعبدالناصر فى معظم خطبه يؤكد على دور القيـم الدينية ، وكما لاحظ كرسيليس D. Creceluis بان هيمنة السياسة على الدين لا تعنى بالضرورة ظهور الدولة العلمانية ، فالعلمانية

تحتاج القدرة النفسية» من كل من الفرد والدولة للفصل بين الدين والسياسة وهذا ما لا نجد شواهد له فى مصر المعاصرة(١١) ٠

والحق ، أن الثقافة المصرية ونمط الشخصية المصرية يعكس بوضوح التاثير العميق للدين الاسلامى على الاتجاهات والمواقف والقيم سواء على المستوى الفردى أو المجتمعى ٠ وحتى فيما يسمى بالدولة العقلانية ، حيث حيث تكون سياسة الدولة والحياة العامة قائمة على أسس مستقلة عن الدين، فان القانون الاسلامى والقيم والانظمة الدينية لم تتعرض للهجوم أو التحدى من قبل الدولة ٠ على العكس،فاننا نجد عبدالناصر دائما يؤكد أن أيدلوجيته مستمدة من القيم الاسلامية ، كذلك الحال بالنسبة لحكم السادات(١٢) ٠

ويلاحظ ، ان كل المصلحين ـ كانوا يسعون الى تحقيق التحديث ، الا أن هناك اختلاف بين رجال الدين والعلمانيون حول طبيعة أهداف التحديث ٠ وفى خضم هذا الصراع ، ظهرت حركة الاخوان المسلمين ، حركة اصلاحية اجتماعية وسياسية ، وحاولت التوفيق بين القيم الغربية والقيم المحافظة للهوية الاسلامية ٠ فكان هدفها الاساسى هو تحويل القيم الدينية الى برنامج فعال للفعل الاجتماعى ، والحق ، أن حركة الاخوان كانت أقوى الحركات «الدينية ــ السياسية» فى الثلاثينات والاربعينات والخمسينات من هذا القرن ٠ وكان جوهر هذه الحركة أن الاسلام كدين صالح لان يتحول الى برنامج اصلاحى لو عبئت القيم الاسلامية وترجمت الى برامج اصلاحية ٠ فتحديث المجتمع بالنسبة لهم هو عودته الى الاسلام،أو بمعنى آخر فالاسلام هو ذاته التحديث المنشود(١٣) ٠

لقد كانت لشخصية حسن البنا وزعامته الملهمة أثر كبير فى تجميع العديد من الاعضاء من كافة الطبقات لدعوته ، ولم يرد البنا أن تكون حركته حركة دينية أو صوفية ، على العكس فلقد أراد أن تكون حركته «عامة قائمة على المعرفة والتعليم والجهاد» ٠ ولقد طلب من جماعته النزول الى الجوامع والاماكن العامة ــ سواء كان فى الريف أو المدن ــ لدعوة الناس الى تعاليم الاسلام ونبذ كل ماهو غربى وغير اسلامى ، مطالبا بالغاء القوى الحزبية واعادة الحكومة الاسلامية المستمدة من القيم الاسلامية ، داعيا الى مهاجمة

المستعمر والقوى السياسية المناندة له . ولقد كون البنا تنظيمه على اساس «الاسر» و «الخلايا» وتم تدريب الاعضاء على حمل السلاح للاشتراك فى حرب فلسطين فى عام ١٩٤٨ . ولقد كشفت الوثائق فيما بعد أن للاخوان «جهازا سريا» قام باستخدام العنف والاغتيال والانفجارات مثل محاولة اغتيال النحاس واغتيال أمين عثمان وأحمد الخزندار (رئيس محكمة القاهرة)وسليمان تركى رئيس البوليس بالقاهرة ،وأحمد ماهر ،والانفجارات التى حدثت فى بعض الاماكن العامة أدت هذه الاعمال الى صدور قرار النقراشى بحل الجماعة ومصادرة أموالها ، مما أدى بالجماعة إلى اغتيال النقراشى نفسه فى عام ١٩٤٨ ، ومما دفع القصر والاستعمار الى اغتيال البنا نفسه فى عام ١٩٤٩ . وأى كان الامر ، ففى عام ١٩٥٤ كان عدد الاخوان المسلمون فى الحركة أكثر من مليون عضوا ، هذا بخلاف الاعضاء غير المسجلين .

ولعل أهم ما يميز هذه الحركة هو شموليتها لكل جوانب الحياة الاجتماعية والسياسية . ولهذا عرف البنا حركته بانها حركة سلفية ، وطريقة سنية وحقيقة صوفية ، وهيئة سياسية ، وجماعة رياضية ، ومجتمع ثقافى وعلمى وشركة اقتصادية وفكرة اجتماعية» . وهذا يعكس مفهوم «الايجابية» و «العالمية» التى نادى بها البنا بحركته المستمدة من الاسلام(١٤) .

ولقد كان للاخوان عدة أهداف من أهمها :

(١) «هدف دينى» ، وهو شرح طبيعة الدين للناس وبيان أنه ليس مقصورا على الجوانب الروحية والشعائرية فقط ، بل يشتمل كل جوانب الحياة الاجتماعية والاقتصادية والسياسية .

(٢) «هدف عملى» ،وهو دعوة المسلمين لترجمة وتطبيق هذا المفهوم الواسع للاسلام فى حياتهم وأفعالهم ،فهدف الاخوان خلق اجيال جديدة قادرة على فهم الاسلام والقيم طبقا للنسق القيمى .

(٣) «هدف عام» ، وهو هيمنة القيم الاسلامية على كل أرجاء المجتمع المصرى . فالاسلام بالنسبة للاخوان عقيدة ونظام يجب أن يكون سائدا على كل ارجاء الحياة .

(٤) **«هدف خاص»** وهو تغيير الحالة الاقتصادية والتعليمية والمهنية والصحية لافراد المجتمع المصري . فلقد حاول الاخوان تجميع الثروة القومية وتحررها من يد المستعمر ، ولقد انشغل الاخوان في كثير من المشروعات الاقتصادية بهدف تحقيق فكرة العدالة الاقتصادية والاجتماعية في الاسلام .

(٥) **«هدف شمولي»** وهو تحرير العالم العربي وكل ارجاء العالم الاسلامي من القوى الامبريالية(١٥) .

والحق ، ان حركة الاخوان المسلمين كانت ومازالت وستظل من أهم الحركات التي أثرت على الساحة المصرية سواء من الناحية السياسية أو الدينية أو الاخلاقية . ولقد كان نجاحها راجع الى شخصية زعيمها ومهارته في احداث النهضة المطلوبة وكذلك ادراكه الواعي للمتطلبات الاجتماعية والاقتصادية والسياسية للمجتمع المصري في ذلك الوقت وانتشار الفكر العلماني ، ولذلك دعى الى التحديث الاسلامي المستمد من القيم الاصيلة والشاملةلكل جوانب الحياة الروحي منها والمادي والسياسي والفكري . وقد حققت الحركة برنامج شامل للتحديث سواء على المستوى الديني أو الاقتصادي أو التشريعي أو التعليمي أو السياسي وحتى العسكري . ولقد ساعدت عوامل عديدة على خسوف حركة الاخوان أو على الاقل ظاهريا . من المجتمع المصري من أهمها : القوى الخارجية التي طلبت بحل الاخوان لمهاجمتها الامبريالية العالمية في كل ارجاء العالم العربي والاسلامي وانشغالها بالعمل العسكري سواء كان في فلسطين أو منطقة القناة .ومن جهة أخرى ، توالت الحكومات المناهضة للاخوان كذلك القصر وكانت النهاية حل الاخوان واغتيال حسن البنا ومصادرة أموالها . ومن ناحية ثالثة فان الاخوان رغم ادعائاتهم بان برنامجهم للاصلاح شامل لكل الجوانب ، الا أنهم انشغلوا بالادوار السياسية واصبح النفوذ «الى السلطة» هي الشاغل الاول لهم . وهذا أدى بهم الى الانشغال بأعمال «العنف» كوسيلة لتحقيق هذا الهدف السياسي . . وحتى بعد قيام الثورة كان الاخوان يهتمون سواء في ١٩٥٤ أو ١٩٦٥ بالترتيب لاعمال العنف مما أدى الى اعدام العديد من قياداتهم(١٦) ولا يعني هذا غياب الاخوان من ساحة العمل السياسي من

المجتمع المصرى ، على العكس فان من الملاحظ ان الاخوان كحركة تدخل فى مرحلة من الكمون اثناء أوقات الازمات مع السلطة الحاكمة ، غالبا ما تظهر على السطح مرة أخرى لتمارس نشاطها الدينى أو السياسى أو العسكرى .

(ب) القيم الدينية وثورة ١٩٥٢ :

من المعروف أن هناك ثمة علاقة تاريخية بين الاخوان وهيئة الضباط الاحرار قبل وبعد ثورة ١٩٥٢ . فلقد كان معظم رجال الثورة أعضاء فى جماعة الاخوان المسلمين وكان هناك تعاون بين الجماعتين لتحرير مصر مما هى فيه فى ذلك الوقت . ونظرا للانتشار السريع للاخوان ، فلقد كان لهم خلايا سرية داخل الجيش المصرى قبل ثورة ١٩٥٢ ، وكان رجال الجيش يقومون بتدريب الاخوان المسلمين على الاعمال العسكرية لتحرير فلسطين . وبعد قيام ثورة ١٩٥٢ ، نجد نوعا من التعاطف السياسى من قبل الاخوان لرجال الثورة ، وتشهد بذلك البيانات الصادرة من الاخوان والثورة حول الاصلاح المنشود والمناداة بالتحرر من الاستعمار والقضاء على الفساد والاقطاع ورأس المال المستغل . ولقد ظن الناس عند قيام الثورة أنها ثورة الاخوان ،فلقد أفرجت الثورة عن المعتقلين السياسيين من الاخوان ،واعتمدت الثورة على شعبية الاخوان وعلى اتصالهم بالجماهير ،فقام الاخوان بحراسة الشوارع والشعارات كنوع من التأثير الشعبى للثورة ، ولكن سرعان ما جاء الاختلاف والصراع حول القوة والنفوذ ولمن الغلبة والسيطرة على النظام الجديد . على أية حال ، نجد للقيم الدينية فى فترة ١٩٥٢ ، ١٩٧٠ دورا رئيسيا فى معارك التنمية والتحديث(١٧) .فلقد كان من طبيعة الثورة حدوث انقلاب فى النظام السياسى ، الا أن الاتجاهات الدينية الرئيسية للاخوان قد استمرت لفترة طويلة . ويمكن القول ، أن كل - فكر الثورة ماهو الا امتداد أو رد فعل لفعل وفكر الاخوان سواء على المستوى الاجتماعى أو الاقتصادى أو السياسى ،غاية الامر ،ان الاخوان كان يريدون تكييف الواقع طبقا للمنهج الاسلامى ، ومن ثم يتحقق التحديث ، الا ان عبدالناصر وايدلوجيته كانت تهدف من ناحية اخرى ، الى ترشيد توجيه الدين فى تحقيق الدولة الحديثة بمعنى آخر ان الدين يمكن أن يكون عاملا أساسيا أو وسيلة فعالة فى تحقيق اهداف التنمية والتحديث .

كما بينا أن فكر الاخوان استمر بعد الثورة وذلك لمقاومة الماركسية والاتحاد واعطاء اساس دينى «للحركة المباركة»التى قام بها رجال الجيش. فلقد استخدم الاطار الدينى لسد النقص فى فكر الضباط الاحرار(١٨). وحاول رجال الثورة منذ البداية أن يعلنوا أن برنامجهم مستمد من القيم الاسلامية المستمد من القرآن والسنة وعمل الصحابة.فنودى بالوحدة الوطنية والتعاون ومحاربة المستعمر والتضحية والجهاد . ولقد كان استخدام العامل الدينى وسيلة لاضفاء الشرعية على الثورة . الا أنه يلاحظ أن التوجيه الدينى الذى استمر فى تلك المرحلة كان تقليدى من حيث أنه مجرد معانى عامة وعواطف شعبية مألوفة وقد بدأت شعارات دينية تأخذ مضمونا سياسيا من **«الله اكبر والعزة لله» الى «الله أكبر وتحيا مصر»** ، وهو ما سبب النزاع بين الثورة والاخوان فيما بعد وحتى الان . بمعنى ، ان الاسلام استخدم متداخلا مع قيم الحرية والمساواة والعدالة والكرامة والوطنية والصبر والايمان دون تجديد لمواقف أو نظم مجددة مع الاستشهاد بالايات القرآنية والاحاديث النبوية ، «ان كل هذه القيم الدينية الجديدة التى برزت فى الخطب السياسية كانت نوعا من ملىء الفراغ الايدلوجى لدى الضباط الاحرار . من غير ان تكون معارك فعلية يستخدم فيها الدين . كانت نوعا من الكلام والتعبير من اجل الاتصال بالجماهير»(١٩) .

الا أن العلاقة بين الثورة والفكر الدينى قد أحدث خطأ آخر خاصة بعد أحداث ١٩٥٤ وحتى بعد ١٩٦٥ ، والبحث عن «بديل» أيدلوجى وفلسفة اقتصادية جديدة كموجها لقاعدة جديدة من الجماهير على امتداد الوطن العربى . وكما أشرنا فان الصراع بين الاخوان والثورة وهو صراع حول السلطة والقوة . فلقد حاول الاخوان فرض وصايتهم على الثورة ، وأن تبدأ الثورة فى تطبيق الشريعة الاسلامية . ولقد انتقدت الثورة وصاية وفكر الاخوان ، وحاولت التخلص من هذه العلاقة وهوجمت الاخوان وتصوراتهم الاصلاحية.ويبدأ الاخوان فى الاستعانة بعمل الجهاز السرى ثم تدخل الحركة مرحلة «الكمون» وتظهر من جديد بعد ١٩٦٥ ، ثم تدخل فى مرحلة كمون جديدة ، وتخرج بعد ١٩٧٠ وهكذا حتى ١٩٨١ .

على أية حال فانه يمكننا ملاحظة استخدام أو توظيف الدين فى هذه

المرحلة فى خدمة معارك التحول الاشتراكى ومهاجمة الفكر الاسلامى المتمثل فى الحلف الاسلامى ٠ ويستجيب رجال الدين ، ويصدرون البيانات والمقالات التى تعضد القرارات السياسية والاقتصادية التى اتخذها عبدالناصر ٠ فاستخدم الاسلام فى توطيد الوحدة بين مصر وسوريا كخطوة لتوجيه العرب والمسلمين ضد الاستعمار والصهيونية والصليبية كذلك استخدم الدين للدفاع عن القومية العربية والوحدة الوطنية ورفض الطائفية «ولم يعتمد ناصر كثيراً على الوعظ الدينى السياسى باللجوء الى المحبة والاخاء بل لجأ الى تاريخ الوحدة الوطنية ومقاومة الاستعمار من لدن المسلمين والمسيحين على السواء، كما لجأ الى القومية العربية التى تضم المسلمين والمسيحيين»(٢٠)٠

ولعل اهم واظهر استخدام للدين هو التحول الاشتراكى ، خاصة بعد قرارات ١٩٦١ ، كان أساسا كمحاولة لسد النقص الايديولوجى عند عبدالناصر ، حيث لم تكن هناك نظرية اشتراكية متكاملة وواضحة المعالم لتطبيقها ونفس السلاح ـ أعنى الدين الاسلامى ـ استخدم لمهاجمة الثورة المصرية بعد حركة الانفصال ، ورد عليه بنفس السلاح مرة أخرى بان «الاسلام هو دين الاشتراكية ، فالاسلام أول من نادى بالاشتراكية ، وأول من نادى بالعدالة الاجتماعية»٠ولقد ظهرت العديد من الكتب والمقالات التى تبين اشتراكية الاسلام ، وكيف أن النظام الاشتراكى الحقيقى فى مصر هو نتاج اساسى للشريعة الاسلامية ٠ كذلك الحال بالنسبة للعلاقات مع الدول الاسلامية ، فلقد حدد كتاب فلسفة الثورة انتماء مصر بالدائرة الاسلامية (اخوان القصيدة) بالاضافة الى الدائرة العربية والافريقية ٠٠ ولقد استخدم الاسلام كرابطة بين الشعوب الاسلامية ودعوة للتحرر والثورة فى العالم الثالث ولقد رفض الفكر الثورى فى مصر اى ارتباط مع احلاف اسلامية هدفها رفع الامة العربية داخل مناطق النفوذ(٢١) ٠

(جـ) القيم الدينية والانفتاح (١٩٧٠ ـ ١٩٨١) :

والحق أن البداية الحقيقية لهذه الفترة هو هزيمة ١٩٦٧ ، فبالرغم من أن النظام السياسى ظل مستمرا حتى وفاة عبدالناصر ، الا أن ظهر فى المجتمع المصرى عودة مرة أخرى الى القيم الداعية «للصبر والايمان بقضاء الله وقدره وغيرها من التبريرات الدينية للهزيمة العسكرية» ، بدأت هناك

محاولات «استغلال» للدين الشعبى مثل ظهور العذراء «فى كنيسة الزيتون» و «شعرة النبى» فى المصاحف والاعتماد على التنجيم والحظ فى تحقيق النصر المرتقب . على أية حال فان هذه المرحلة قد تميزت بثلاثة اتجاهات رئيسية وهى : الاستخدام المجتمعى للقيم الدينية ، الفتنة الطائفية ، ظهور التطرف الدينى والعنف .

١ ـ الاستخدام المجتمعى للقيم الدينية فى المناسبات العامة :

لقد قابلت الثورة العديد من الازمات (التأمينات، الوحدة مع سوريا، الانفصال ، حرب اليمن ، نكسة ١٩٦٧) ولكنها استطاعت التغلب عليها بالرجوع الى العامل الدينى والتمسك بالاخلاق ومحاربة الافكار الملحدة التى ينشرها الخصوم السياسيين ، ولتعمل ارادة الحق فوق كل ارادة لانها جزء من ارادة الله «وتفسر الهزيمة بانها اختبار من الله عز ما شاءت ارادة الله أن تمتحن عزمها فما وهنت ولا ترددت» .

ويستخدم السادات العديد من الايات القرآنية سواء داخل خطاباته أو أواخرها التى توصى بالتسليم المطلق بارادة الله والتى تدعو الى الهداية والتوكل على الله والصبر والفداء والتضحية والاصالة . ولقد اصبح شعار العلم والايمان «شعار الدولة منذ مايو ١٩٧١ . كذلك ظهور المعجزات التى يعطها الله لشعب مصر المؤمن حيث بارك فى المحاصيل ، وهذا لم يحدث من ثلاثين عاما ، وبدأ تدفق البترول فى مصر ، وكذلك فى تفسير الانتصار العسكرى فى ١٩٧٣ . «فبدون الايمان ما كان بالامكان انجاز ماتم انجازه فالايمان فعل السحر ونداء المعركة الله أكبر فعل السحر فى ٦ اكتوبر»(٢٢) .

٢ ـ الفتنة الطائفية :

بالرغم من أن الثورة حاولت القضاء على «الطائفية» أيا كان مصدرها ، الا أن القوى الخارجية حاولت استخدام «الطائفية الدينية» واثارتها لتهديد الوحدة الوطنية(٢٣) ولكن غالبا ما كان الفكر الثورى يتصدى لهذه المحاولات بالرجوع الى الدين الاسلامى الذى ينادى بالتسامح ويبتعد عن التعصب ، وبالرغم من غياب التحليل الاجتماعى للاسباب التى تؤدى الى التعصب مثل «وجود الاقليات وسط الاغلبية والجهل الدينى للاغلبية وايذاء شعور الاقليات

بمظاهر النفاق الدينى والسيطرة الاقتصادية للاقليات تعويضا عن النقص» ، فان علاج هذه المشكلة كانت دائما تتم بالوعظ الدينى السياسى(٢٤) .

وتبدأ احداث الفتنة الطائفية فى الظهور على سطح المجتمع فى ١٩٧٠ بصورة متكررة وتفسر هذه الحوادث بأنها من فعل «العملاء» من أجل تفتيت الوحدة الوطنية فالفتنة الطائفية حتما من خارج البلاد ، وأن مخططها وضع فى أمريكا وكندا وتبلغ الفتنة الطائفية ذروتها فى أحداث ١٩٧٧ حيث يحيل السادات الموضوع الى رجال الدين وينصحهم بالتربية الدينية ويجعلها مادة اجبارية فى المدارس والاستعداد لذلك بالمدرسين والكتب المكتوبة بأسلوب عصرى عن الدين (٢٥) . «وعلى رجال الدين الواجب الاساسى وهو اعادة الايمان والسماح والحب والقضاء على الحقد الذى سيسرى فى النفوس دون هذه الحوادث المتفرقة التى حدثت فى الفيوم وأسيوط تنادى رجال الدين الاسلامى والمسيحى لمواجهتها على مستوى المسئولية الوطنية ، وهى حوادث قليلة فى أرض الرسالات والانبياء» ويرجع الرئيس السادات الطائفية الدينية الى ظهور ما يسمى «بالنعرة الدينية» والتعصب والمغالاة فى المظاهر وهى رد فعل للسيطرة المادية والالحاد فى وسائل الاعلام الذى يؤدى بدوره الى التعصب الدينى وتظهر جماعات تتعصب كل منها لدينها ، فتظهر الطائفية(٢٦) .

٣ ـ التطرف الدينى والعنف :

لقد أدت الهزيمة السياسية فى ١٩٦٧ الى اعادة ظهور العامل الدينى وخروج القيادات الدينية للحركات الدينية من طور «الكمون» الى طور «الحركة» وبدأت هذه القيادات تتحسس الخطى فبدأت أولا «بالتطهيرية الدينية» المتمثلة فى الزى الاسلامى واعادة فتح ملف الاخوان على صفحات الجرائد والمجلات المصرية والعربية(٢٧) . ولاشك ، ان للدول النفطية كما سوف نبين فيما بعد دورا اساسيا فى امداد هذه القيادات بالتخطيط الاستراتيجى للعمل فى هذه المرحلة كذلك التمويل المالى لتجنيد الشباب من أجل الفكرة . أو «الجماعة» الاسلامية . ونظرا لطبيعة هذه المنظمات

حيث تتطلب الولاء والطاعة العمياء من الاعضاء ، هذا من ناحية ، والطبيعة النوعية للاعضاء ، مثل سنهم ووضعهم الطبقى من ناحية ثانية ، وقدرة الدافع الدينى من ناحية ثالثة ، فان المجتمع المصرى فى طوال السبعينات قد شهد العديد من الجماعات الدينية المتطرفة والتى لجأت الى العنف كوسيلة لتنفيذ أغراضها ، مثل حوادث الكلية الفنية العسكرية ، أو مقتل الشيخ الذهبى • ولقد فسر الرئيس السادات ظهور المنظمات الدينية السرية بانه «بسبب عمق التدين ظهرت الموجة هنا فى شكل الشعوذة الدينية» • ونسبت هذه المنظمات الى عناصر من الخارج وتعددت ظهور الجماعات والمنظمات الدينية المتطرفة ، كالجهاد الاسلامى والتى انتهت بحياة الرئيس السادات فى ١٩٨١ وهكذا تمت أو تنتهى الدراما الدينية ـ السياسية بين الثورة والاخوان • فلقد تصورت القيادة السياسية للثورة أنها انهت الاخوان فى ١٩٥٤ ، و ١٩٦٥ ، الا أن العامل الدينى كان هو الغالب ، فلقد ترجمه «رصاصة» العامل الدينى خروج الفكرة الدينية الى حيث الفعل السياسى أو العنف •

٤ ـ دور التنظيمات الدينية الرسمية فى التعقيد والاعتراض على السياسة العامة للدولة :

حاولت الثورة منذ البداية ان يكون لها دورا أساسيا فى توحيد التنظيمات الدينية الاسلامية والمسيحية ، فجاءت نصوص الدستور سواء ١٩٥٦ ، ١٩٦٤ على أن الاسلام دين الدولة ، وجعل الدين مادة اساسية فى كل المدارس للمسلمين والمسيحيين على السواء ، وكذلك تدخلت الدولة فى بناء المساجد وتوجيه الائمة ، فان الثورة عملت على أن يكون على قمة التنظيمات الدينية شخصيات متجاوبة مع التوجيهات الرئيسية للسياسة العامة الداخلية والخارجية • وهذا يفسر لنا القرارات الجمهورية والوزارية الخاصة بالغاء المحاكم الشرعية (قانون ٤٦١ لسنة ١٩٥٥) والغاء الاوقاف واعادة تنظيم الازهر والهيئات التى يشملها (قانون رقم ٦٠٣ لسنة ١٩٦١) ، وانشاء المجلس الاعلى للشئون الاسلامية ومناقشة امكانية تطبيق أحكام الشريعة الاسلامية ، وتنظيم الطرق الصوفية (قانون رقم ١١٨ لسنة ١٩٧٦) • ومن ناحية اخرى حرصت الثورة على احترام سلطة الكنيسة وعدم التداخل

فى أمورها ، الا فى الحالات التى كانت تستدعى تدخل الدولة لمصلحة الكنيسة ، مثل ما حدث فى تدخل الدولة عام ١٩٥٣ عندما استفحل الخطر فيما بين المجلس والبابا ، مما أدى بعد ذلك الى قيام الدولة باصدار القانون الجديد المنظم لانتخابات البابا فى ١٩٥٩ ، أو أن يكون تدخلها للامن القومى عندما نصب الانبا شنودة فى السبعينات ، وحاول التحريض والاعتراض وكانت النتيجة قرار رئيس الجمهورية بعدم الاعتراف بتوليه منصب البطريرك(٢٨) .

وبالنسبة للتنظيمات الدينية الرسمية الاسلامية ، فانه يمكن القول أن هناك تجاوبا مع قيادات هذه التنظيمات والسياسة العامة ، فقد عقد كبار رجال علماء الازهر فى ١٩٥٤ مؤتمرا اعلنوا فيه تأييدهم لرجال الثورة «لانهم مرتبطون بالنزعات الاسلامية ومهتدون بالرسالة المحمدية ومؤيدون من الله» ، كذلك ايدوا معاهدة الجلاء رغم معارضة الاخوان والاحزاب لها . وفى نفس العام انتقد علماء الازهر محاولة الاخوان واغتيال عبدالناصر . كذلك الحال بالنسبة للقوانين الاشتراكية ١٩٦١ ، واعتبار الميثاق الوطنى ١٩٦٢ «وثيقة اسلامية» لانه يتفق فى مبادئه ومبادىء الدعوة الاسلامية وانه ينشد مجتمعا اسلاميا .. وسيكون مثالا ونموذجا يجب أن تحتذيه الشعوب العربية والاسلامية . كذلك الحال عندما أيد شيخ الازهر الرئيس عبدالناصر لدخوله حرب ١٩٦٧ والوقوف مع الحكومة ضد أحداث الشغب فى يناير ١٩٧٧ ، حيث جاء فى بيان شيخ الأزهر ومجلسه ، جاءت صيغة الاستنكار فى الكلمات الاتية : «ان مصر التى عبرت بقوة الله وصمدت بايمان قائدها وجيشها امام كثير من الازمات وبدأت تبنى صرح الايمان والعلم لا تؤثر فى سيرتها المؤمنة ولا فى قيادتها الحاكمة مثل هذه التصرفات المفسدة لهؤلاء الخوارج الذين تعمدوا الافساد فى الارض فأبغضهم الله وكره التعاون معهم» . وكذلك الحال بالنسبة لتأييد السلطات الدينية الرسمية للدولة عند ظهور الجماعات الدينية المتطرفة والتى تفكر على أساس ان الدين يلغى شرعية النظام القائم ، وتلجأ الى العنف فى مناهضته ... فلقد طالب الشيخ الشعراوى – وزير الاوقاف فى ذلك الوقت – بعد مقتل الشيخ الذهبى عن طريق هذه الجماعات ، الى «الضرب بشدة على أيدى المجرمين المتاجرين بأسم الاسلام ... (فهم)

مصابون فى دينهم وفى عقولهم وفى خلقهم وفى وطنيتهم، أعطوا أعداء الاسلام الفرص للتهجم على الاسلام • ولصد التيار الدينى الجارف فى ظل دولة العلم والايمان ، ذلك التيار الذى أوصل عدة مشروعات قوانين الى مجلس الشعب تمت صياغتها على اساس الشريعة الاسلامية لتحكم بها مصر ولاتزال هناك قوانين جديدة فى الطريق الى المجلس » • أكثر من هذا، فان الازهر الشريف بجميع هيئاته اعلن فى مايو ١٩٧٩ بشان معاهدة كامب ديفيد «ان معاهدة السلام المصرية الاسرائيلية تقوم على حدود الحكم الاسلامى ••• شانها فى ذلك شان صلح الحديبية ، لانها تحقق خير لاشك فيه للمسلمين برد الاراضى الاسلامية الى اهلها ، كما انها تحافظ على حق الفلسطينين فى تقرير مصيرهم ، كما وأنها لا تنطوى على أى تفريط فى عروبة القدس «نفس الحال بالنسبة لمفتى الديار المصرية فالاتفاقية بالنسبة له تنبع من احكام الاسلام(٢٩)•

أما بالنسبة للتنظيمات الدينية المسيحية ، فانه يمكن القول بأن الشخصيات التى تولت منصب البابا غالبا ما يكون هناك خلاف حولها داخل المجتمع القبطى ولهذا لم يكن لها الولاء من كافة المنظمات المسيحية ، أو أنها تكرس اهتماماتها للمسائل الدينية فقط • وعامة ، فان هذه المنظمات وقيادتها سايرت المنظمات الاسلامية فى تاييدها وتعاطفها ازاء الاحداث والازمات القومية خاصة السياسى منها • ففى أحداث الشغب والمظاهرات الطلابية عام ١٩٦٨ ، أرسل البابا كيرلس رسالة الى جميع الكنائس فى مصر طالب فيها «أن تؤدى الكنيسة دورها النضالى فى مواجهة الحملات المشبوهة للنيل من وحدة الجبهة الداخلية عن طريق المنبر الكنسى والعظات» • كذلك الحال بالنسبة لاتفاقية كامب ديفيد ، أرسل البابا شنودة الثالث برقية الى الرئيس السادات جاء فيها ان جميع رؤساء وممثلى الكنائس والطوائف المسيحية فى مصر «تدارسوا معا الظروف السياسية فى الشرق الاوسط وما قمتم به من مجهودات رائعة من اجل السلام ، يسرهم أن يعبروا عن تاييدهم الكامل لسياستكم الموقرة الحكيمة الحازمة رافعين الصلوات الى الله ليبارك جهودكم وان يحقق السلام على ايديكم ويزيل العوائق»(٣٠) •

ولا يعنى هذا التعضيد عدم وجود خلافات داخلية بين مفكرى رجال

الدين الاسلامى والمسيحى مع شيخ الازهر والبابا ، اكثر من هذا فان بعض رجال الازهر كان لهم اعتراضات أو «تحفظات» على بعض الامور · مثل دعوة الميثاق الى المساواة بين الرجل والمرأة والتأميم والقوانين الاشتراكية ، وحصر الملكية الخاصة·أما بالنسبة للتعبير عن الاحتجاج من جانب المنظمات المسيحية فانها فى معظمها كانت حول تراخى الحكومة اما فى تنفيذ قرارات المجتمع المقدس كما حدث فى عام ١٩٥٥ بشأن اعفاء الانبا يوساب الثانى ، أو قرار الحكومة بوقف اجراء انتخابات البطريرك عام ١٩٥٧ · وكان الاعتراض يتخذ شكل الصوم والصلاة الجمعية · ولعل من أهم مظاهر الاجتجاج المسيحى هو قرار الانبا شنوده وقف احتفالات الكنيسة بعيد الفصح فى ابريل ١٩٨٠وتخصيص يوم الاحد السابق للعيد للصوم الجماعى احتجاجا على تعدد أعمال العنف ضد الكنائس والقانون الصادر باعتبار الشريعة الاسلامية المصدر الرئيسى للتشريع ولقد عبرت عن هذه الاحتجاجات جمعية قبطية فى الولايات المتحدة فى مظاهرة امام البيت الابيض اثناء زيارة السادات فى ١٩٧٩ · وبالرغم من تفضيل الكنيسة والمجلس الملى لتصرفات هذه الجمعية ، الا أن السادات انتقد الانبا شنودة على أن له مطامع سياسية» وتضمنت قرارات ٥ سبتمبر ١٩٨١ اقصاء الانبا شنودة وتحديد اقامته هو وبعض رجال الدين الاسلامى ووقف بعض المجلات الاسلامية والمسيحية(٣١)·

كل هذا يبين الدور الذى أخذته المنظمات الرسمية فى كل من الدين الاسلامى والمسيحى من تعضيد أو الاعتراض الايجابى أو السلبى لسياسة الدولة · ويلاحظ أن مواقف الاحتجاج هذه «نادرا إثنت السلطات العامة عن اتباع المسلك موضوع الاحتجاج» ·

٥ ـ كيف أثرت الدول النفطية على نسق القيم فى المجتمع المصرى :

١ ـ احتواء الاخوان وفكرهم : لقد حاولت الدول العربية عامة والنفطية خاصة العمل على احتواء الاخوان سواء بطريقة مباشرة أو غير مباشرة وذلك فى مرحلة عبدالناصر · فلقد أدركت هذه النظم العربية أن الاخوان كانت تمثل المعارضة الوحيدة للفكر الناصرى ، وحاولت هذه النظم العربية سواء كان هذا بدافع تلقائى أو بتحريض من الدول الغربية استفاضة فكر الاخوان·

وقد عملت هذه الانظمة على توجيه الفكر الدينى نحو : (أ) تقويض فكرة القومية العربية التى نادى بهـا عبدالناصر ؛ (ب) استخدام الفكر الدينى كميكانيزم دفاعى ضد الاشتراكية الناصرية ، ومواجهة الغزو الفكرى الروسى للمنطقة ، (جـ) استغلال الفكر الدينى للدفاع عن هذه الانظمة العربية وتبريرا لاوضاعها ومصالحها الشخصية . ولم يكن لقادة الفكر الدينى أى مشكلة فى تلبية هذه الحملة ضد النظام المصرى وأشخاصه ، خاصـة بعـد التصـادم والتصفيات التى قام بها نظام عبدالناصر لرجال وفكر الاخوان فى ١٩٥٤ ، ١٩٦٥ . وقد سـاعد على ذلك كثرة الاموال التى رصدت لهذه الحملات ، وكذلك المرتبـات التى صرفت للعاملين من رجـال الفكر الدينى فى هـذه المجتمعات .

٢ ـ استغلال العامل الدينى فى تقويض الايدلوجيـة المصرية : حاولت الدول النفطية ان تستغل قوة الشعور الدينى عند المسلمين العاملين فى هذه الدول . فلقد استخدمت وسائل الاتصال الجماهيرى فى ابراز دور العامل الدينى فى تحقيق «سعادة الدارين» وبيان كيف ان الايديولوجية الناصرية ماهى الا امتداد للفكر الشيوعى الذى أدى الى الهزيمة العسكرية ١٩٦٧ والى تخلف المجتمع ، ولاشك أن من يعمل فى هذه الدول النفطية ـ رغم وجود الشعور الدينى القوى ـ يميل الى تبرير وجود الفوارق الطبقية وقد ساعد على ذلك الاجور المرتفعة التى يحصلون عليها بالمقارنة لاجورهم فى المجتمع المصرى . وباختصار فان العاملين فى هذه المجتمعات كانوا تحت تاثير ما بثته اليهم وسائل الاتصال الجماهيرى .

٣ ـ المؤتمرات والكتب الاسلامية : حاولت الانظمة العربية النفطية أن تجذب رجال الفكر الدينى وذلك عن طريق عقد المؤتمرات الاسلامية داخل هذه المجتمعات ، وطرح العديد من التاثيرات الايديولوجية ، كذلك تشجيع التاليف فى الفكر الدينى الاسلامى السلفى الذى لا يسمح بالتجديد وتحتفظ بالاصول الفقهية .

٣ ـ المؤتمرات والكتب الاسلامية :

حاولت الانظمة العربية النفطية ان تجذب رجال الفكر الدينى وذلك

عن طريق عقد المؤتمرات الاسلامية داخل هذه المجتمعات ، وطرح العديد من التاثيرات الايديولوجية ، كذلك تشجيع التاليف فى الفكر الدينى الاسلامى السلفى الذى لا يسمح بالتجديد وتحتفظ بالاصول الفقهية .

٤ ـ تمويل الجماعات الدينية :

لجأت بعض الحكومات النفطية الى التمويل المالى للجماعات الدينية السرية والعلنية وذلك بهدف تقويض النظام الناصرى ، وحتى بعد موت عبدالناصر استمرت هذه الحكومات فى تمويل الجماعات الدينية المتطرفة ، وحاولت استخدام العنف الدينى كوسيلة لغرض الوصاية السياسية على النظام برمته . ولقد نجحت هذه الحكوملت فى تجنيد بعض الشباب الذى يعمل فى هذه الدول فى المشاركة الظاهرة أو السرية فى هذه الانشطة التطرفية والدعوة لترويج بعض الافكار الدينية السلبية .

ولاشك ، ان كل هذا قد انعكس بطريقة أو باخرى على الانسان المهاجر فى هذه الدول حيث عايش باقتناع أو التظاهر تلك المسحة الدينية الشكلية فى هذه الانظمة العربية . فكل ما يدور حوله يؤكد على الدين كموجه اساسى للسلوك . ولهذا يتبنى المصرى العديد من الانماط السلوكية (الزى ـ الذقن ـ الحجاب ـ الشعار ...) وكل اكتساب حضارى للتجربة التى مر بها فى هذه المجتمعات ومن ناحية أخرى أعطت هذه التجربة الانسان المصرى الفرصة فى التفكير فى التعبير عن ذاته وتحقيق أماله وآحلامه المادية(٣٢) فالتقدم المادى والتكنولوجى فى نهاية فترة عبدالناصر وبداية عصر السادات كان اقل كثير بما يحدث فى الدول العربية ، وقد سنحت الفرص للانسان المصرى المهاجر بتنفيذ بعض من آماله وأحلامه فى عصر الانفتاح الاقتصادى . ولهذا ليس بمستغرب أن نجد بعض من المهاجرين يحاولون تقليد ما كان يحدث فى مجتمع المهجر من مشروعات استثمارية على المستوى الفردى أو المجتمعى لتحقيق الارباح الهائلة . ولقد نمت معظم هذه المشروعات دون ان يكون هناك خطط قومية ، أو حتى الاهتمام بوجود مثل هذه الخطط ، اما الهدف هو تحقيق مشروع يدر ربح اقتصادى فقط(٣٣) . كل هذا يتم بتاثير دافع دينى وهروبا من البنوك وفوائدها . على أية حال ، نخلص من كل ماسبق بأن ما حدث للشخصية المصرية قد أدى الى :.

(أ) بروز القيم الاقتصادية بعد أن سنحت الفرص للتعبير عنها فى «عصر الانفتاح» وقد ساعد على ذلك الدخول المرتفعة فى البلاد النفطية ومعايشة بعض الخبرات العربية فى هذا المجال -

(ب) وجود مسحة دينية سطحية تحقق الرضا الدينى وتبرز ما يقوم به الفرد من أنشطة اقتصادية ٠

(جـ) الاهتمام بالاحداث الدينية والفكر الدينى قد لازمه اهتمام مصاحب بالتقدم التكنولوجى والفكر الغربى ٠

(د) كل هذا أدى بلاشك الى «ازدواجية» فى الشخصية المصرية ازدواجية العلمانية والدينية من ناحية «والمصرية والعربية» من ناحية أخرى : والانفتاح والانغلاق على الذات من ناحية ثالثة ٠

خاتمـــة :

نخلص مما سبق ، ان القيم الدينية لها دورها الرئيسى فى المجتمـع المصري فالتنظيمات الدينية الرسمية ـ المسلم منها والمسيحى ـ لها الدور التقليدى فى التعضيد أو المقاومة السلبية ، على السياسة العامة للدولة • هذا الى جانب وجود الفكر الخاص بجماعة الاخوان المسلمين ، وأيضا ظهور العـديد من الجماعات والمنظمات الدينيـة السرية والتى تمثـل «التطرف الدينى» •

ومن الملاحظ ، أن الدين من قبل الجهاز الحاكم كان يستخدم للدفاع عن النظام الاجتماعى والقرارات الخاصة بالتغيرات فى النظام الاقتصـادى أو السياسى أو العلاقات الخارجية • فالدين كان سلاحا مروضا على القيادات السياسية للدفاع به عن اى خطر تحدثه فى بنية النظام الاجتماعى كذلك من ناحية اخرى فهو يستخدم لتجريد المعسكر المعارض من أمضى سلاحه معـه وهو سلاح الدين أمام الجماهير ، واعادة تصويبه اليه • فالثورة استخدمت الدين ولكن فى خدمة قضايا التقدم بعكس الاخوان الذين رأوا فى «أسلمه» النظام الاجتماعى المصرى هو التقدم والتحديث نفسه • ولكن الدين ظهر فجاة فى دور المنظمات الدينية السرية والتى رأت أنه باسم الدين يمكن للفعل السياسى أن يتخـذ مجراه ، ولهذا ظهـر «العنف» كوسيلة مشروعة لهذه المنظمات لتحقيق المجتمع الاسلامى المنشود •

ولاشك ، أن الدول النفطية قد لعبت دورا هاما فى الترويج للعامل الدينى وذلك فى محاولتها التصدى للمد الاشتراكى لايديولوجية عبدالناصر ، ومحاربة الشيوعية بعد وفاته لقد حاولت هذه الدول النفطية قذف حمى العامل الدينى خارجها بعـد تلجيمها للقادة الدينيين فى مختلف المنظمات الدينية • ولهذا ، كان هناك دائما مصـدر خارجى «يحرك الامور فى كل الاحداث التى ظهرت فى المجتمع المصرى والتى اتخذت من العنف اسلوبا لفرض الهيمنة الدينية ، وسيظل للعامل الدينى قوة الدفع فى هذا الجـو المشحون بالعاطفة الدينية وفى ظروف عدم احتواء النظام السياسى لهذه التنظيمات • وفى ظل التفاوت الاقتصادى بين طبقات المجتمع سيكون العامل الدينى هذا المخلص» لتحقيق العدالة المنشودة •

الهــوامش والمصــــادر

(1) Gellner, E., "A pendalum Swing Theory of Islam" in R. Robertson (ed.) **Sociology of religion : selected redings :** Boltimore · penguin 1964, p. 127.

(٢) انظــر : بيــومى (محمــد احمــد) ، علم الاجتماع الدينى ، الاسكندرية : دار المعرفة الجامعية ١٩٨٥ ، ص ٤٧٢ – ٤٧٣ .

(٣) المرجع السابق .

(٤) لمزيد من المعلومات عن حركات التحديث فى العالم الاسلامى انظــر :

Jeffery, A., "Present Day Movements in Islam", **The Muslim World** pp. 165-186.

Mohmassani, S. "Muslim Decadence and Renaissarce, ',**The Muslim World.** pp. 186-201.

Hodgsm, M., "Modesity and the Islamic Heritage" **Islamic studies** pp. 55-128.

(٥) لمزيد من المعلومات عــن حركات التحديث فى العالم الاســلامى انظر :

Rahman, F., "Islamic Modernism, its scope, Mathod and Alternative", **International J. of Middle East Studies.** Vol. 1. (October 1970) No. 4 pp. 317-333.

"The Impact of modernity on Islam" **Islamic studies.** Vol. 5. (1966) No. 2, pp. 113-128.

Valkiotis, P. J., (ed.) **Revolution in the Middle East and other Cases Studies :** London : George Allen and uniwin Ltd, 1977.

(6) See : Mu Lick M.A.H., the challeng of Modern Development Before the Muslim World Corsidered in the light of European and Islamic Caltural History", Islamic Studies, Vol. 6. (1967) No. 3. pp. 225-239.

(7) Bayyumi, M. A., **The Islamic Ethic of Social jurtice and the sipirt of Modernizatioa in Egypt.** (P.H.D. Disserlation 1976. Temple University U.S.A) pp. 534-535.

انظر ترجمة وتلخيص لما كتبناه فى مقالة د. حسن حنفى «الدين التنمية فى مصر» كتاب تحرير سعدالدين ابراهيم ، مصر فى ربع قرن (١٩٥٢ ـ ١٩٥٧) ودراسات فى التنمية والتغير الاجتماعى ، بيروت معرض الاتحاد العربى ١٩٨١ ، ص ١٩١ .

(8) Ibid.

(9) Smith, D. E., **Religion and political Development :** Boston:Little Brown and Company, 1970. p. 7-86.

(10) Black, G. E., The **Dynmics of Modernization** New York Harper and Raw 1966, pp. 46-49.

(11) Creceluis, D., "The course of seculurization in Modern Egypt, in D. E. Smith, **Religion and political Modernization** New Haven : Yale University press, 1974, p. 91.

(12) Bayyumi, M. A., Op. Cit., pp. 121-123.

(13) Ibid.

(14) Ibid., pp. 156-180.

(15) Ibid., pp. 100-188.

(16) Ibid., pp. 382-403.

(17) Ibid., pp. 417-435.

(١٨) انظر حسن حنفى ، مرجع سابق ، ص ١٩٣ — ١٩٤ .

(١٩) المرجع السابق ص ٢٠٦ — ٢١٠ .

(٢٠) المرجع السابق ص ٢٤٠ .

(٢١) المرجع السابق ص ٢٤٩ — ٢٦٩ انظر ايضا .

Curtis, M., (ed.) **Religion and Political in the Middle East** Baulder Westrein press, 1981. pp. 77-128.

(٢٢) حسن حنفى ، مرجع سابق ، ص ٢٦٧ .

(23) See, Shoukri, G., **Egypt portraill of A President Sadat's Roads, to Jursdem** London : 2 eol press 1981 pp. 271-305.

(٢٤) حسن حنفى ، مرجع سابق ، ص ٢٤١ .

(٢٥) المرجع السابق ص ٢٤٣ .

(٢٦) المرجع السابق ص ٢٤٧ — ٢٤٨

(٢٧) المرجع السابق ص ١٨٧ — ٢٨٨

(٢٨) السـيد (مصطفى كامل) ، **المجتمع والسياسـة فى مصر : دور جماعات المصالح فى النظام السياسى المصرى** (١٩٥٠ - ١٩٨١) ، القاهرة : دار المستقبل العربى ، ص ١٣ - ١٤ .

(٢٩) المرجع السابق ص ١٥ - ١٩ .

(٣٠) المرجع السابق ص ١٨ - ١٩ .

(٣١) المرجع السابق ص ١٩ - ٢٢ .

(32) See : Thompson, J. H., **Modernization of the ayab World**. New Jersey : D. Van Nostrand Company,

(٣٣) لمزيد من الدراسات عن تاثير الدول النفطية على المجتمع المصرى عامة والانسان المهاجر خاصة أنظر :

Kerry, M. H., and Yassin, 5 (eds.) Rich and Poor states in Middle East **Egypt the New Arab order** Boulder : Western press, 1982, pp. 17-78, 165-224, 285-318-449-472, 1960. pp. 26-36, 37-51 61-86, 102-114, 115-125.

Halperm, M., the **politics of social Change in the Middle East and North Africa**. New Jersey : princeton University press, 1965.

الفصل الثالث

التحليل السوسيولوجى لظاهرة التطرف وارتباطها بالعنف فى المجتمع المصرى

١ ـ تمهيـــــد : طبيعة الجماعات الدينية من المنظور السوسيولوجى .

٢ ـ العوامل التى تؤدى الى ظهور الجماعات الدينية

٣ ـ التطرف : المعنى والاسباب والمظاهر

٤ ـ التطـور التاريخى لظاهرة التطرف وارتباطهـا بالعنف فى المجتمع

٥ ـ التطرف والعنف وظاهرة تكفير المجتمع

٦ ـ خاتمـــــة .

١ ـ تمهيـد : طبيعة الجماعات الدينية من المنظور السوسيولوجى ٠

سوف نناقش فى هذا الجزء كيف تترجم الافكار الدينية الى تنظيمات اجتماعية وكيف أن هذه الجماعات الدينية بدورها تقوم بوظائفها تجـاه اعضائها وتجاه الجماعات الاخرى ٠ وكما سوف نرى فان هذه الجماعات الدينية لها أهتمام خاص بالمشاكل المتعلقة بأهداف الحياة المشتركة بالنسبة لاعضائها ، كذلك هناك اتفاق حول مجموعة من المعايير التى يرجى منها أن تحقق الاهداف العامة ٠ ومن ناحية أخرى تتميز هذه الجماعات الدينية مثل أى تنظيم آخر ، بتحديد واضح للادوار وتوقعاتها للاشخاص داخل الجماعة وخارجها فمعظم الجماعات الدينية تتفق حول قائد معين وتحدد واجباته فضلا عما تحدده الجماعة من ادوار أخرى لاشخاص آخرين مثل الادوار الخاصة بأداء الشعائر أو الدفاع عن العقائد أو القيادة السياسية(١)٠ وأخيرا فان الجماعة الدينية تتطلب تحديدا واضحا لدرجة الانتماء الدينى للجماعة وما يتضمنه هذا من واجبات وتضحيات وحقوق ٠

(أ) طبيعة التنظيم الدينى :

اما بالنسبة لطبيعة الجماعة الدينية فنقول ان الجماعات الدينية غالبا ما تنظم نفسها حول المعايير والمبادىء الدينية ،ورغم اشتراك هذه الجماعات مع الجماعات الاخرى من حيث طبيعة التنظيم الا أن لها أهداف مختلفة وقد تكون لها مجموعة من المعايير المنظمة المختلفة ايضا ٠ ولكن الجماعة الدينية ـ كأى جماعـة أخـرى ـ تحاول حل الاختلافات الخاصـة بتفسير وتطبيق أهدافها ومعاييرها وأدوارها ، فقد تميل الى تكيف أو تعديل هـذه الاختلافات والمعايير والادوار حتى تتناسب مع الجماعات الاخرى٠وتجدر الاشـارة هنـا ، بأنـه عندما يزداد حجـم الجماعـة أو التنظيم الدينى ، فان درجة الاتفاق بين الاعضاء حول الاهداف والمعايير تقل الى درجة كبيرة وقد يرجع هذا الى عدم استمرار التفاعل والاتصال بين الاعضاء ، فأتساع الجماعة يعنى عدم التحكم من الاعضاء فى مستوى الفهم والانتماء بين كل

الاعضاء . ولهذا نجد اختلافا بين الاعضاء فى فهم الاسس العقائدية العامة. وقد تلجأ الجماعات الدينية الى التضحية بالاتساع فى الحجم من أجل المحافظة على النوعية الخاصة والاتفاق العام بين الاعضاء .

ولهذا السبب تتعرض جميع المنظمات الدينية لاختيار صعب لا يمكن تجنبه وهى فى سبيلها لتشكيل السلوك الانسانى على نمط محدد سواء كان هذا النمط قد حددته العقيدة الدينية أو المبادىء الاخلاقية أو الفلسفة السياسية . فلكى يمكن للتنظيمات أن تواصل نجاحها فى التاثير على المجتمعات الانسانية طبقا لاهدافها وعليها أن تكون مؤثرة فى اتجاهين : من ناحية على ان تقوم بتنظيم عادات اعضائها بحيث تتوافق مع مثلهم الخاصة . ومن ناحية أخرى ، فلكى تؤثر هذه المنظمات على المجتمع الكبير ، عليها أن تمتد وتتسع فى تنظيماتها وتزيد من طاقة تأثيرها من خلال جذب بعض الاشخاص ذوى المكانة والقوة فى المجتمع الكبير . والحق أن هذين هما جانبا الاختيار ، فالنجاح فى احدهما يعنى دائما الاخفاق فى الاخر . بمعنى آخر أن التنظيم الدينى غالبا ما يواجه المشكلة لاختيار ما بين المحافظة على النقاء الخلقى والروحى على حساب تحديد نطاق التأثير الاجتماعى أو تحقيق السيطرة على المجتمع ككل على حساب التضحية بالمثل المميزة لهذا التنظيم .

ويتضمن هذا الاختيار فرضين أساسيين : الاول يشير الى المحافظة على النظام فى الجماعة يتضمن افتراضا مؤداه أن الضبط الدينى والاخلاقى قد يتعارض مع سلوك معظم اعضاء الجماعة . فالافراد يختلفون من حيث طاقاتهم الدينية واهتماماتهم ، فقليل منهم يتميزون باستعدادات دينية ، وعلى ذلك فهم يتقبلون كل ما يختص بالاخلاق والمبادىء الدينية دون مناقشة ، اكثر من هذا فان المتطلبات المطلقة للمعايير الدينية تؤثر على الشخص باكمله ، فقد يطلب من العضو الذى ينتمى اليه تنظيم دينى أن يضحى ويتنازل عن حريته الشخصية بينما يتعلق بممتلكاته المادية أو مشاعره أو واجباته الاسرية أو الاستمرار فى عمل مستقر أو الامتناع عن بعض المتع الحسية المتمثلة فى الطعام والشراب أو العلاقات الجنسية . أكثر من هذا فقد يطلب الى الشخص أن يعيد تصوره لعالمه النفسى ، أى أفكاره وتصوراته

ورغباته وما الى ذلك ٠ فالعضو مطالب بأنه ملزم بهذا النظام طوال الاربع وعشرين ساعة كل يوم ٠ ولا نجد أى من المنظمات الاخرى يطالب بمثل هذه المطالب فيما عدا بعض المنظمات السياسية التى نجدها قد اتخذت طابعا شبه دينى ٠ والحق أن نماذج معينة من الجماعات الدينية هى التى تؤكد على هذا الالتزام بين اعضائها فهناك جماعات دينية أخرى يعد التصديق السطحى كافيا ٠ ولكن فى الحالات التى تبلغ الاوامر والضوابط الدينية والاخلاقية مداها ، يواجه التنظيم الدينى بعض المشاكل المختلفة فى الردة والانسحاب والعصيان والتى قد تؤدى الى قلقلة التنظيم الدينى لو أن قيادته حاولت أن تتشدد فى تطبيق الاوامر الدينية ٠

ويتعلق الافتراض الثانى بمشكلة التاثير على السلوك الانسانى من حيث أن الاهداف الاخلاقية للمنظمات الدينية عادة ما تكون غير متلازمة مع الاهداف المتفق عليها للمجتمع وأنظمته المختلفة ٠ بمعنى آخر هناك صراع اساسى قائم بين الاهتمامات الدينية والدنيوية ٠ وتستطيع الجماعات الدينية أن تواجه هذا الموقف بأحد طريقتين (أ) فهى تستطيع أن تحاول تخليص اعضائها من العالم الملىء بالشرور عن طريق الانسحاب منه بقدر الامكان ، (ب) والبديل الاخر هو الانشعال فى معركة حقيقية مع الدنيا محاوليين تغييرها ٠ وقد يؤدى انسحاب هذه الجماعات الدينية من معركة الحياة الى تناقص عدد اعضائها ، كذلك ضعف التاثير الذى يباشره على المجتمع الكبير ٠

(ب) طبيعة القيادة الدينية :

قد تتخذ السلطة الدينية شكلا هرميا تتطلب تدريبا متخصصا وخبرة لاولئك الذين يمارسون هذه الادوار ٠ وتتوقف درجة نجاح السلطة الدينية على درجة العلاقة بين القادة والاعضاء منناحية ودرجة تمتع القيادة بسلطة ملهمة من ناحية أخرى ٠ والملاحظ أن السلطة الكارزمية «السلطة الملهمة هى النمط السائد فى قيادة الجماعات الدينية ويقصد بالسلطة الكارزمية هو أن الشخص القائد يتميز بصفة خاصة لشخصيته وبفضلها يتميز عن أقرانه العاديين ولهذا يعامل على انه يملك قوى فوق طبيعته او فوق انسانيته أو على الاقل قوى خاصة به ليست فى متناول الشخص العادى بل ينظر اليها

على أنها صفات • مقدمة ، أو قدوة • وعلى اساس هذه الصفات ينظر الى الشخص المتمتع بها أو يعامل على أنه القائد • وكما هو معروف فأن القيادة الكارزمية لها سمتين أساسيتين : أولا فهى دعوة الى العنصر غير العقلى فى الطبيعة الانسانية • بمعنى آخر فان طاعة اتباع القائد الملهم أو تلاميذه نابعة من الحماس ، وقائمة على اساس الكرمات التى تثبت الموهبة الالهية لديه • ولهذا فان القائد الكارزمانى يتطلب ولاء غير مشروط من اتباعه • ثانيا : تتسم الكارزما بكونها خارجة عن الطبيعة العادية ولهذا فهى راديكالية أو ثورية تحاول تحدى نسق القيم الثابت وذلك عن طريق خلق نسق قيمى جديد يحاول احداث التغيير المجتمعى • ولهذا غالبا ما يكون لهؤلاء القادة الملهمين دعوة لنشر قيم جديدة واحساس بالثورية ووعد وأمل فى المستقبل المنشود •

(جـ) طبيعة العضوية فى الجماعات الدينية :

أما بالنسبة للاعضاء ، فالملاحظ أنه على المستوى العالمى فى كل المنظمات الدينية أن هناك اهتماما متزايدا من جانب الشباب بالبحث عن «بدائل» دينية على حساب الاديان التقليدية المتوارثة • فهناك حركة بين الشباب عامة الى البحث عن أديان أو حركات تتميز باتجاهات الذاتية فى مقابل الاتجاه المجمعى للاديان التقليدية ، أو قد يؤدى هذا الى الانسحاب من الحياة العامة كمحاولة للتوصل الى الراحة العقلية أو النفسية • وهذا يفسر التفشى الواسع للانحلال الخلقى واستخدام العقاقير المخدرة بين الشباب • كذلك نجد اتجاهات أخرى متمثلة فى الحركات لاحيائية أو المحافظة على الاشكال المتوارثة من التراث أو الفكر الدينى • بينما نجد جماعات أخرى اتخذت من العنف سبيلا لاهدافها كمحاولة منها للسيطرة على القوة فى المجتمع • ويفسر علماء الاجتماع هذه الحركات بانها بمثابة ثقافة مضادة للشباب الذى يجد نفسه فى موقف الحيرة فى مجتمعه بسبب عدم الرضا المهنى أو لفساد الجماعات السياسية أو بسبب الوعى الكاذب الذى تفرضه عليهم أجهزة الاعلام ووسائله • وتجدر الاشارة أنه قد تبين أن الذين ينتمون الى هذه الحركات معظمهم من الذين واجهوا صعوبات فى تحديد ذاتيتهم فى مجتمعهم ويحاولون أيجاد بدائل لهذا أو بين الذين يبحثون عن الحب والقبول والانتماء ، وهى أشياء افتقدوها فى حياتهم وعلاقاتهم

الاساسية • ففى الانتماء لمثل هذه الحركات فيجد الاشخاص علاقات بديلة افتقدوها بين أسرهم أو فى مجتمعاتهم(٢)•

٢ ـ العوامل التى تؤدى الى ظهور الجماعات الدينية :

شهد القرن العشرين ظهور العديد من الجمعيات والحركات الدينية سواء منها ما هو معتدل (الشبان المسلمين والاخوان والاخوات المسلمات، وما هو متطرف (مثل جماعة التكفير والهجرة والجهاد وغيرها) •

والحق أن هذه الجمعيات والحركات لم تنشأ من فراغ فقد تضافرت عـدة عوامل سياسية وفكرية واجتماعية واقتصـادية أدت الى ظهور هذه الجماعات من وقت لاخر على سطح المجتمع المصرى • فيرجع جذور هـذه الحركات الى الظروف السياسية التى مرت بالمجتمع المصرى خاصة سلطات الاحتـلال فى البـداية أو الفسـاد السياسى للاحـزاب أو الخلاف الايدلوجى مع فكر عبدالناصر والسـادات ، وكذلك الحال بالنسبة للافكار والمبادىء السياسية التى انتشرت فى المجتمع المصرى بعد الغاء الخلافة وظهور فكرة القومية والانتماءات العربية الاسلامية•كذلك الحال بالنسبة للعوامل الفكرية فقد اتاحت العوامل السياسية الفرص للعديد من المصريين للتعليم فى الغرب والتأثر بالفكر العلمانى ومحاولة تطبيقه فى المجتمع المصرى مثل المناداة بفصل الدين عن الدولة ، مساواة الرجل بالمرأة ، الغاء المحاكم الشرعية ، تعديل قانون الاحوال الشخصية ، الاحزاب السياسية .، وقد ظهرت العديد من الكتب المؤلفة والمترجمة فى هـذا الاتجاه ولقد أدى التأثير بالحضـارة الغربية أن بثت وتسربت الى المجتمع المصرى وافراده العديد من العادات والتقاليد الغربية والفنون والاداب • كل هذا بلا شك قد وجد استجابة من بعض الشباب الذى ادى به التمسك بهذه العادات الى التمرد على كل ماهو قديم والاستخفاف بكل ماهو متوارث • نزد على ذلك الحالة الاقتصـادية للمجتمع المصرى وسوء توزيع الثروة القومية والتذبذب فى السياسة الاقتصادية بين الانفتاح والانغلاق ووجود فوارق ظاهرة بين الطبقات ،وكل هذه العوامل وغيرها تخلق لدى المصريين فى أوقات الازمات الشعور بالحاجة الى ضرورة الاخذ باسلوب جديد من أجل الاصلاح والتجديد •

ولهذا فمن وقت لاخر نجد ظهور القائد الدينى الذى يحاول تجميع الشباب حوله ويبدأ بتعليمهم مبادىء الدين الصحيح . ويوجههم الى كيفية اصلاح الفرد وتقديم الاسرة وتقوية الامة وعدالة الحكم.ولهذا يمتلك الشباب الذى ينتمى الى هذه الجماعات نزعات دينية جارفة . وهنا مكمن الخطورة حيث أن العضو المنتمى الى هـذه الجماعات غالبا ما يكون «تابعا» لفكر وتعليمات وأراء القائد الدينى . ومن هنا قد يظهر العنف كتنفيذا للاوامر الحديثة ، كذلك من هنا يظهر التفسير أو الفهم الخاطىء لبعض الاوامر والمبادىء الدينية حسب أصرار ومقاصد هـذه القيادات الدينية . ويبـدأ الاحتكاك بين هذه الجماعات والاجهزة السياسية بالدولة . وتبدأ المحاكمات والاعتقالات من قبل الدولة . ويبدأ العمل السرى من قبل هذه الجماعات، حتى تتيح لها الظروف مرة أخرى العودة الى الظهور على السطح فتمارس انشطتها الى توقف من أجهزة الدولة لكى تبدأ دورة أخرى وهكذا .

فالجماعات الدينية أو الحركات الدينية ، اذن ، هى اسم يطلق على كل فئة تحاول أن تتخذ لنفسها كيانا مستقلا ومختلفا فى السلوك عما الفه الناس من تقاليد وعادات أو هى كل جمـاعة تهدف احياء العمـل بتعاليم السرية سـواء على اعضـائها أو اعضـاء المجتمع الكبير مع تقييـم الامور والاحداث التى يمر بها المجتمع من وجهة النظر الدينية.وظهور الجماعات والحركات الدينية فى المجتمع المصرى ، كذلك الحال فى المجتمعات الاسلامية الاخرى ـ هو ضرورة فرضتها طبيعة الدين الاسلامى حيث الامر بالمعروف والنهى عن المنكر ، كذلك فرقتها الاوضاع الاقتصادية والاجتماعية والثقافية والسياسية التى يمر بها المجتمع والتى يمكن تلخيصها فى الاتى :

١ ـ فصل الدين عن الجوانب السياسية والاجتماعية والثقافية للمجتمع والاستعاضة عن ذلك «ببدائل» متنوعة وفقا للتيار السياسى السائد فى مقابل هذا تظهر الجماعات الدينية التى تؤدى الى تكتل الفروق على الاسلام صفا واحدا حتى يقو الى انفسهم وغيرهم من الذوبان فى الكيانات التى تختلف عن الاسلام عقيدة وسلوكا .

٢ ـ ظهور القوميات واحلالها محل الخلافة الاسلامية التى تحرص

على تفتيت الشعوب الاسلامية وهذا يرجح هذه الجمعيات والحركات الى الحنين للعودة الى الاسـلام كدين ودولة لفشل القوميات فى تجمع القلوب وائتلاف الصفوف.

٣ ـ ظهور الدعاة الذين يبثون روح الحركة فى الاتباع لتنوير الطريق امامهم وتحذيرهم عن الاخطاء المحيطة بهم من جراء بعدهم عن الاسلام كمنتج وسلوك مما رفع ابناء هذه الامة الى اليقظة والالتفاف حول الاسلام ونبذ كل ما سواه من مناهج وسلوكيات(٣) .

ـ التطرف : المعنى والاسباب والمظاهر :

(أ) معنى التطرف :

من الناحية القانونية هناك فارق بين «التطرف» و «الجريمـة» أو الجناح ، فالجريمة اساسا هى خروج على القواعد الاجتماعية أو القانونية باتخاذ سلوك مناقض كما تقتضى به تلك القواعد فهى اذن حركة فى عكس اتجاه القاعـدة . أما التطرف فانه فى جـوهره حـركة فى اتجاه القاعـدة الاجتماعية أو القانونية أو الاخلاقية ، ولكنها حركة يتجاوز مداها الحدود التى وصلت اليها القاعدة وارتضاها المجتمع . والحق أن هذا يشكل صعوبة بالغة حيث يصعب تحديد أين يبدأ المتطرف وهل ينتهى بحرمان، فالمتطرف يبدأ بسرية كما يبدؤها سائر الناس داخل القاعدة وفى اتجاهها الصحيح ، ولايمكن فى هذه المرحلة مؤاخذته لانه يتحرك مع القاعدة الاجتماعية وفى اتجاهها ، بينما يمكن للدولة أن تؤاخذ المجرم أو تحاسبه من اللحظة الاولى لنشاطه لانه حركة فى اتجاه مضاد للقاعدة الاجتماعية ايضا فانه من الصعوبة كذلك تحديد اللحظة التى يتجاوز فيها المتطرف حدود الحركة المقبولة اجتماعيا والتى يمكن عندها فقط وصفه بالتطرف والغلو . وهـذا ما يقابل الاجهزة السياسية والقانونية والامنية كيف تضع حدودا فاصلة بين المعتدلين والمتطرفين فالمشكلة تطرف من وعن وماذا تظل مفتوحة حسب نسـق القيم السـائدة والجهاز الحاكم(٤) على أية حال فانه فى مجال التطرف الدينى فان الفرد يبدأ متدينا عاديا يأخذ نفسه بتعاليم الاسلام ومبادئه ويدعو الناس الى الاخذ بذلك . وهو حتى هذه اللحظة يدعو الى شىء لا يملك المجتمع ازاءه الا التعبير عن الرضا والتشجيع ، الا أن هذا الداعية غالبا ما يواصل مسيرته

منهجا نحو التشدد مع نفسه أولا ومع الناس ثم يتجاوز ذلك الى اصدار احكام قاطعة بالادانة على من لا يتابعه فى مسيرته أو دعوته • وقد يتجاوز ذلك الى اتخاذ موقف ثابتا ودائم من المجتمع ومؤسساته وحكومته • ويبدأ هذا الموقف عادة بالعزلة والمقاطعة المبنى على أصدار حكم فردى على ذلك المجتمع «بالردة» أو «الكفر» و «العودة» الى «الجاهلية» ثم يتحول هذا الموقف الانعزالى عند البعض الى موقف ايجابى«عدوانى»يرى معه المتطرف أن هدم المجتمع ومؤسساته هو نوع من التقرب الى الله وجهاد فى سبيله ، لان هذا المجتمع – فى نظر المتطرف – هو مجتمع جاهل منحرف لا يحكم بما أنزله الله •

وهنا يتدخل المجتمع لوضع حد لهذا التطرف ومصادرة اى نشاط يصل بصاحبه بالاصطدام بالعديد من القواعـد الاجتماعية والقانونية • فالامر بالمعروف والنهى عن المنكر اساء هؤلاء استخدام تفسيرها ودعاهم هـذا الى الاعتداء على حقوق ليست لهم والى تهديد أمن الافراد وحرياتهم وحقوقهم•

وكما أشرنا ، فان حدود التطرف نسبية وغامضة ومتوقفة على حدود القاعـدة الاجتماعيـة والاخلاقية التى يتطرف المتطرفون فى ممارساتها ، فمقدار تدين الفرد يتوقف على تدين المحيط الاجتماعى الذى يعيش فيـه وله اثـره فى الحكم على الاخرين بالتطرف أو التوسـط أو التسيب ، فمن الملاحظ أن من كانت جرعته الدينية قوية وكان الوسط الذى يعيش فيه شديد الالتزام بالدين ، فأنه يكون مرهف الحس لاى مخالفة أو تعضيد يراه ، وكلما قل درجة تدين الوسط الاجتماعى كلما زادت مسافة البعد بينه وبين هذا الوسط وغالى فى حكمه واتهامه لكل من لا يلتزم باوامر الله ونواهيه بالكفر وقد يغالى البعض اكثر من هذا فى اعتبار كل ما لا يتمسك بالمأكل والمشرب والملبس الاسلامى – أن صح التعبير نوعا من الخروج عن القاعدة الاسلامية(٥) •

ومن ناحيـة أخرى لا يعنى وصف انسـان ما بالتطرف فى دينه ربما لاختياره رأيا من آراء الفقهاء المتشددة بشرط أن يعترف بان هناك آراء اخرى غير رأيه هذا •فلا تطلق تهمة التطرف لمجرد تشدد المرء على نفسه واخذه

من الاراء الفقهية مما يراه ، كذلك ليس التمسك بطريقة معينة على الملبس نوعا من التطرف أو التعصب • فما التطرف اذن وما دلائله ومظاهره •

(ب) اسباب التطرف :

واذا حاولنا تشخيص الاسباب المؤدية الى التطرف الدينى نجد أنها متعددة:فمنها مرتبط بمكونات القيم الثقافية السائدة وبعضها مرتبط بالنظام السياسى والبعض الاخر مرتبط بالاوضاع الاجتماعية واخيرا شخصية المتطرف نفسه ، هذه المكونات تتفاعل فيما بينها بنسب مختلفة باختلاف الظروف الشخصية والموضوعية التى تحيط بالمتطرف والمجتمع على السواء • وسوف نحاول ايجاز هذه الاسباب فى الاتى :

١ ـ الفهم «الخاطىء» للدين ومبادئه واحكامه والظروف التى تهىء له وتسقيه عليه •

٢ ـ الاحباط الذى يلقاه الشباب نتيجة افتقارهم المثل العليا التى يؤمنون بها فى سلوك المجتمع أو سياسة الحكم •

٣ ـ الخطأ فى ادراك حقيقة المثل العليا وطبيعة المجتمعات الانسانية واسلوب الاصلاح •

٤ ـ الخطأ فى تبسيط الاحكام وتعميمها بحيث لا يكون هناك الا التفرضية ويقلب التشاؤم أو التفاؤل على غير أساس أو حساب ، وغالبا ما ينتهى الامر باليأس من اصلاح الوضع القائم ويسود الوهم بامكان التغير بالعنف لازاحة شخص أو تنفيذ حكم اجرامى •

٥ ـ شيوع القهر والقمع ـ بدلا من الطمأنينة والحوار والامتناع سواء على مستوى الاسرة أو المدرسة أو المجتمع أو الدولة ، ويكون رد الفعل صورة تمرد عنيف من جانب الشباب أزاء السلوك الذى يمارس القمع ، واحيانا يكون القمع ذاته نسبيا لاثارة التطرف والعنف وليس علاجا له •

٦ ـ غياب الحوار المفتوح من قبل رجال الفكر الدينى لكل الافكار «الواردة» أو المتطرفة ومناقشة بعض الجوانب التى تؤدى الى التطرف فى

الرأى خاصة ما يتعلق «بالامانة» والاجتهـاد والجهاد والعلاقة بين الدين والسياسة واسلوب الدعوة(٦) ٠

(جـ) مظاهر التطرف :

١ ـ أن أول مظهر مظاهر التطرف هـو «التعصب» للرأى تعصبا لا يعترف للاخرين برأى ٠ وهذا يشير الى جمود المتعصب على فهمهم ما لا يسمح له برؤية مقاصد الشرع ولا ظروف العصر ولا يسمح لنفسه للحوار مع الاخرين ٠ فالمتطرف يرى أنه وحده على الحق ومن عداه على الضلال وكذلك يسمح لنفسه للاجتهاد فى الحق وادق القضايا الفقهية ولكنه لا يجيز ذلك لعلماء العصر المتخصصين منفردين أو مجتمعين طالما أن ما سوف يصلوا اليه مخالف لما ذهب هو اليه ٠ ومن مظاهر التطرف ايضا :

٢ ـ التشدد فى القيام بالواجبات الدينية ومحاسبة الناس على النوافل والسنن كأنها فرائض والاهتمام بالجزئيات والفروع والحكم على اهمالها بالكفر والالحاد ٠

٣ ـ وهناك مظهر آخر من مظاهر التطرف وهو «العنف» فى التعامل والخشونة فى الاسلوب والغلظة فى الدعوة ٠

٤ ـ ومن مظاهر التطرف ولوازمه سوء الظن بالاخرين والنظر اليهم نظرة تشاؤمية لا ترى أعمالهم الحسنة وتضخم من سيئاتهم ٠ فالاصل عند التطرف هو الاتهام والادانة وقد يكون مصدر هذه الثقة الزائدة فى النفس التى قد تؤدى فى مرحلة لاحقة بالفرد أو الازدراء للغير ٠

٥ ـ يبلغ هـذا التطرف مـداه حين يسقط المتطرف عصمة الاخرين ويستبيح دمائهم واموالهم وهم بالنسبة له متهمون بالخروج عن الاسلام ٠ ولهذا تصل دائرة التطرف مداه فى حكم الاقلية على الاكثرية بالكفر والالحاد ٠ وهذه الظاهرة متكررة ليست وليدة العصر بل وقع فى نفس الخطأ الخوارج وغيرهم من غلاة الفرق الاسلامية(٧) ٠

(د) المناهج والاساليب المستخدمة لتحقيق اهداف التطرف :

أن المطلع على التاريخ الاجتماعى لمصر يجد أنه منذ بدايات الارهاب

أن التطرف والارهاب يستخدمان نفس الوسائل ونفس الاهداف من عقائد اسلامية ودينية .

فيعمل التطرف المؤدى الى العنف على التغرير بالشباب لتكوين منظمات وخلايا سرية وتدريبهم على اعمال السلاح والقيام بأعمال التدمير والتخريب بهدف اغتيال القادة واشاعة الفوضى والانتفاضة على مرافق الحكم. الا أن فى كل محاولة ينكشف امر المخطط ويتم القبض على المنفذين والمخططين والاتباع . يحدث هذا فى كل محاولة منذ الاربعينات من هذا القرن حتى المحاولة الاخيرة التى انتهت بمقتل السادات ومحاولة الجماعة الاسلامية فى اسيوط الاستيلاء على الحكم وتنطوى الجماعات المتطرفة فى كافة اشكالها على مجموعة من المداخل المنهجية التى تستعين بها(٨) .

١ ـ المنهج الحرفى فى تفسير النصوص ويعتمد على انتقاء آيات واحاديث معينة والتمسك المطلق بحرفيتها دون الالتفات للمقاصد العامة لها دون ملاحظة لوظيفة ولواجبات الدينية فى تحقيق اهداف عملية فردية واجتماعية ، وكذلك دون الالتفات الى أسباب النزول أو معرفة بأصول الاستدلال اللغوى والفقهى ودون التمييز بين القاعدة والاستثناء المرتبط بسببه . ومن هذا القبيل اعتبارهم المجتمعات الاسلامية المعاصرة بمجتمعات كافرة لانها تحكم بقوانين وضعية وذلك استنادا لتفسيرهم للنص القرانى : «وهم لم يحكم بما أنزل الله فألولئك هم الكافرون» ولقد ذهب المتطرفون فى هذا الاتجاه الى ايام استخدام العنف وتخريب مؤسسات المجتمع استنادا الى قوله تعالى «ما قطعتم من لينة أو تركتموها قائمة على اصولها فباذن الله وليخزى الفاسقين» (الحشر : ٥) .

٢ ـ اخذ المعرفة الدينية عن طريق السماع عن الخطباء والوعاظ والاستخفاف باراء الائمة والمجتهدين والتسليم بحق الاجتهاد المطلق لزعامتهم فى حركاتهم . ويتصل بهذا ما وصل اليه بعض «امراء» تلك الجماعات من ادعاء الاجتهاد والمطلق وممارسة الافتاء فى أمور الدمار والاحوال والاعراض . وزعم البعض منهم انه يتعين الاستناد الى القرآن ولا حاجة لهم للاستئناس باراء علماء المسلمين فى امتداد تاريخ الاسلام . ونتيجة هذا الافتاء

أن يتورط بعضهم فى أمور تخالف صريح المعقول والمنقول وتخالف الشريعة مخالفة لا تحتمل التأويل فقد قام هؤلاء استنادا الى مثل هذا الافتاء بتزويج اخته أو أمه المتزوجة دون أن تطلق استنادا الى أن زوجها كافر لرفضه الدخول فى الجماعة بعد ان بلغته دعوتها أو أنه مرتد لخروجه منها واساس هذه الفتوى أن كفر الزوج الاول يترتب عليه فى زعمهم فسخ عقد الزواج ولا حاجة بعد ذلك الى طلب التطليق من القاضى ٠

٣ ـ الطاعة المطلقة لأمير الجماعة والذى غالبا ما لا يكون على علم بأحكام الشريعة ومقاصدها أو على دراية باساليب العمل الجماعى والسياسى أن هذه الطاعة المطلقة التى تستند الى التبعية فى المنشط والمكره هى اسباب التى يندفع متهالمجموع الشباب الى مصارعها والى هلاك الحرث والنيل من حولها دون أن تتوقف وتتراجع أو تساؤل (وهى) الاداة الرئيسية التى تصبح عن طريقها تلك الجماعات دول داخل دول ٠

٤ ـ العزلة عن المجتمع ٠ والعزلة فى نهج هذه الجماعات تؤدى الى وظيفتين : الوظيفة الاولى ، تجنب اعضاء الجماعة المنكرات التى تملأ جوانب المجتمع وحمايتهم من أن يشاركوا فى نهج الجاهلية ٠ والوظيفة الثانية ، تكون مجتمع خاص بهم تطبق فيه مبادىء الاسلام وتتسع دائرته شيئا فشيئا حتى تستطيع فى النهاية غزو المجتمع الجاهلى من خارجه ٠ وكما هو واضح فان الوظيفة الاولى دينية فكرية ، بينما الوظيفة الثانية سياسية وحركية ٠

وتتميز قضية العزلة عن المجتمع فى نهج الجماعات المتطرفة صور مختلفة فهناك الذين يناضلون المجتمع بالشعور وبالفعل بينما تكتفى جماعات أخرى باعتزاله ومفاصلته شعوريا ٠ ويذهب اصحاب الاتجاه الاخير الى ان الجماعة الاسلامية تعيش هذه الايام مرحلة العهد المكى حيث تكون الجماعة المسلمة مستضعفة لم تقو شوكتها بعد ٠ ويرتبون على هذا عدم وجود صلاة الجماعة والعيدين وعدم تحريم الزواج من المشركات وعدم وجوب رد العدوان ، انما يجب ذلك قلما حين وصلت الجماعة الى عهد التمكين ٠ اما الذين بادروا بالمفاصلة الكاملة فانهم قرروا اعتبار المشاركة فى

الانتخابات أو الترشيح لها كفر كما أن الصلاة فى المساجد القائمة رده عن الاسلام لانها معابد الجاهلية الحديثة ، كذلك ينادون بالهجرة المادية ولو الى الكهوف والجبال مع ضرورة مقاطعة الوظائف العامة والمدارس والجامعات ، وفى تقديرنا ان فكرة اعتزال المجتمع هى اخطر مكونات المنهج الفكرى والحركة بالجامعات المتطرفة فالعزلة بطبيعتها هى النية السوداء التى تفتح فيها ابواب العقل والقلب بتشغيل كل صور العلاج والانحراف ففيها تغيب شمس الحقيقة وتختلف ألوان الاشجار وتتداخل احجامها ويقف العقل والنفس معا على ابواب فصام حقيقى عن عالم العقلاء والاسوياء .

٥ ــ وتدور معظم أفكار هذه الجماعات حول فكرة محورية هى فكرة الحاكمين لله وحده وما سيكون عليها من نزاع سلطة التشريع عن الجماعة ولقد ردد هذه الفكرة الى المواردى وتابعه فيها سيد قطب وروجها السنة واقلام الاف الشباب . ويذهب المتطرفين فى هذه الفكرة الى اعتبار الديمقراطية كفر لانها تسمح للاقلية أن تصور تشريعات تتيح المنكرات وتحل المحرمات . ولقد ذهب كل فريق من هؤلاء الى جماعته . لو كانت عشرة أو عشرين ــ هى جماعة المسلمين وان من بلغته دعوتها ولم ينضم اليها فقد كفر ومن لزمها ثم تركها فقد ارتد(٩) .

٤ ــ التطور التاريخى لظاهرة التطرف الدينى وارتباطها بالعنف فى المجتمع المصرى .

(أ) التطور التاريخى لارتباط ظاهرة التطرف الدينى بالعنف السياسى ظاهرة التطرف الدينى ظاهرة عامة نجدها فى بداية الاسلام ، كما نجد لها صورة فى محاولة بعض الشباب التسلل الى المسجد الحرام ومحاولة ادخال السلاح به ومبايعة المهدى المنتظر لديهم ولقد ظهرت اول صورة للتطرف الدينى فى بدايات الاسلام وهى التى أدت بحياة الخليفة الثالث عثمان بن عفان . وفى هذه الحالة نجد ان البواعث لها كانت خليطا من الفتنة السياسية والتطرف الدينى ، الا ان التحليل النهائى لها يبدو وكان للتطرف الدينى الدور الاساسى . فقد كانت كل الماخذ التى روجها المتطرفون تعتمد فى تقديرهم على مخالفات دينية(١٠) .

والتطرف كظاهرة هى نوعا من القلق الزائد الذى يعانى منه المتطرف

اما لفراغ فكرى ، او لنظرة تشاؤمية ، او طاعة عمياء لاحد القادة الدينيين ومحاولة وضع حل لاعادة الاسلام الى مكانه فى المجتمع الاسلامى . والعنف كاحد وسائل التطرف ظاهرة واهدافها معروفة سواء فى الثمانينات أو اواخر الاربعينات ومنتصف الخمسينات والستينات من هذا القرن بنفس الافكار ونفس الوسائل ونفس الاهداف .

فالتطرف الدينى عامة يحاول تكوين منظمات وخلايا سرية وتدريب الاعضاء على استعمال الاسلحة واعمال التدمير بهدف اغتيال بعض القيادات واشاعة الفوضى ثم الانقضاض على مرافعة الحكم واعلان الدولة الاسلامية . بدات هذه المحاولات منذ الاربعينات وانتهت بالمحاولة الاخيرة وهى اغتيال الرئيس السادات وعشرات من رجال الشرطة والاهالى باسيوط وما كانت الاحداث التى تمت فى اسيوط الا المرحلة الثانية من خطة هذه التنظيمات والتخطيط لتكرار هـذه الحوادث فى مختلف المـدن والمحافظات لاشـاعة الفوضى ومن ثم الاستيلاء على الحكم ولو عـدنا للوراء لوجدنا أن العنف الدينى ظهرت أول عملية له فى ينـاير ١٩٤٨ حين اكتشفت اجهـزة الامن المصرية مركزا للجماعات الدينية للتدريب على استخدام الاسلحة فى المقطم وفى اطراف القاهرة وضبطت معهم قنابل واسلحة زعم انها تستخدم للتدريب لخوض معركة فلسطين ١٩٤٨ .

الا أن الاحداث اشارت الى عكس ذلك فلقد اغتال شباب الجماعـة الاسلامية المستشار احمد الخازندار رئيس محكمة الجنايات التى اصدرت حكما بالسجن على أخ مسلم اتهم بمهاجمة مجموعة من الجنود البريطانيين فى أحـد الملاهى الليلية بالاسـكندرية وتوالت أعمـال الارهاب والتـدمير والتخريب فى الساحة المصرية فبدأت بتدمير محل شيكوريل ومحل اريكو بالقاهرة ثم محلات بنزايون وشركة الدلتا الصناعية .

ولعل اهم حادث تدمير هو الذى وقع فى نوفمبر ١٩٤٨ عندما انفجرت سيارة ملغمة فى مدخل شركة الاعلانات الشرقية والتى كانت الخسائر فادحة فى الممتلكات والارواح . وفى هذه الاثناء ضبطت اجهزة الامن مخبأ للاسلحة والمتفجرات فى الاسماعيلية مملوكا لاحد كبار الجماعة الاسلامية ،كما ضبطت

بطريق الصدفة على سيارة كانت معدة للانفجار أمام أحد المبانى بالقاهرة. ولقد كشف داخل هذه السيارة على وثائق كشفت عن وجود جهاز سرى تابع للجماعة الاسلامية ،وقد أدت هذه الوثائق الى القاء القبض على عدد من اعضاء الجهاز السرى .

ومما ساعد على انتشار وتطور صور العنف فى تلك المرحلة هو الموجة العدائيـة ضـد الاستعمار الانجليزى وضـد الصهيونيـة لاحتلالها الاراضى الفلسطينية وخرج العديد من الطلاب فى مظاهرات حماسية أدت الى وقوع اصطدام بين المتظاهرين ورجال الشرطة ، مما أسفر عن القاء قنبلة على اللواء سليم زكى حكمدار بوليس القاهرة وقتئذ. هذا الحادث دعى النقراشى باشا رئيس الحكومة ووزير الداخلية الى اصدار أمر عسكرى فى ٨ ديسمبر ١٩٤٨ بحل جماعة الاخوان المسلمين بكل فروعها فى جميع انحاء البلاد ومصادرة أموالها للانفـاق على الخدمات الاجتماعية الخيرية وعلى الفور قامت أجهزة الشرطة باعتقال اعداد كبيرة من أعضاء الجماعة . وجاء رد الفعل سريعا فبعد عشرون يوما اغتيل النقراشى باشا وهو متوجه الى المصعد على يد ضابط مزيف يدعى عبدالحميد احمد حسن وكان طالبا بكلية الطب البيطرى بجامعة القاهرة وأنه رئيس لاحدى خلايا الجهاز السرى بالجامعة وقد اعترف هذا الشاب بانتماءه الى الجهاز السرى للاخوان وتدريبه على استخدام السلاح وقسمه على الطاعة والولاء ، وجاد رد الفعل مرة أخرى من الحكومة بالاعتقالات التى قام بها ابراهيم عبدالهادى رئيس الحكومة بعد مقتل النقراشى ووضع معظم الاخوان فى السجون والمعتقلات ـ حتى أفرج عنهم فى بدايات ثورة ١٩٥٢ . ولقد وصل الامر من الحكومة والقصر الى اغتيال المرشد العام حسن البنا نفسه فى عام ١٩٤٩ وبالرغم من العلاقات التاريخية والنضالية بين الاخوان والثورة الا أنه سريعا ما ظهر الصراع بين الجماعتين . ففى حادث المنشية ١٩٥٤ بسبب مضى مجلس قيادة الثورة فى توقيع اتفاقيات الجلاء مع الانجليز حدثت محاولة اغتيال الرئيس الراحل جمـال عبدالناصر ، مما أدى الى أعـدام ستة من زعماء الاخوان واعتقال الكثير من رجالهم .

ولم تمت الحركة بل دخلت فى طور الكمون حتى ١٩٦٥ عندما اعلن

الرئيس جمــال عبدالناصر وهو فى موسـكو بأن أجهــزة الامن قد احبطت محاولة للاخوان للانقضاض على الحكم واعدم فيها بعض زعماء الاخــوان ومن بينهم سيد قطب(١١) ٠

ولعل نكسة ١٩٦٧ هى التى اعطت الجماعة الاسلامية الفرصة للظهور مرة اخرى على مسرح الاحداث فى المجتمع المصرى٠وبموت عبدالناصر بدأت قيادات الحركة فى اعادة تشكيل تنظيماتها والظهور العلنى لانشطتها(١٢) ٠

(ب) ظهور الجماعات الاسلامية فى المجتمع الجامعى : الاسباب الانجازات والسلبيات :

١ ــ الاسباب :

كنوع من رد الفعل لهزيمة ١٩٦٧ شهد المجتمع المصرى حركةاجتماعية جديدة اعلنت عن نفسها أسم الجماعات الاسلامية وعملت فى أوساط الشباب سواء داخل الجامعة أو خارجها ٠ ولقد أدى ظهور هذه الجماعة اثر ظهور موجة دينية غير عالية فى البيئة المصرية وساد جو من التدين وعلى الهيكل المظهرى ٠ صــاحبه محاولة كل شــخص فى البحث بداخله عن الخــلاص الفردى ٠ وطوال هذه الدراسة تكونت بعض الجامعات الدينية ولقد دفع الشباب الى الانضمام الى هذه الجماعات الكثير من العوامل ٠

١ ــ غياب الثقة والرؤية القديمة لدفع محاولات التدخل الخارجية ٠

٢ ــ عدم وجود برنامج مخطط لاستيعاب الشباب ومشاركتهم فى خطط التنمية التى تحقق لهم المستقبل والموقع الاجتماعى اللائق ٠

٣ ــ اصبحت هذه الجماعات (البديل) أمام الشباب منذ عام ١٩٧٢٠

٤ ــ تكونت هذه الجماعات اساسا بهدف مواجهة الجماعات اليسارية ويومها لم تعترض الدولة على تشكيل هذه الجماعات بأعتبارها دولة مسلمة وشعبها متدين ومارست هذه الجماعات انشطتها مستهدفة الدعوة الاسلامية الخالصة وقامت هذه الجماعات أول الامر بتقديم العديد من الخدمات الطلابية وراحت هذه الجماعات تنمو بسرعة فى الاوساط الطلابية من سنة ١٩٦٢ ــ ١٩٧٦ ٠ وكانت عبارة عن أمر واقع ليس له سند من الشرعية التى سعت لاكتسابها بعد ذلك من خلال محاولات السيطرة على الاتحادات الطلابية

التى وفرت لهــم الامكانيات المادية ومكنتهم مــن مختلف أوجــه النشــاط لتوجيهها حسبما يريدون وساعدهم على ذلك الغاء نظام الريادة والاشراف فى اللائحة الطلابية(١٢) ٠

والملاحظ أن الاتجاهات الدينية كانت تنمو بمعدلات سريعة لم تتجه اليها انظار الدولة ٠ لترشيد حركاتها وتفد اليها المتطرفون من الجماعات وراحوا ينشرون أفكارهم فى شكل مجموعات لكل حسب تقبله أو من يجدون عنده الاســتعداد يستمرون فى تغذيته بالمزيــد من الجرعات الى أن يقتنع بنفس افكارهم محققين بذلك السيطرة الكاملة على الاتجاهات الدينية فى الجامعة كذلك يجند من يستطيعون من بين أعضاء هذه الجماعات(١٣) ٠

وبدأت الاتجاهات المتطرفة تتحد فى اوساط شباب الجامعة وبالرغم من قلة عددهم فى البداية الا ان تأثيرهم كان كبيرا لانهم لم ينغلقوا على انفسهم بل انتشروا فى كل ارجاء الجماعات جامعة القاهرة ـ الاسكندرية ـ اسيوط عين شمس والجامعات الاقليمية وراجعوا الى افكارهم والتيار الاســلامى العام(١٤) ٠

ولقد وجدت الجماعة الاسلامية فرصتها فى المعسكرات الصيفية التى كانت الجماعات تغلقها على نفسها كما وجدوا فرصتهم فى المدن الجامعية من حيث أنها مركز تجميع لاكبر عدد من الطلبة ويقيمون مع بعضهم اكبر وقت ممكن ٠ وبدأت هذه الجماعات تتخذ مواقف منشورة ومتسلطة تجاه النشاط الطلابى تحت ســتار ما يحدث يناقض الدين وبدأت الحديث عن البلبلة الفكرية ثم الاتجاهات المعادية للنظام ٠

وفى عام ١٩٧٨ بدأت الجماعات الاسلامية تتخذ موقف الضعف لكل ما يجرى حولها منذ هذا العام عند الانتخابات الطلابية لجامعة القاهرة عندما وجدت الجماعة أن النتائج ليست فى صالحها تارة وحطموا صناديق الادلاء بالاصوات وفى جامعة عين شمس استخدموا العنف ضد العناصر الوطنية التى قاطعت الانتخابات تحت تهديدهم فأجريت الانتخابات من جانب واحــد ٠ ونظرا لاعتماد وزارة التعليم نتيجة هذه الانتخابات فان هذه الجماعات

تصدرت آرائهم فتجمعوا فى أن تستجيب الدولة لضغوطهم وبهذا زادت حدة استخدام العنف منهم فى كل تصرف .

وفى بداية الامر لم تكن الجماعة الاسلامية منظمة تنظيما كافيا بل كان يكتفى بالتردد على المساجد والالتجاء أو التحجب والاحتكاك بباقى الطلاب والتعامل معهم ويتولى كل واحد منهم حركة الامير فى الجامعة التى يحتل بها والمناقشة والاقتناع يستطيع أن يصل الامير معهم الى قناعة كاملة بـه تتحقق لم السمع والطاعة عندهم . بمعنى آخر أن تكوين أفراد الجماعة لم يعتمد فى البداية على مسلك تنظيمى مسجل بل كان تنظيمهم يقوم اساسا على أسلوب الخلايا غير المترابطة وغير المسجلة ولكن حركة الجامعات كانت ملحوظة عن طريق وسائل اتصال سريعة ومضبوطة وقد حدث أمرا فى أى مكان بعد صداه فى نفس الوقت فى كل مكان كل هـذا يشير الى أن هناك تنظيما آخروراء هذه الجماعات ولكن ماهو معروف حق أن فى كل كلية أمير لكل جماعة وعلى مستوى الجمهورية هنـاك أمير وهـذا يعنى أن هنـاك تنظيمين داخل الجامعة . تنظيم يضم قياداته من العناصر المتطرفة ولكن اعضائه من الجماعات الاسلامية يتعاطفون معه بدرجة أو بأخرى ومهمته كسب الرأى العام وتحريكه مستغلا الواقـع الدينى . وتنظيم آخر يقسـم قيادات هذه الجماعات . وقيادات أخرى خارج الجامعة ويتولى هذا التنظيم التخطيط والتنسيق والتدريب وجمع الاموال وانتشار المعسكرات لاعـداد الكوادر (وهذا ما كان مخططا فى حوادث اسيوط ١٩٨١ حيث كان يعمل هذا التنظيم على السيطرة على أجهزة الامن وحتى الاذاعة والتلفزيون والاعتماد على الجماعات الاسلامية لتأكيد الحركة والتعاطف الدينى معهم)(١٥) .

ولاشك أن الجماعات الدينية استطاعت أن تكسب تعاطف الكثير من الشباب وليس بسبب قوتهم ولكن لحين اعتمادهم على ابراز العامل الدينى وابراز سلبيات النظام والسعى الى اقامة حياة فاضلة . فالافكار المتطرفة التى يدعو لها بعض الجماعات الدينية تجد صدى بالنسبة للعديد من الشباب الحائر الساخط على النظام والقلق على مستقبله والذى يبحث عن مخرج من كل مشاكله سواء على المستوى الشخصى أو المجتمعى(١٦) .

تاريخيا ، فأن الجماعة الاسلامية ظهرت فى جماعات مصرية وبعض المدارس كما حاولت من قبل قيادات الاخوان المسلمين فى مقابل الاحزاب السياسية الى الدعـوة للشباب بالعودة الى الاسـلام الحنيف والتخلى عن ماعداه من ايديولوجيات وضعية • الجماعة الاسلامية اذن لقب يطلق أو بمعنى أصح تطلقه على نفسها أى جماعة ترى أنها تتمسك بالدين عقيـدة وسلوكا فى الوقت الذى يعزف فيه غيرهم عنه باسم المدنية والتحضر أو بأى اسم آخر • ومن ناحية أخرى يمكن القول بأن ظهور هذه الجماعات الدينية داخل الجامعة كتجمع شبابى مثقف فى محاولة لسد الفراغ الهائل الناجم عن انقسام التعليم بالمجتمع المصرى الى دينى يتمثل فى الازهر ومعاهده والى علمانى متمثل فى الجامعات المصرية وخاصة ان ما يدرس فى المدارس عن الحرية أما يوصف بالشكلية من جانب القائمونعنالتدريس وبعدم الاعتراض من قبل التلاميذ •

ومن الناحية السياسية خاصة فى فترة السبعينات نجد أن الدولة غالبا ما تشجع على قيام هذه الجماعات كمحاولة منها لتصفية الحركات اليسارية أو الفكر الناصرى بين صفوف الطلاب وكاتجاه عام فى المجتمع المصرى فى تلك الفترة هو التمسك أو على الاقل الظاهرى بالامور الدينية ولهذا ظهرت مصطلحات دولة (العلموالايمان) ، (واخلاق القرية) وقانون العيب ،ودعم الدعوة الاسلامية ، وتطبيق الشريعة الاسلامية وغيرها •

وتحت هـذا الانطبـاع خرجت بعض الجماعات الدينية من طورها الكمونى الى العمل الظاهرى فى الجامعات ، وتولت بعض القيادات مساندة هذه الجماعات وتقدم التبرعات لها والسماح لها بعقد مؤتمرات • وكأى نظام سياسى فانه بعض تصفية الجناح اليسارى من الجامعات ، فأن النظام وأجهزته يحاول تصفية تلك الجماعات من حيث البناء والوظيفة وتسـاعد وسـائل الاعلام المكتوبة والمرئيـة على وصف هـذه الجماعات مثل (القلة الحاقدة) ، (القلة العميلة) (المتاجرون بالدين) ، المتطرفون وراء الدين وغيرها(١٧) •

٢ — **الانجازات** ، وفى الحالات التى كان يسمح لهذه الجماعات الدينية

بالعمل داخل الجامعات فانها كانت تعمل على عقد ندوات التى يطرح فيها القضايا الاسلامية وكل ما يتعلق بشئون المجتمع المصرى وعلاقته بالمجتمعات المصرية الاخرى ٠

كذلك ظهرت حلقات تحفيظ القرآن وتجويده وتفسيره من الجنسين كذلك انتشار الزى الاسلامى والامر بالمعروف والنهى عن المنكر والنصح بالاتجاه الى الطريق الاسلامى والحرص على الصلاة الجامعية كمظهر من استعراض القوى العددية بالجامعات ٠

ومن الناحية التنظيمية فقد أقيمت المعسكرات الاسلامية (اقيم أول معسكر اسلامى فى الجامعة عام ١٩٣٧) والترشيح لتولى قيادات الاتحادات الطلابية ونشر وطبع الكتب الاسلامية واقامة المعارض اللازمة لها وجمع التبرعات المالية وتوزيعها على المحتاجين أما لشراء الكتب الدراسية أو الزى الاسلامى أو توفير اتوبيسات للطالبات أو للسفر فى رحلات للحج أو العمرة(٢٨) ٠

٣ ـ السلبيات :

وبالرغم من ادعاء الجماعات الاسلامية بأن هدفها الرئيسى هو تربية الشباب على الاسلام وتطبيق شريعة الله وذلك عن طريق الحكمة والموعظة الحسنة ، ورغم من أن اعلانها بأن عملها هذا تلقائيا ولا علاقة له بأى هيئات دينية أو غير دينية فى الداخل أو الخارج وأن تلفظ كل اشكال العنف والعمل السرى وتقوم بالتصدى لكل الافكار المتطرفة أو المنحرفة ، الا أن الاحداث اثبتت عكس ذلك تماما فلقد نصبت الجامعات الاسلامية من نفسها محتسبا على سلوك الطلبة والطالبات بصفة خاصة فيما يتعلق بالملبس ٠ والاختلاط واداء الفرائض اكثر من هذا فان الجماعات تدريجيا بدأت تمارس نوعا من الضغط على العملية التعليمية كتعطيل الدراسة اثناء اوقات الصلاة وترتيل القرآن فى المدرجات وبدأت فى ظهور مقالات نقدية منشورة بالنسبة للسلوك الجامعى وحدثت بعض المضايقات منهم لبعض اعضاء هيئة التدريس ايضا فان الاحتكاك بين هذه الجماعات وبعض الطلاب المسيحين قد أدت الى تصوير هذه الجماعات كجماعات مناهضة للوحدة الوطنية ٠ ولم يستطيع

الكثير من اعضاء هـذه الجماعات التحكم فى حماسيهم الدينى ، وصـدرت منهم بعض الافعال الانفعالية ، سـواء فى المستوى السلوكى ، أو المستوى العقـائدى ، مثل ما حـدث فى جامعـة اسيوط ٠ ونظـرا لتعـدد مواقف هذه الجماعات وارائها فقد فصلت الجامعة بعض الطلاب لقيامهم باعمال تمس العملية التعليمية ونشرهم آراء هدامة تحرض على عصيان الوالدين والازواج وبنجاح أجهزة الدولة ووسائل الاعلام فى التصدى لهذه الجماعات وتقديم «صورة» عنها للرأى العام فانها فقدت الكثير من أعضائها وجاءت الاحداث الاخيرة قبل وبعد مقتل السادات ١٩٨١ باختفاء الكثير من أعضائها وتخليهم الظاهرى عن انشطتهم داخل وخارج الجامعـة ٠ ودخلت هـذه الجماعات مرة اخرى دورة الكمون للاعداد لمرحلة مقبلة(١٩) ٠

التطرف الدينى ومظاهره الفكرية والسلوكية فى المجتمع المصرى

ينشأ التطرف الدينى ـ كما يذهب البعض ـ من فراغ فى النفس ، أو الثبات فى الفكر أو رد فعل لتطرف أخر ينتقص من نفوذ الاسلام ، أو ائتمار خبيث تقوده قوى غامضة لتقويض الدين وهدفه(٢٠) ٠

والتطرف الدينى ظاهرة عامة اصابت جميع الاديان فى شتى المراحل التاريخية ولا يزال لكل دين «خوارجه» يخرجون عن انماطه السائدة ٠ أو ماهر متعارف عليه بانه مقبول ومألوف ٠ وهؤلاء ما يطلق عليهم فى العصر الحديث المتطرفون ٠ فالتطرف الدينى ، أذن ، مجاوزه الاعتدال فى السلوك الدينى فكرا وعملا أو هو الخروج «عن مسلك السلف فى فهم الدين وفى العمل به فمسلك السلف فى الاسلام هو المعيار والمقياس الذى يناسب عليه السلوك القويم»(٢١) ٠

وبالرغم من ان الاسلام ذاته من دين الوسيطة والاعتدال فان الرسول عليل الصلاة والسلام قد واجه التطرف وقاومه بحزم ٠ فكم تذكر الاحاديث بان الرسول اعتبر المغالاة فى الصوم والصلاة والترهب من الامور التى تؤدى الى التطرف ولهذا نهى عنها ولكن الاسلام مثله مثل أى دين أخر قد تعرض لكثير من الاهدار المتطفلة والافكار المتطرفة فى العديد من المراحل التاريخية٠ ولقد بدأ التطرف الدينى فى الاسلام بالفتنة التى أدت بحياة الخليفة الثالث عثمان بن عفان ٠

وان كانت البواعث خليطا من الفتنة السياسية والتطرف الدينى ، فان التطرف الدينى كان هو العامل الرئيسى . فلقد كانت المآخذ التى روجها المتطرفون تعتمد فى تقديرهم على مخالفات دينية . ورغم أن الخليفة فقد اكثرها ، ورجع عن بعض الافكار التى حسبت على حكمه فان المتطرفين نجحوا فى خلق الفتنة .وراحوا يتوسلون بالمنطق الدينى وحده للتاليب على الخليفة والتحريض على ذمته....«استملوا مقتل الرجال والاطفال وسبى النساء المسلمات وبقوا فى ساحة اللعب مائة عام أو تزيد يردعون الدنيا ويشكلون الحكومات . لقد كانوا أوضح وأبشع صورة للتطرف الدينى . ومن عجب أنهم كانوا فى سلوكهم العبادة من كبار العابدين ومع هذا فقد تجاوز بهم التطرف كل حدود العدل والرحمة والحق والعقل(٢٣) .

التطرف الدينى هو نابعا اساسا من القلق الهستيرى الذى يعنيه المتطرفون اما لفراغ فى نفوسهم وشعورهم بالقحط القاتل . واما لاثبات تفكيرهم ومشرودهم عن جادة الصواب والحق .. وأما لاحساسهم الذى قد يكون صادقا بنقصان تقود الاسلام فى المجتمع المسلم . واما لمؤتمرات خبيثة تمارسها بوسائل غير منظورة قوى خارجية . تطارد الاسلام وتعمل لاحباط دعوته وتمزق وحدته . وكثيرا ما يجىء التطرف الدينى رد فعل آخر فى جانب الرذيلة والشر(٢٤) .

لقد شاهدت مصر بعد نكسة ١٩٦٧ نوعا من العبث الدينى الذى كان فى بداياته يتخذ شكل هلاميا وغموضا ونكوصيا بل وقد خالطته فى كثير من الامور الخرافات والغيبيات . ومن الملاحظ أن النظام السياسى فى تلك الفترة استشعر نحو هذا الشعور الدينى وحاول استغلاله فى حادثى «شعرة النبى» «وكنسية الراقيون» .

ومع نهاية حكم عبدالناصر بدأ هذا التردع الدينى الهلامى يتخذ شكلا محددا وثبتت له اشكاله ومن هنا بدأنا نسمع عن الجماعات الاسلامية المنظمة داخل الحرم الجامعى ،التى تدعو الى فرض التعاليم الاسلامية والى تخليص مصر وغيرها من الدول الاسلامية من كل الايدولجيات المستوردة من النفوذ الاجنبى وقد تعارض هذه الظاهرة مع بدايات حكم السادات ، فكان

ان سعى لاستغلالها محاولا تحويلها الى قاعدة شعبية يوازن بها قاعدة الناصرين واليسارين . بمعنى آخر ان الجماعات الاسلامية كانت هى البديل العقائدى للسادات فى مواجهة الفكر الاشتراكى والناصرى . وبعد انتصار ١٩٧٣ واقدام السادات على سياسات الانفتاح الاقتصادى والتسوية مع اسرائيل والانحياز الى الغرب بدأت التصاريح من هذه الجماعات الدينية وبين النظام الحاكم ويتجلى هذا الصدام فى ابريل ١٩٧٤ وظهور جماعة منظمة التحرير الاسلامية والتى اطلق عليها من كل اجهزة الاعلام ـ جماعة الكلية الفنية العسكرية وقد سميت بهذا لان تخطيطها للاستيلاء على السلطة يبدأ باحتلال الكلية والاستيلاء على مخزن الاسلحة ثم تنطلق بعد ذلك الى مقر الاتحاد الاشتراكى العربى حيث كان من المقرر أن يعقد الرئيس السادات وبقية الصفوة الحاكمة اجتماعا رسميا كبيرا وبالرغم من فشل هذه المحاولة، فانه حدث أكثر من مواجهة عنيفة بين النظام وبين جماعة اسلامية تلو الاخرى مثل جماعات تنظيم الجهاد وجند الله أو جماعة المسلمين أو الجماعة الاسلامية أو جماعة التكفير والهجرة والتى اختطفت وأعدمت فى عام ٧٧ أحد الوزراء السابقين والشيخ محمد حسين الذهبى وزير الاوقاف . وبعد الصدام المسلح .شهدت هذه الجماعات اعتقالات ومحاكمات واعدامات لاعضائها كل هذا كشف النقاب على أن الجماعة ضمت ما بين ٣٠٠٠ ـ ٥٠٠٠ من الاعضاء المنتشرين فى كافة أرجاء المجتمع ومنذ ذلك التاريخ والجماعات الاسلامية لها دور فعال على الساحة السياسية والعربية للمجتمع المصرى سواء داخل الجامعات أو خارجها .

ويأخذ التطرف الدينى مظاهر متعددة تبدأ «من الخروج عن مسلك السلف فى فهم الدين والعمل به» والتطرف فى الفكر صورة للتطرف فى العمل ـ وكلاهما «تزيد فى الدين واتهام له بالتقصير وكأن الرسول قد بلغ رسالة منقوصة يجىء هؤلاء المتطرفون سيكملوها ويتمموها»(٢٥) .

ولعل أول مظاهر التطرف الدينى الاتى «التطرف المظهرى» عندما تلمح سيدة أو آنسة تغطى وجهها بما يشبه العباءة ولا تترك من نقابها الا فتحتين صغيرتين كفم العصفور أمام عينيها .. من أين جاءت بهذا الزى

العجيب «كذلك فان المتطرفون يهاجمــون الحضارة الانســانية ويدعــون لمقاطعتها ويقفــون فى تناقض عجيب وغريب فهم يتحدثون فى التليفون ، ويستضئون بالكهرباء ويركبون الطائرات فى سفرهم٠٠الخ (ويطالبون بأن) تقاطع الحضارة فى أبسط مظاهرها وهو أرتداء البنطلون والقميص ونستعيض عنها بالجلباب يتوجه به الطبيب الى مستشفاه والمهندس الى عمله والطالب الى جامعته لابسا فى قدميه «الشبشب» الذى يطلق عليه أسم «زنوبة»»؟(٣٦)٠

ويصف سعدالدين ابراهيم نماذج من التطرف المظهرى والذى اكتسب الشكل الدينى فى الاتى :

ثمة صــور أخرى تفاجىء زائر القاهرة فى العقد الاخير وهى منظر النساء المحجبات ، وشبه المحجبات فى الشوارع وفى الاماكن العامة هناك نجد العشرات من الطالبات الجامعيات ـ فى طريقهن الى كلية الطب ٠٠ والشىء الغريب عن هؤلاء الطالبات هو أن عدد غير قليل منهن محجبات ويتناول الكاتب عن اذا ما كان ظهور الحجاب مــرة أخــرى بين النســاء والمتعلمات من رده لاضطهاد المرأة العربية وعودة مرة أخرى الى مركزها المتدنى ٠ فلقد اختفى الحجاب منذ حركة هدى شعراوى وسعت المرأة بعد ذلك بالحصول على حقوقها الاجتماعية والسياسية وكان لها ما أرادت فلماذا اذاً عاد الحجاب الى الظهــور ؟ ولمــاذا بالذات بين مجموعــة تمثــل اكثر القطاعات تعليما ـ أعنى قطاع الطالبات الجامعيات فى المدن ؟ وماذا يعنى هذا بالنسبة لقضية حقوق المرأة وهل يمثل هذا نكسة ؟ وأين موقع هذه الظاهرة بالنسبة للنظام الاجتماعى الناشىء الجديد فى الوطن العربى ٠ أن الدافع الذى دفع هذه الطالبة للحجاب ـ كما يذهب سعدالدين ابراهيم ـ هو سلوك بعض بنــات القاهــرة ومهرجان الازياء الباهظــة التكاليف الذى يلبسهن وتحديهن للقيم الاصيلة والمبادىء الاسلامية ٠ فقرار الحجاب هو من أجل الابتعاد عن هذه المظاهر وعن الجماعة المنحرفة وتدريجيا انخرطت هــذه الفتاة فى الجماعات الدينية وتابعت الاحداث السياسية داخل الجامعة والمشاركة فى أنشطة هذه الجماعات٠أن مثال هذه الطالبة التى قررت التحجب بمحض ارادتها تمثل «لغزا مبهما» أمام المراقبين الخارجيين فهؤلاء الفتيات لسنا

سيدات فى طريق العمرة ولا هن فى متوسط العمر ولا منتميات الى الاجيال التقليدية بل هن شابات قطعن شوطا كبيرا فى فضاء التعليم كذلك تحجبن بارادتهن الحرة بل وفى كثير من الاحوال ضد رغبات آبائهن فهل الحجاب يمثل نكسة ضد الحداثة والمعاصرة(٢٧) .

أن الاجابة على هذا يمثل فى رأى سعدالدين بأن مثال طالبة الطب المحجبة هو استجابة معقدة لعالم معقد من حولها عالم لا يستطيع السيطرة عليه .. وبالرغم مـن النجاحات الباهـرة التى أحرزتها هـذه الفتـاة فى الامتحانات الا انها تجد نفسها مهزومة غريبة تكاد تكون تافهة وسط عالم حضارى لا مجال فيه للهو واللذات كذلك فهى تتعلق «بتراث» يبدو وكأنه يستعيد احساسها بجدارة ويحميها من المجهود ويعيـد تأكيـد وجودها وشخصيتها . هؤلاء الفتيات تأخذ من الحداثة ما تحتويه من علم وتكنولوجيا ومن التزام بمستقبل مهنى ، ثم يتركن بقيـة (محتويات حقيبـة الحداثة يحبوهن شعور وقناعة عميقة ، بأن ما أخذته من خبرة الحقيبة انما يتسق مع تراثهن ومع تعاليم الاسلام ومع الاصالة . هذا هو السبب لهن لكى يفرض بعض النظام على عالم يبدو لهن مفقما بالفوضى والاضطراب)(٢٨) .

أما المثال الاخر الذى يقدمه لنا سعدالدين ابراهيم فهو يستمد من أحدى القيادات الدينية فى أحد من المحاولات الانقلابية ، والذى صدر حكم بأعدامه مع غيره من زعماء تلك الجماعات الا أن الحكم خفض الى السجن المؤبد لصغر سنه (٢١ سنة) . ويرمز الى هذه الشخصية بطلال ـ وهو من أسرة صغيرة ـ مرتبه صغير ـ ومن طبقة وسطى والاب والام من بيئة ريفية يعمل فيها الاب موظفا حكوميا ولم تنل الام الا قسطا محددا من التعليم ، ومن ثم فهى ربـة منزل متفرغة تماما لبيتها . وتقدم هـذا الطالبـه فى التعليم الثانوى والتحق بكلية الهندسة جامعة الاسكندرية . وبسبب النكسة العسكرية فى ١٩٦٧ انتكاسة لهذا الشاب فاعتزل فى غرفته لعدة أيام تتناوبه حالات البكاء والتأمل والتفكير والندم ولم يخرجه من هذا الا قراءة القرآن وتتسرب المعانى القرآنيـة الى تفسير . ويبن «طلال» الحيرة التى وقع فيها بعـد سماعه لاحد الخطب السياسية والتى حولت الانظار عن آثار الهزيمة فى

التمسك بالقائد والزعيم . ولم تجد هذه الحيرة نهاية لها الا فى جامعة الاسكندرية حيث التحق بها «طلال» وفى مسجد الكلية بعيدا عن أسرته - اقترب منه أحد المصلين ودعاه الى حضور محاضرة فى الحرم الجامعى حول الكفاح والنضال ضد اسرائيل . وكان لتاثير هذه الخطبة السياسية أثرا كبيرا فى نفس طلال حيث أكد الخطيب على اتباع ما فعله الاخوان المسلمين ضد اليهود فى حرب سنة ١٩٤٨ . ومنذ ذلك الوقت بدأ طلال فى الاطلاع والتعمق فى كتابات وفكر الاخوان(٢٩) .

وسرعان ما تم «تجنيد» طلال فى احدى الجماعات الاسلامية ، وقد رشحته حماسته واخلاصه للجماعة كى يصبح فى مدى عام واحد من الخلايا الاساسية التى تزعم الجماعة ، والتى كان أهدافها انقاذ العالم الاسلامى من جميع النظم الفاسدة حتى تصل الى العمل بالشريعة الاسلامية . فظاهرة «طلال» و «غيره» من أبناء جيله ساخطون أشد السخط على النظام الاجتماعى الراهن وسخطهم هذا يأخذ عادة شكل مواجهة متسرعة ضد النظام ، وهم أحيانا يدركون أن مثل هذه المواجهة لن يكون من شأنها اسقاط الحكم القائم ولكنها كما يصفونها «غضبة فى سبيل الله» وهى بالنسبة لهم نوع من «الدعوة من خلال العمل» ولن تكون نتيجتها الا الشهادة أو النصر .. فالمستمع يخرج بانطباع واضح عما يقفون ضده ، فى حين أنه لن يخرج الا بانطباع مبهم غامض أو بعبارات مزدوجة عما عساهم أن يفعلوا اذا ما استولوا على السلطة ان فى وجدانهم عداء متأصلا للغرب وللشيوعية ولاسرائيل وأى حاكم يتعامل مع هذه الجهات أو يصادقها لابد من أن يكون قد خان قضية الاسلام . كذلك فالثروة الفاحشة والسفه ، والاسراف ، فضلا عن الفقر المدقع والاستغلال واغتصاب الحقوق كلها لامكان لها فى اطار مسلمى مصر ، وهم فى هذا يعارضون تقريبا جميع نظم الحكم فى الوطن العربى والعالم الاسلامى وهم يفسرون كثيرا من مظاهر الانحلال فى السلوك فى مصر اما لتاثيرات آتية من الغرب أو بعثرة أموال النفط ،وهم ايضا على قناعة عميقة ، بأنه اذا ما جرى تطبيق «الاسلام الحق» فان مصر والعالم الاسلامى جديران بتحقيق الاستقلال والحرية والرخاء والعدالة واقامة مجتمعات صالحة مستقيمة(٣٠) .

هذان المقالان يوضحان لنا طبيعة شخصية المنتمين للجماعات الاسلامية. سواء داخل الجامعة أو خارجها ـ فهم من أسر الطبقات الوسطى أو الدنيا وجاءوا معظمهم من اصول ريفية وهم جادون فى تحصيلهم الدراسى ٠٠ الا أنهم يعيشون ـ أو هكذا يتصورون ـ فى عالم معقد لا يستطيعون معه التفاعل والتأقلم ٠ وهم لا يستطيعون مهادنة أو التعامل مع النظام الذى يعيشـون فى ظله فهم واسرهم يشعرون بوطأة التضخم المرتفع الذى يكاد يعتصرهم اقتصاديا، أنهم يشاهدون مظاهر البذخ والاسراف من حولهم ، ولكن الحسرة تنتابهم اذ لا يستطيعون أن ينالوا نصيبهم العادل من تلك الاموال التى تبدد بسفه واسراف فى مظاهر استهلاكية وترفيهية(٣١) ٠

وعلى أيـة حال فان الجامعات تعـد بالنسبة للجماعات الاسـلامية «المحاضنة» التى يربى فيها القيادات الدينية ، ولهذا فالجماعات الدينية تدفع العديد من الطلاب للانضمام لها ، ويأخذ الانتماء الى هذه الجماعات مظاهر من أهمها :

١ ـ انتشار الحجاب وهو يتدرج ما بين غطاء الرأس الى النقاب وهو يمثل بالنسبة لهم قمة التحدى للحضارة الغربية المنحلة وبداية الالتزام بالاسـلام ٠

٢ ـ الالتزام بالسنة كاطلاق اللحية ، وهذه تمثل بالنسبة لهم واجبا شرعيا ، ولبس الجلباب حيث أنه بالنسبة لهم أحب الثياب لرسول الله (ﷺ) واستخدام المسواك والبخور ٠٠ الخ ٠

٣ ـ الزواج المبكر حيث يتم الزواج فى المسجد ويتفق الزوجان على اقامة حياة زوجية اسـلامية وبيت مسلم تتفرغ فيه الزوجـة لمنزلها ورعاية أبنائها بينما يتفرغ الزوج للكد والسعى مما يعيد التوازن الى الاسرة المسلمة ٠

٤ ـ صلاة العيد فى الخلاء ، حيث يتم صلاة العيدين فى الخلاء وفقا للسنة ومن ناحية أخرى فان هذا بمثابة استعراض القوة العددية للجماعة الاسلامية ٠

٥ ـ فعل الخير العام ويظهر هذا فى قيام أعضاء الجماعة الاسلامية

من خلال الاتحادات الطلابية بطبع الكتب والمذكرات الجامعية والقروض المالية للطلاب الفقراء ... الخ ومشروع أتوبيسات الطالبات وحل مشكلات الطلاب مع ادارة الجامعة ، والتعبير عن شعور الطلاب فيما يقع من أحداث تمس الوطن ، والقيام بالرحلات الترفيهية بتكاليف رخيصة وتشجيع الرياضة وطباعة الكتب الاسلامية بسعر رخيص من أجل نشر الثقافة والفكر الاسلامي(٣٢) .

٥ ـ التطرف والعنف وظاهرة تكفير المجتمع :

يرتبط بالتطرف الديني ظاهرة أخرى هي استخدام العنف كوسيلة لتحقيق الافكار التي يؤمن بها المتطرفون . والعنف ما هو اذن ، الا وسيلة قد تستخدم لاغراض دينية أو سياسية أو يكون عنفا تلقائيا لبعض المشكلات اليومية التي يعاني منها الانسان المصري المعاصر . والعنف أيضا ليس ظاهرة خاصة بالمجتمع المصري ولكنه وسيلة عامة يستخدمها الشخص عندما يكون في وضع قوة أو ضعف ـ يحاول فيه ان يحقق ما يعتقد فيه بالقوة بعد أن فشل في استخدام الفكر أو الحجة ـ فالعنف ـ وفيما بعد الارهاب ـ يبدأ في الفصل وتتحول الفكرة التي يؤمن بها الشخص الى فعل عدواني ضد الافراد أو المجتمع .

(أ) العوامل التي تؤدي الى الارتباط بين التطرف والعنف :

١ ـ العنف عبارة عن سلوك عدواني بين طرفين متصارعين يهدف كل منهما الى تحقيق مكاسب معينة أو تغيير وضع اجتماعي معين . والعنف هو وسيلة لا يقرها القانون . وكما هو واضح فان من يستخدم العنف يكون غالبا الطرف الاضعف الذي يواجهه طرفا آخر يملك السلطة(٣٣) .

٢ ـ ان المناخ ساهم على الاقل بالتعجيل لنشؤ مثل هذه المنظمات أكثر من هذا فان الموقف السياسي هو الذي حدد الموقف الديني . فالمسالة لست خطأ في فهم الدين أو أن الشباب ينقصه الوعي الديني ، فالعنف ظاهرة سياسية واجتماعية قبل ان يكون دينية » وقد اتخذت الدين وسيلة لتحويل الفكر الى سلوك .

٣ ـ عندما نتحدث عن العنف يجب ان نميز بين العنف وموضوعه .

فهناك تناقضا بين ماهو «عنف» وبين ماهو «دينى» ولذلك فان من الخطأ أن نجمع بين المصطلحين فى عبارة واحدة . فالعنف وسيلة ، ولهذا يمكن أن يستخدم العنف لتحقيق اهداف سياسية أو إهداف اقتصادية أو اهداف دينية وهكذا .. وقد يصل العنف الى حد الارهاب ، وكلاهما صورة من صور الاخر ، فالعنف وسيلة لتحقيق أهداف معينة أو الارهاب فهو صورة مبالغ فيها وقد يكون الارهاب فكريا تدعمه قوة مادية للسيطرة على الموقف . وباختصار فان الارهاب صورة خاصة لا يمكن فهمه الا من خلال فهم العنف بصفة عامة ولكن لايجب أن نخلط بينهما . ولا يمكن أن نصف الجماعات الدينية بالارهاب حتى ولو كانوا رافضين أو غاضبين ، لان الارهاب صورة خاصة وبه أوضاع خاصة وسيظل عملا خاصا لفرد معين أو مجموعة أفراد ولا يمكن تعميمه(٣٥) .

٤ ــ موضوع العنف فى مصر هو موضوع له جوانب كثيرة ومتشابكة . والعنف المرتبط بالجماعات المتطرفة قد اختلط بالايمان وليس عنف الفرد الذى يعلم أنه يرتكب جريمة . هو «عنف» مختلط بالايمان ومؤيد ببعض النصوص التى أرهقت تفسيرا . بل أكثر من هذا اقترن ايضا بفكرة التكفير . العنف من التكفير . «لان هذا معناه أنى لا أعترف اطلاقا بالدولة القائمة لانها دولة ولانه مجتمع كما وصفوه مجتمع جاهلى وكافر وبالتالى يجب ازالته بأى صورة من الصور وبأى اسلوب من الاساليب فليست هى حالة معارضة سياسية عنيفة ولكن عنف قائم على تدمير الدولة ومؤسساتها وعدم الاعتراف بها»(٣٦) .

٥ ــ لا يمكن فهم العنف عن الموقف الفعلى الذى يحرص على العنف . فمناقشة هذا الفكر هامة حتى ولو خلا من العنف . ذلك لان هذا الفكر قائم أساسا على الغاء العقل والاستسلام للمسلمات دون مناقشة وقائم على الفرار من المجتمع وتعطيل الفكر والعقل(٣٧) .

٦ ــ ان الذين يقومون بالعنف من المنتمين لشريحة الشباب الصغير الذى ينتمى الى الطبقات المطحونة اقتصاديا أو الشريحة الدنيا من الطبقة الوسطى . ومن ناحية أخرى فان مشكلة العنف مشكلة فكر الكبار الذين كانوا فى المعتقلات فى ٥٤ ، ٦٥ فهذا الفكر هو نتاج فكر المعتقلات(٣٨) .

٧ ـ ان العنف كوسيلة لحل المشكلات الاجتماعية والسياسية هو صدى لعوامل خارجية ، فلا يمكن أن نعزل ما يحدث فى العالم الخارجى عن شباب مصر • فالمشكلة اذن حلقة فى سلسلة مرتبطة الحلقات يساندها قوى خارجية فى ظروف معينة فى المنطقة العربية • كذلك لا يمكن ان نعزل المشكلة عما يعانى منه المجتمع داخليا أو ما يتعرض له من ضغوط خارجية(٣٩) •

٨ ـ يمكن تفسير هذه المشكلة بالرجوع الىازدواجية الشخصية المصرية بين ما هو مثالى وبين ما هو متطلع للمستقبل فهناك أنماط معيارية تـؤدى بالشباب الى التعقد الشديد ثم هناك أيضا النظرة المستقبلية للامور•ويتدخل الحاضر بكل ما فيه من خلل ليؤدى الى انفصام بين المثل والواقع أو بين القول والفعل • فالامر بالمعروف والنهى عن المنكر وتغيير المنكر حتى لو باستخدام اليد هذه المثل تصطدم بالواقع ولهذا تنشأ الحاجة الى استخدام القوة أو العنف لتحقيق المثال أو الامر الدينى(٤٠) •

٩ ـ ومن ناحية أخـرى أزدواجية الهوية والايديولوجية للمجتمع ، فتردد المجتمع بين الفكر الناصرى وما لحقه من فكر اشتراكى أو شيوعى والفكر الاسلامى ومن ارتبط بالتقاليد والتراث أو محاولة التوفيق بين هذين الاتجاهين السابقين • والحق أن هذه المشكلة ليست وليدة الاونة الاخيرة • بل بدأت منذ القرن العشرين • وتبرز هذه القضية على السطح كلما انتصر الاتجاهين أو استطاع الناس أن تعبر عن رأيها بحرية •كل هذا جعل الشباب حائرا بين هذا وذاك • كذلك فان طبيعة التنظيم السياسى قد فرضت ضغوط معينة دت الى وجود إحباط نتج عنه عدوان ضد المؤسسات والاوضاع القائمة فى المجتمع • كل هذا فى غياب اطار أيديولوجى موجه نحو جذب الشباب واستيعاب كل طاقتهم بحيث يعملون فى اتجـاه أهـداف المجتمع العليا • فالشباب يتفاعل مع واقع المجتمـع وليس أيضـا منعزلا عـن ما يدور فى المجتمعات الاخرى(٤١) •

١٠ ـ ان هـذا الاحباط مرتبط باحبـاطات أخـرى فرضتها الاوضـاع الاجتماعية مما أدى الى زيادة معدلات الاحباط بين مجموعات الشباب الذى غاب عنها الامل فى مستقبل مهنى وأسرى • فالاحباط والشعور بالقلق نتيجة

عن عدم الشعور بالاستقرار والامان • هذا ساعد على استقطاب العديد من هؤلاء الشباب للحركة الاسلامية وتحويل الاحباط من كونه ذاتيا الى كونه اجتماعيا يأخذ شكل الرفض الاجتماعى ويعبر عن مضمونه فى صورة العنف(٤٢) •

١١ - ان انتماء الشباب للجماعات الاسلامية هو بديل لما يعانيه هؤلاء الشباب من الحرمان النفسى • فعلاقة العضو بأمير الجماعة «شعور نحو أب - نحو أكبر من أب وهو ليس شعورا بقيادة دينية فقط •• لا ، انه شعور كمن لقى أيد أمه الحنون ••• بقى واحد يتعلق فى ذراعه ••• ويستطيع أن يوجهه الى هذا العمل يفتح له الدنيا ببساطة وتعليمه ببساطة ••• لقد اعطاهم الحل السريع الذى خيل هذا الاحد منهم أنه يستطيع ان يضع رأسه برأس الكبير فى البلد قدم لهم الحل ، كل منهم وجد نفسه فجأة قد نزل من انساق لا وجود له - المجتمع لا يتجاوب معه ولا يسمع له ولا يعترف به •• (أما الجماعات الاسلامية فتقول له تعالى بجلابيتك ، انت اهم من الذى يرتدى أحسن بدلة •• ونت بهذه اللحية تشكل قوة الدنيا ، وبهذا الفكر أنت قمة الفكر ، أنت منزل الحلول(٤٣) •

(ب) المنظمات الدينية المتطرفة : ظهور ظاهرة تكفير المجتمع :

١ - انتشار ظاهرة تكفير المجتمع - رغم انها ظاهرة تاريخية متمثلة فى ظهور فرق الخوارج - لها أسبابها الاجتماعية والدينية والسياسية • وباختصار فان هؤلاء المنتمين لهذه الفرق معظمهم من الشباب يكفرون المجتمع ويكفرون المرتدين من أخوانهم ، فظاهرة التطرف ليست ظاهرة مصرية فقط بل ظهرت فى التاريخ العربى الحديث والمعاصر سواء فى السعودية ، والجزائر ، وليبيا ، والسودان وسواء معظم هذه الحركات لجأت الى «العنف» لتغيير الاوضاع القائمة ، وهناك بعض التشابهات بين الكثير من وسائل هذه الحركات سواء ماهو دينى منها أو ماهو سياسى أو اجتماعى •

لقد ظهر هذا الفكر لاول مرة فى السجون المصرية فى منتصف الخمسينات كرد فعل لالوان التعذيب التى تعرض لها أعضاء الجماعات الاسلامية المعتقلين

وقتئذ . ففى السجون جرى النقاش بينهم حول هل يكفر من لم ينضم اليهم على اعتبار انهم الجماعة التى يعتقدون بأن القرآن قد أمر بالانضمام اليهم .

كذلك تناول النقاش أمر جنود الشرطة وضباطها الذين ينفذون أوامر التعذيب واجراءات غسيل المخ وذلك استنادا الى قوله تعالى «ان فرعون وهامان وجنودهما كانوا خاطئين» فالحكم باثم الجنود مع أنهم مأمورون كما اقتنع الشباب بأن المجتمع الذى يعيشون فيه هو مجتمع جاهلى وانهم يعيشون جاهلية القرن العشرين . وقد استراحت نفوسهم لكل وصف للمجتمع بالجاهلية . حقيقة لم يدخل هؤلاء فى التفصيلات وظلوا عند هذه العموميات ولقد تكرر الاعتقالات لهذه التجمعات الاسلامية ذاتها فى ١٩٦٥ وتعرضوا لما سبق ان لاقوه فى الخمسينات . كانت نتيجة كل ذلك ان ذاع بعض الشباب أن وراء هذه العمليات مخططا عالما يهدف الى تطويع الاسلام ليخدم اهداف الغرب والصهيونية هذه الاساليب كانت الدافع المباشر لنشأة فكر التكفير الذى اعتبر عيد ميلاده فى مايو ١٩٦٧ بمعتقل أبى زعبل السياسى بمصر عندما طالبت السلطة من المعتقلين تأييد الحكومة بالسلاح والدم(٤٤) .

ان ظهور هذا الفكر كان اذن بمثابة ردود فعل لما لقيه البعض من ظروف الاعتقالات . ولم يكن هناك فهم لدى رواد هذا التفكير وهم معظمهم من الشباب وأكثرهم طلاب فى الجامعات والمدارس الثانوية . ونتيجة لاصطدامهم بالمجتمع والسلطة الحاكمة وتكفير كل منهم للاخر ، تطور هذا الفكر وأصبح له فرق متعددة أظهرها فرقتان :

(أ) عرفت الاولى باسم جماعة المسلمين واطلق عليها اسم جماعة التكفير والهجرة . وتتميز بالوضوح والعلانية وتكفير الحاكم وجميع المحكومين الذين لم ينخرطوا فى جماعتهم .

(ب) أما الجماعة الاخرى تعرف باسم الجماعة الحركية وأن كانوا لا يعلنون هذا الاسم وهى تعمل فى الباطن وتؤمن بهذا الفكر ولكنها لا تظهر تكفيرها للمحكومين وتعلن كفر الحاكم فقط وهؤلاء يرون ان هذا الاسلوب ضرورة حركة اقتضتها مصلحة دعوتهم وجماعتهم فى تلك المرحلة لانها كما يقولون مرحلة استضعاف كالمرحلة المكية التى سبقت هجرة الرسول الى المدينة(٤٥) .

لقد تبنت كل طائفة عن نصوص شرعية تؤيد بها معتقداتها وهو مايمكن تلخيصه بالنسبة لكل فئة على النحو التالى :

١ ـ جماعة المسلمين (التكفير والهجرة) المبادىء والاساليب :

(أ) المبـادىء :

١ ـ الاعتقاد بأن المسلمين جميعا قد ارتدوا كفارا لانهم يحكمون بغير ما انزل الله وأنهم قد رضوا بذلك ولم يعملوا على تغييره . وذلك استنادا الى الاية «فلا وربك لا يؤمنون حتى يحكموك فيما شجر بينهم ثم لا يجدون فى انفسهم حرجا مما قضيت ويسلموا تسليما) .

ولقد ظل الحوار الهادىء مستمرا بين معارضى هذا الفكر ومؤيده ، حتى اقنع بعض ممثلى فكر التكفير وعلى رأسهم شيخهم علي عبده اسماعيل فى صيف ١٩٦٩ وأذاع هو وجماعته بأنه خلع التكفير كما يخلع ثوبه والقى بثوبه على الارض هنا اعترض شكرى مصطفى وكون جماعته من عدة افراد ، عدل الكثير منهم عن هذا الفكر ولم يبقى منه الا شخص واحد كان طالبا بالثانوية . «ولكن شكرى مصطفى يرد على منتقديه بأن جماعة المسلمين قوامها من كان على الحق ولو كان فردا واحدا . وبهذا اقنع نفسه هو وقتـاه أنهما جماعة المسلمين وأن الجماعات الاسلامية والافراد فى العالم كلهم كفار ، مالم يبايعوا هذا الامام» .

وفى صيف ١٩٧٢ خرج شكرى مصطفى من المعتقل وتركت له حرية تكوين جماعة من شباب الجامعات ووضع كتابا شرع يشرح فيه فكره ولكن حال دون ذلك اعتقاله ومن معه فى قضية مقتل الشيخ الذهبى وأعدم بسببها(٤٩) .

ولقد ظهر هذا الاعتقاد فيما بعد ليكون على الشكل التالى :

(أ) تكفير جميع المسلمين منذ القرن الرابع الهجرى .

(ب) تكفير من لم ينضم الى جماعتهم والجماعات الاسلامية فى مصر وفى أى مكان فى العالم .

(ج) هجرة الجماعات المعاصرة كضرورة شرعية لنصرة الذين المتمثل فى جماعتهم .

(د) تكفير من يرتكب أى معصية ولو كانت من الصغائر ،

(هـ) تحريم الالتحاق بالمدارس والمعاهد العلمية لان الله يقول (هو الذى بعث فى الأميين رسولا منهم» ٠

(جـ) العمل من خلال خطة العدو فان كان لليهود مثلا مصلحة فى اقامة دولة الحكومة الاسلامية من خلال رجل يصلح لتحقيق اغراضهم،فليس هناك ما يمنع من الدخول عليهم من خلال خطتهم ٠

(ب) استخدام العنف ومقتل الشيخ الذهبى :

كما أشرنا بأن فكر هذه الجماعة قد نشأ أصلا بعد اعتقالات ١٩٦٥ وما تبعها من تعذيب فى ساحات السجون «سجن القلعة ، أبو زعبل ، القناطر ، الفيوم ، طره ، السجن الحربى» وتبصر تعرض المعتقلين لكافة أنواع التعذيب عندئذ طرحت قضية التكفير كرد فعل لهذا الذى يحدث ، ولم تنحصر دائرة التكفير بين القائمين على تنفيذ العقوبات ، ولكنها اتسعت حتى شملت أعضاء مجلس الشعب وقتئذ ٠ واتسعت الدائرة أكثر فشملت الشعب لانه راضى عن هذا الذى يحدث تحت سمعه وبصره٠ولكن شيوع.هذه الافكار بقيت محصورة بين عدد محدود من المعتقلين يتناقلونها فيما بينهم٠ وبعد النكسة ومحاكمة رجال الحكم السابق وتخفيف موجة القهر ،.بدأت الاصوات التى تنادى بالتكفير على الحاكم وعلى الشعب ولقد بذلت محاولات للتصدى لهذا الفكر وصدرت كتابات فى هذا المجال وأجرى حوار داخل السجن مع أصحاب هذه الافكار ، الا أن شكرى أحمد مصطفى رفض المشاركة فى الحوار واعتزل على نفسه ٠ وبعد ان افرج عنه اخذ يدعو الشباب للدعوة الى فكره وبالرغم من أنشقاق بعض اعضاء الجماعة عن زعيمها الا أن كان له أتباع يؤمنون بفكره ٠

وكمحاولة من الدولة للتصدى لهذه الافكار قام المكتب الفنى بوزارة الاوقاف باصدار العدد الثانى عشر من سلسلة «مكتبة الامام» وقد قدم لهذا الكتاب الدكتور محمد حسين الذهبى وزير الاوقاف وقتئذ وكان هذا هو السبب الرئيسى وراء اختطافه وقتله(٤٧) ٠

٢ ــ الجماعة الحركية :

ولم تكن هذه الجماعة كيانا مستقلا عن الجماعة الاولى ،فكانوا جميعا يعلنون كفر جميع المسلمين ومن ثم يجب اعتزال المسجد وعدم الصلاة خلف كل مسلم حتى يوضح موقفــه ويبايعه الجماعة وينضم اليها ويسمع ويطيع قياداتها كما يستلزم تحريم الذبائح المقدمة اليهم من أسرهم مع فسخ عقود الزواج اذا لم تعلن الزوجة ايمانها بهذا الفكر وتبايع امام الجماعة ، وانقسم أعضاء هذه الجماعة على أنفسهم ٠ حيث رأى كبار السن منهم أن مواجهة الابوين والزوجات والعلماء والمجاهدين من المعتقلين بكفرهم سيؤدى الى سخط المجتمع على الجماعة والى انصراف الكثير عنهم ولهذا رأى هؤلاء ان فكرهم يحتاج الىمنيوجهه بالتدريج الان ومصلحة هذهالجماعة تقتضىالا من آمن به فالمفهوم الرئيسى لهذا الفكر يلقن بالتدريج ، وهذا ما يسمى عندهم الحركة بالمفهوم ، وهى جزء من العقيدة(٤٨) ٠

وهذه الضرورة الحركية جعلتهم يخضعون تكفيرهم لغيرهم واستبدلوا لذلك أمرين :

(أ) المفاصلة الشعورية وتقتضى عدم اعتزال المساجد والجماعات الاسلامية والعمل من خلالهم مع اعتقاد كفرهم ، فاذا صلوا خلفهم ــ مثلا فلا ينوى أحدهم صلاة الجماعة بل ينوى صلاة المتفرد ٠

(ب) عهد الاستضعاف ، رأى هذا الفريق أن أكلهم ذبائح من يكفرونهم وعدم فسخهم عقود زوجاتهم وعدم قيامهم بالامر بالمعروف والنهى عن المنكر فى المجتمع لانه كافر راجع الى تعرضهم فى العهد المكى عهد الاستضعاف الذى كانت تحل فيه هذه الاشياء فى نظرهم(٤٩) ٠

٣ ــ مقارنة بين الخصائص التنظيمية والقيادية والفكرية للجماعات الدينية المتطرفة :

ان ظهور جماعات التطرف الدينى فى مصر ــ جماعة التكفير والهجرة وجماعة صالح سرية رغم اختلافهما ، فان تنظيمها يبدأ برجل واحد فى كل جماعة ٠

(أ) فالقائد الاول صالح سرية ــ حاصل على الدكتوراه في العلوم ــ فلسطيني الجنسية في الثلاثينات ــ كان عضوا بالاخوان المسلمين فرع الاردن (المعروف باسم حزب التحرير الاسلامي) انضم بعد هزيمة ١٩٦٧ الى بعض المنظمات الفلسطينية وحاول التعاون مع بعض الدول العربية التي تحرض الى الثورة · قضى فترات في السجن واستقر في مصر ابتداء من ١٩٧١ حيث عمل في منظمات جامعة الدول العربية في القاهرة ·

بدأ في جذب اهتمام بعض الطلاب المتدينين وشكل بعض الخلايا السرية في القاهرة والاسكندرية ·

(ب) اما جماعة التكفير والهجرة ــ زعيمها شكرى مصطفى خريج كلية الزراعــة كان أيضا في الثلاثينات من عمره وكان عضــوا في الاخوان المسلمين والقى القبض عليه ١٩٦٥ وسجن بسبب ذلك وفي السجن اصابه خيبة أمل في اعضاء الاخوان الاكبر سنا الذين انهاروا تحت التعذيب ·

وبدأت الخلية الاولى للتكفير والهجرة اثناء وجود شكرى مصطفى في السجن وبعد الافراج عنه سنة ١٩٧١ بدأ في توسيع حركته ·

هناك اذن سمات مشتركة بين مؤسسى الحركتين :

(أ) الســن · (ب) التعليم ·

(جـ) عضوية الاخوان السابقة ·

(د) تجربة السجن والاحباط تجاه الجماعات الدينية السابقة ·

(هـ) قوة سيطرة كل منهما على جماعة ·

فالشعور بالحبس نحو صالح سرية يقابله البرهن تجاه شكرى مصطفى ·

أما عن أوجه الاختلاف :

١ ــ اعتمد شكرى مصطفى على القرابة والصداقة في تجنيد الاعضاء في حين اعتمد صالح سرية على الصداقة والقيادة ·

٢ ــ خريطة أفكار سرية من القاهرة للاسكندرية (دلتا نهر النيل)، في حين أن معظم أعضاء التكفير والهجرة صعيد مصر ، وهذا راجع الى أن

سرية كان يعمل فى القاهرة وله صوت فى الاسكندرية أما شكرى مصطفى يعمل فى أسيوط ٠

اما ما هو متاح عن بيانات اجتماعية عن الاعضاء فهى :

فى جماعة التكفير والهجرة كان الاعضاء منتمين من سن ١٧ ـ ٢٦ سنة ، بينما الاعضاء فى جماعة صالح سرية كان منهم من ٢٢ ـ ٢٤ سنة بمعنى أن المتوسط فى الجماعة الاولى ١٤ سنة وفى الثانية ١٦سنة وهذا يعنى أن الاتباع أقل سنا من المؤسس وكان ثلثا الاعضاء من القرى والمدن الصغيرة وانتقلوا الى القاهرة والاسكندرية من أجل الالتحاق بالعمل أو المعاهد التعليمية وكل واحد منهم يعيش اما بمفرده أو مع زملائه ، ومعظم الاعضاء كان أبائهم يعملون كموظفين حكوميين (شهادات متوسطة). وكان تعلم الابناء أعلى من الاباء ومن تخرج منهم يعمل فى وظائف حكومية ٠ أما الطلبة كانوا فى كليات لا تقبل أقل من ٨٠٪ فى الثانوية العامة ٠ اما عن الوسط الاسرى لهم فهو أن نصف الاعضاء يعانون من توتر عائلى والبعض فقد أحد والديه ٠ وتتفق كلا الجماعتين فى تكوين نظاما لمراقبة الاعضاء وكانت تأمر الاعضاء بترك الوظائف وهجرة المجتمع حتى تصبح الجماعة هى العالم الكلى لاعضائها وكان هناك التهديد بالفصل من الجماعة والايذاء البدنى للاعضاء وقد تعرض الكثيرون للتعذيب البدنى(٥٠) ٠

وتكونت الجماعات فى وقت واحد ومع هذا كانت كل واحدة مستقلة عن الاخرى ، وفى عام ١٩٧٤ علمت كل منهما بوجود الاخرى وقامت محاولة لتوحيد جهودها ولكنها فشلت بسبب الزعامة حيث أن شكرى مصطفى كانت له الكلمة الاولى وكان له مكان مسيطرا على كل شئ فى جماعته حتى على أمور الزواج والطلاق بين افراد الجماعة، وكان اعضاء الجماعة يعتبرون له سلطة حتى على أمور الدين والعبادة ومع مرور الوقت اصبح من حقه اصدار حتى أحكام الاعدام على اعضاء الجماعة وحتى بعد أسابيع من شنقه لم يصدق الكثيرون أنه مات ٠

اما عن موقفهم الفكرى يتلخص فى الاتى :

(أ) **الموقف من المرأة :** لم تقبل جماعة صالح سرية عضوية المرأة

للجماعة فى حين ان شكرى مصطفى كان يقبل ذلك وكان يكاد يمنع الاختلاط مع النساء فى الاماكن العامة ، دعوة المرة الى المنزل وعدم العمل · والاسرة فى نظرهم لا تقوم على الاستقلال والمساواة ·

(ب) **الموقف الاقتصادى**:لم يكن لديهم فكر اقتصادى وعندما ينحرفون عن التنظيم الاجتماعى عن المجتمع نجد أن فكرهم خليط غير متجانس من أفكار أخرى وهم يستعملون تعبيرات بدون دلالات محددة · ويعتبر بعضهم ان نجاح تجربة ماوتسى تونج فى الصين راجع الى الهامه بالاسلام ومن الموقف الاقتصادى يقيمون خليطا من إشتراكية حزب العمل البريطانى مع اشتراكية عبدالناصر ·

(جـ) **الموقف السياسى** : يقولون ان الحاكم لابد ان يكون شابا دون أن يقولوا السبب فى ذلك ودون أن يوضحوا الطريقة فى اختيار هذا الرئيس أو طريقة استشارة اعضاء المجتمع · وتكلموا عن التفويض الاعلى لقائد الجماعة وعدم مناقشته وضرورة طاعته العمياء ·

(د) **الموقف من رجال الدين والازهر** : ينظرون الى العلماء على أنهم مجرد موظفين لدى الدولة وتصل الهمجية بالبعض الى القول بأنهم ببغاءات المنابر وينظر فى البعض الى وضعهم بالانتهازية والنفاق · وعندما قررت الجماعة الصدام مع الحكومة اختارت وزيرها د· محمد حسين الذهبى وكان اعدامه تعبيرا عن عداء الجماعة للمؤسسات الدينية الرسمية فى مصر · وينظر علماء الجماعة الى علماء الازهر على أنهم عقبة أمام تطبيق الاسلام الصحيح · أما موقف هذه الجماعة من الاخوان المسلمين يبدو مختلفا ، فهم يعتبرون حسن البنا من الرواد وتأثر اعضاء جماعة صالح سرية بادبيات الاخوان خاصة كتابات حسن البنا وسيد قطب ،ويهاجم أعضاء هذه الجماعات أفكار المنادين بفصل الدين عن الدولة خاصة على عبدالرازق ·

(هـ) هدفى الجماعة الرئيسى هو قلب نظام الحكم وليس المقصود النظام السياسى فقط ، بل النظام الاجتماعى والخلاف بينهما فى طريقة التنفيذ · تعتمد جماعة صالح سرية على المواجهة لاسقاط النظام وذلك من خلال التدريب الشاق على الاسلحة والتسلل الى الشرطة والقوات المسلحة

واعداد دراسات مفصلة عن السلوك والروتين اليومى للرتب والقادة الاخرين وعمل خرائط عن الاماكن الاستراتيجية فى العاصمة • واعداد البيانات التى ستذاع من وسائل الاعلام •

ولكن جماعة التكفير والهجرة كانت تعتمد على تغير كل المؤسسات الاجتماعية لان كل افراد المجتمع فاسدون والتغير يبدأ من القاعدة التى هى كل المجتمع وبعد اجراء التغير فى الناس يتحرك التنظيم لاسقاط الحاكم نفسه ولقد اصطدمت جماعة صالح سرية بالدولة سنة ١٩٧٤ ، ولكن جماعة التكفير والهجرة اصطدمت بالدولة فى سنة ١٩٧٧(٥١) •

٦ ـ خاتمــــة :

بينــا فى هــذا الفصــل كيف ان «التطرف» ظاهرة عامة تصيب كل المجتمعات الشرقى منها والغربى . كذلك بينا ان ظهور هذه الظاهرة يرجع اساسا لابتعاد «الواقع» عن «المثــال» وغياب التحــديد الواضح «للهوية الحضارية» هذا بالاضافة الى التفاوت الاقتصادى والاجتماعى والبحث عن «مخلص» للازمة الشخصية والمجتمعية .

ولا يمكن فهم التطرف ـ خاصــة ما يعرف بالدينى ـ الا بفهم طبيعة التنظيمات الدينية التى هى «محاض» لهذا الفكر . فمن خصائص هــذه التنظيمات ان تفرض على اعضائها طريقة معينة فى الحياة تهدف الى النقاء الخلقى والروحى ، وفى نفس الوقت الاحساس بالهوية والذاتية والتمايز . وغالبا ما يتقبل الافراد هذه «الاوامر» بدون مناقشة . اكثر من هذا ، فان المتطلبات المفروضة من قبل هذه التنظيمات على الاعضاءء تؤثر بشكل مباشر على الشخص باكمله ، فقد يطلب من العضو الذى ينتمى الى تنظيم دينى ان «يضحى» أو يتنازل عن حريته الشخصية فيما يتعلق بممتلكاته المادية أو مشاعره أو واجباته الاسرية أو الاستمرار فى عمل مستقر او الامتناع عن بعض المتع الحســية . كذلك قد يطلب من العضو أن يعيد تصــوره لعالمه النفسى وتصوراته الفكرية . وفى بعض الاحيان نجد ان هذه الاوامر المفروضة على الفرض قد تبلغ مداها . ولهذا يفرض التنظيم من العضو الانسحاب أو العزلة من الحياة الاجتماعية .وعندما يصطدم هذا التنظيم بالنظام القائم فان الاوامر قد تفرض على الفرد اعدامه «العصيان» والعمل على قلقلة النظام القائم ، ومن ثم استخدام العنف لاهداف دينية أو سياسية . والحق اننا لا نجد مثل هذا الالتزام الا فى التنظيمات الدينية او بعض التنظيمات السياسية خاصة السرى منها .

وتمثل القيادة الدينية لهذه التنظيمات عنصرا هاما واساسيا فى تحديد درجة التطرف ومداه .فالملاحظ ان هذه القيادة قائمة على اساس «كرزماتى» أى «سلطة ملهمة» .وهنا تكمن الخطورة ، فالقائد الذى يتصف بهذه الصفات

الكرزماتية ـ سواء ادعاها هو بنفسه او اضفاها الاعضـاء والاتباع عليه ـ يتطلب الطاعة العمياء من اتباعه • وغالبا ما تكون اتجاهات هؤلاء القادة معادية للنظام القائم ، اما لطبيعتهم الثورية ، أو لما يعتنقونه من افكار وبرامج تتسم «بالراديكالية» أو لان تجربتهم الشخصية مع النظام القائم قد تميزت بالتحدى والمطاردة والتعذيب • كل هذا جعل هؤلاء القادة فى موقف «مواجهة» ان لم يكن «خصومة» و «عداء» من النظام القائم ؛ ومن ثم يعملون على حث الاتباع الى «المواجهة» التى غالبا ما تلجأ الى العنف فى مواجهة قوى النظام القائم •

اما عن الاعضاء الذين ينتمون الى هذه التنظيمات والذين يتصفون فيما بعد «بالتطرف»فاغلبهم من «الشباب الحائر» الذى يبحث عن «بديل» يحقق له ذاتيته ويحقق له الراحة النفسية فى مستقبل أفضل • ففى مقابل جموع الشباب الذى وجد «البديل التطرفى» فى الانحلال الخلقى والمخدرات والجرى وراء الفكر العلمانى والتغرب،نجد جماعات التنظيم الدينى تحاول تقويم التراث الدينى «كمحدد» للهوية الشخصية «دافعـا» للسيطرة على مقاليد القوة فى المجتمع «وناقدا» للوعى الكاذب الذى تفرضه الاتجاهات العلمانية والالحادية فى المجتمع • ان انتماء هؤلاء الاشخاص لهذهالتنظيمات يحقق ، اذن ، ما يفتقده أو يبحث عنه هؤلاء الشباب من انتماء وعلاقات بديلة افتقدوها فى أسرهم ومجتمعاتهم •

ولقد ظهرت الافكار الدينية ـ والتى وصفت فيما بعد بالتطرف ـ فى المجتمع المصرى كنتيجة تلقائية للتطرف العلمانى والمظهرى الذى اصاب المجتمع المصرى فى بداية هذا القرن ، وحاولت الجماعة الدينية ـ الاخوان المسلمون ـ تغيير الواقع الاجتماعى نحو المثال الدينى • وقد لجأت هـذه الجماعة ـ مثلها فى ذلك مثل الجماعات السياسـية فى ذلك الوقت ـ الى استخدام العنف عندما اصطدمت بالنظام أو عندما احس النظام بخطورتها• واستمر هذا الاتجاه ـ الارتباط بين الحركة الاصلاحية واستخدام العنف لتحقيق التغير أو المجتمع المنشود ـ حتى يومنا هذا وفى الاونة الاخيرة ـ خاصة بعد هزيمة ١٩٦٧ بدأ العامل الدينى فى الظهور بعد حالة الكمون الى

حالة الشكل المظهرى (اللحية ـ الحجاب ... الخ) وقد عملت القيادة السياسية فى تلك المرحلة على «استثمار» هذا الدافع الدينى لدى الشباب لتصفية التطرف الشيوعى فى الجامعات الا أن هذه التنظيمات الدينية أخذت تنمو بمعدلات سريعة ، وظهر فى الساحة المصرية بعض القيادات الدينية للاخوان بعد الافراج عنهم من المعتقلات ، كذلك بروز بعض التنظيمات الجديدة التى عملت قياداتها على تجنيد الشباب من اجل تغير «الواقع الجاهلى» والحكم بما أنزل الله من شرائع . وخرج من هذا المعسكر تنظيم الفنية العسكرية (١٩٧٤) والتكفير والهجرة (١٩٧٧) وتنظيم الجهاد الذى قضى على رئيس الجمهورية ١٩٨١ .

ان المجتمع المصرى المعاصر مازال يحمل فى طياته نفس الظروف والاسباب التى خلقت هذا الفكر وهذه التنظيمات . اكثر من هذا فان نتائج الانفتاح الإقتصادى والازمة الاقتصادية ، وتراجع فرص العمل فى الدول النفطية ـ كل هذا جعل من المشكلة الاقتصادية اكثر وضوحا ـ وهى فى نظرنا من العوامل الهامة المعجلة بظهور هذه التنظيمات . كذلك فانه الى الان هناك «تميع» للهوية الحضارية للمجتمع المصرى . فالشباب القابل للتشكيل يرى ، ازدواجية قيمية من حيث التناقض بين ما يأمر به الدين وبين ما يراه من مظاهر النساء فى الشارع المصري ـ ووسائل الاعلام تجد هذا الشباب حائرا وغالبا ينتهى به الامر اما الى التطرف المادى، أو الى التطرف الدينى . ان وسائل الاعلام ورجال الفكر والدين يكتبون عن الشباب المنحرف والمتعب والمتطرف والارهابى والى الان لم قبذل أى محاولة جادة لعرض اتجاهات لشباب نحو هذه الظواهر . وهذا ما سوف نحاول ابرازه فى الفصل القادم .

الهوامش والمصــــــادر

(١) انظر : محمد احمد بيومى، **علم الاجتماع الدينى** ٠ الاسكندرية: دار المعرفة الجامعية ، ١٩٨٥ ص ٣٥٠ ـ ٣٨٩ ٠

(٢) لمزيد من التفاصيل عن المنظمات الدينية وخصائصها البنائيــة انظر :

Nottingham, E.,K., **Religion** : A sociological view, N.Y.: Randome. House, 1971. pp. 218.

Yinger, J. , M., **Religion in the struggle for Power.** Durham : N.C. Duke University Press, 1946.

Weber, M., the **Sociology of Religion.** Trans. by E. Firschoff, Boston: Beacon Press, 1963.

Wilson, B., "An Analysis of Sect Development" **A.S.R.** vol. 24.FEB 1959) PP. 3 — 15.

(٣) انظــر : مصطفى فرغلى «رأى فى الجماعات الاسلامية» مجلة الدعوة : العدد ٣٨ لسنة ١٩٧٩ ٠ ص ٤٥ ٠

(٤) احمد كمال ابــو المجد ، «التطرف غير الجريمــة والتشخيص الدقيق مطلوب» **مجلة العربى** سنة ١٩٨٢ ٠ العدد ٢٧٩ ٠ ص ٣٦ـ٤٠ ٠

(٥) **المرجع السابق**٠

(٦) انظر محمد الغزالى «حذار من التدين المغشوش» **مجلة العربى**، **مرجع سابق** ، ص ٤١ ـ٤٣ ، عبدالعزيز كامل«القمع سبب للتطرف وليس علاجا له»**مجلة العربى** ، **مرجع سابق** ص ٤٨ ـ ٥١ ٠

محمد فتحى عثمان ، «الوسيط الغائب بين الشباب والسلطان» **مجلة العربى مرجع سابق** ص ٥٦ ـ ٥٧ ٠

(٧) يوسف القرضاوى ، «علامات للتطرف الدينى» **مجلة العربى** ، **مرجع سابق** ، ص ٣٢ ـ ٣٥ ٠

(٨) احمد كمال ابو المجد ، **مرجع سابق** ، ص ٣٧ ـ ٣٩ ٠

(٩) **المرجع السابق** ٠

(١٠) خالد محمد خالد ، «اسباب اربعة للتطرف » **مجلة العربى** ، **مرجع سابق** ، ص ٥٢ ـ ٥٥ لمزيد من التفاصيل عن ارتباط العنف بالتيارات السياسية فى مصر انظر :

محمود متولى ، **مصر وقضايا الاغتيالات السياسية** ، القاهرة : دار الحرية للصحافة والطباعة والنشر ، ١٩٨٥ ٠

لطفى المراغى ، قضية الاغتيالات السياسية• القاهرة ، مطبعة الرياض، ١٩٨٥ •

عادل حموده، اغتيال رئيس : بالوثائق اسرار اغتيال أنور السادات• القاهرة : دار سينا للنشر ، ١٩٨٥ •

See : Mitchell, M, **The society of Muslim Brethren**, London: Oxford University Press, 1969.

انظر ايضا ما كتب عن هذه الحركة :

زكريا سليمان بيومى ، **الاخـوان المسلمون والجماعات الاسلامية فى الحياة السياسية المصرية ١٩٢٨ ـ ١٩٤٨** •القاهرة : مكتبة وهبه ، ١٩٧٩•

رؤوف شلبى ، **الشيخ حسن البنا ومدرسته الاخوان المسلمين**•القاهرة: دار الاعتصام ١٩٧٨ •

شوقى زكى ، **الاخوان المسلمون والمجتمع المصرى** ، القاهرة : مكتبة وهبه ١٩٥٤ •

اسحاق موسى الحسينى ، **الاخوان المسلمون كبرى الحركات الاسلامية الحديثة** ، الطبعة الاولى ١٩٥٦ •

جابر رزق ، **مذبحة الاخوان فى ليمان طره** • القاهرة : دار الاعتصام، ١٩٧٩ •

جابر رزق ، **مذابح الاخوان فى سجون ناصر**، القاهرة : دار الاعتصام، ١٩٨٠ •

لجنة كتب قومية ، **جرائم عصابة الاخوان** ، القاهرة : الدار القومية للطباعة والنشر ١٩٦٥ •

(١٢) عصام الدين العريان **«المد الاسلامى فى الجامعات فى القرن الرابع عشر» مجلة الدعوة** العدد ٥٥ نوفمبر ١٩٨٠ ص ٧٢ ـ ٧٤ •
انظر ايضا :

مصطفى فرغلى ، رأى الجماعات الاسلامية **مرجع سابق** ص ٤٥ •

(١٣) يوسف القرضاوى، «صحوة الشباب الاسلامى» **مجلة الامة** العدد العاشر ، اغسطس ١٩٨١ ص ٦ ـ ٧ •

(١٤) **المرجع السابق** •

(١٥) **المرجع السابق** •

(١٦) **المرجع السابق** •

(١٧) مصطفى فرغلى ، رأى فى الجماعات الاسلامية **مرجع سابق** ، ص ٤٥ وما بعدها •

(١٨) المرجع لسابق ·

(١٩) المرجع السابق ·

(٢٠) خالد محمد خالد «اسباب أربعة للتطرف» مرجع سابق،ص ٥٢ ·

(٢١) المرجع السابق :

(٢٢) لمزيد من التفاصيل عن الحركات الدينية المتطرفة التى ظهرت فى العالم الاسلامى انظر ·

محمد عمارة ، **تيارات الفكر الاسلامى** ، القاهرة : دار الهلال ١٩٨٢ ·

محمد جابر عبدالعال ، **حركات الشيعة المتطرفة واثرهم فى الحياة الاجتماعية والادبية لمدن العراق أبان العصر العباسى الاول** القاهرة : مطبعة السنة المحمدية ، ١٩٥٤ ·

محمد مال الله ، **الشيعة وتحريف القرآن** ، بيروت : دار الوعى الاسلامى ، ١٩٨١ ·

أحمد علوش ، **الجمعية الماسونية حقائقها وخفاياها** · القاهرة :الدار القومية للطباعة والنشر ١٩٦٦ ·

خضر حمد ، **هذه هى الماسونية فاقتلوا جذورها** · القاهرة : دار الاعتصام ١٩٨٠ ·

محسن عبدالحميد ،**حقيقة البابية والبهائية** · بيروت : منشورات المكتب الاسلامى ١٩٦٩ ·

محب‌الدين الخطيب ، **البهائية** ، القاهرة : المطبعة السلفية ،١٩٧٣ ·

احمد الجبالى : **البهائية فى الماضى والحاضر** · الاسكندرية : المركز العربى للنشر والتوزيع ، ١٩٨٥ ·

على رشدى ، **الحكم على البهائية**·القاهرة : المطبعة السلفية ،١٩٣٢·

عبدالله النورى ، **البهائية سراب**· القاهرة : دار الاعتصام ، ١٩٧٠ ·

محمد الخضر حسين ، **القاديانية** · القاهرة : سلسلة البحوث الاسلامية · ١٩٧٠

انور الجندى ، **القاديانية خروج عن النبوة المحمدية** · القاهرة : دار الاعتصام ، ١٩٨٣ ·

سليمان الحلبى ، **طائفة النصرية تاريخها وعقائدها** · القاهرة :المطبعة السلفية ١٩٧٩ ·

عبدالحميد مهدى العسكرى ، **العلويون أو النصيرية** ، تونس : شركة الشعاع للنشر ، ١٩٨٠ ·

(٢٣) **المرجع اسابق** ، ص ٥٥

(٢٤) **المرجع السابق** ٠

(٢٥) **المرجع السابق** ، ص ٥٣ ٠

(٢٦) **المرجع السابق** ص ٥٣ ــ ٥٤ ٠

(٢٧) سعدالدين ابراهيم، **النظام الاجتماعى العربى الجديد** ٠ بيروت: مركز الدراسات الوحدة العربية ، ١٩٨٢ ٠ ص ٣٩ ــ ٥٠ ٠

(٢٨) **المرجع السابق** ٠

(٢٩) **المرجع السابق** ٠

(٣٠) **المرجع السابق** ٠

(٣١) **المرجع السابق** ٠

(٣٢) عصام‌الدين العريان «المد الاسلامى فى الجامعات ٠٠» ، **مرجع سابق** ، ص ٧٢ ــ ٧٤ ٠

انظر ايضا فرج فوده «التطرف السايسى ــ الدينى فى مصر» مجلة فكر الدراسات والابحاث العدد ٧ سنة ١٩٨٥ ٠ ص ١١ ــ ٢٦ ــ ندوة التطرف السياسى الدينى فى مصر ،**المرجع السابق** عدد ٨ ديسمبر ١٩٨٥ ص ٣١ ــ ١١١ ٠

(٣٣) **مجلة المصور** «حوار حول العنف والتنظيمات السرية فى مصر» العدد ٢٩٨٤ ــ ديسمبر ١٩٨١ ٠

(٣٤) **المرجع السابق** ٠

(٣٥) **المرجع السابق** «ظهرت العديد من المقالات التى تناقش فكرةهذه الجماعات أو تدعو الى تفهم مشاكلهم والحوار معهم ٠ انظر : الجرائد والمجلات المصرية عقب إى حادث عنف أو ظهور تنظيم دينى جديد ٠

(٣٦) **المرجع السابق** ٠

(٣٧) **المرجع السابق** ٠

(٣٨) **المرجع السابق** ٠

(٣٩) **المرجع السابق** ٠

(٤٠) **المرجع السابق** ٠

(٤١) **المرجع السابق** ٠

(٤٢) **المرجع السابق** ٠

(٤٣) **المرجع السابق** ٠

(٤٤) سالم البهنساوى «وراء القضبان ولدوا وهكذا يتكلمون» **مجلة العربى المرجع السابق** ، ص ٤٤ ـ ٤٥ ٠
انظر ايضا :

رجب مدكور ، **التكفير والهجرة وجها لوجه** ٠ القاهرة : مكتبة الدين القيم ، ١٩٨٥ ٠

(٤٥) **المرجع السابق** ص ٤٥ ٠

(٤٦) **المرجع السابق** ص ٤٦ ٠

(٤٧) جابر رزق ، **المؤامرة على الاسلام مستمرة** ٠ اقاهرة : دار الدعوة للطباعة والنشر ، ١٩٨٤ : ص ١٤٧ ـ ١٦٩ ٠

(٤٨) سالم البهنساوى ، **مرجع سابق** ، ص ٤٦ ٠

(٤٩) **المرجع السابق** ، ص ٤٦ ـ ٤٧ ٠

(٥٠) **مجلة المصور** «التاريخ السرى لجماعات الارهاب الاسودفىمصر» ٣٠ اكتوبر ١٩٨١ ٠

(٥١) **المرجع السابق** ٠ انظر ايضا رفعت سيد احمد «اشكالية الصراع بين الدين والدولة فى النموذج الناصرى» **مجلة اليقظة العربية** العدد ٤ ، ١٩٨٥ ، ص ١٨ ـ ٤٧ ٠

الفصل الرابع

الاتجاهات الاجتماعية نحو ظاهرة التطرف
الواقع الميدانى

أولا : الاستراتيجية المنهجية ٠

(أ) أهداف الدراسة : المجال والاهداف ٠

(ب) الاجراءات المنهجية ٠

ثانيا : نتائج الدراسة الميدانية ٠

(أ) الخصائص النوعية لمجتمع البحث ٠

(ب) التكوين الاسرى ٠

(جـ) العلاقات داخل الاسرة : التسامح والتشدد ٠

(د) التطرف والمفاهيم المرتبطة به ٠

(هـ) أسباب ومظاهر التطرف ٠

(و) اقتراحات لمواجهة مشكلة التطرف ٠

اولا : الاستراتيجية المنهجية :

(أ) أهداف الدراسة : المجال والاهداف .

١ ـ **التعريف بمجال الدراسة :** الهدف الرئيسى من هذه الدراسة هو الوقوف على الابعاد الاجتماعية لظاهرة التطرف فى المجتمع المصرى . بمعنى آخر فان هذه الدراسة تحاول التعرف على العوامل التاريخية والبنائية التى أفرزت هذه الظاهرة فى المجتمع المصرى . ومن ناحية أخرى تحاول هذه الدراسة رصد الاتجاهات الاجتماعية لعينة من المجتمع المصرى لمعرفة مواقفها بالنسبة لهذه الظاهرة .

ولهذا اقتضت هذه الدراسة أن يتوفر لها :

(أ) التحليل البنائى لانساق القيم المحددة لهوية المجتمع المصرى وما أصابها من تغيرات .

(ب) التعرف على دور العامل الدينى فى المجتمع المصرى والاسباب التى أدت الى ظهور التطرف الدينى .

(جـ) وأخيرا الاتجاهات الاجتماعية التى عبرت عنها عينة البحث نحو تقبل أو رفض هذه الظاهرة .

٢ ـ **الهدف من الدراسة :**

كما أشرنا فان الاستراتيجية المنهجية للبحث تقتضى التعرف على الابعاد الاجتماعية التى أدت الى ظهور هذه الظاهرة . ولتحقيق هذا الهدف فان الدراسة الراهنة قدمت تحليلا واعيا للثوابت والمتغيرات فى أنساق القيم خاصة الدينية وما طرأ على الشخصية المصرية من مظاهر سلوكية وفكرية أدت فيما بعد الى ظهور ما يسمى بالتطرف والتعصب والعنف ... الخ . وقد اختلفت طرق معالجة هذه الظاهرة ، فالكثير من مجتمعات العالم الثالث تفرض القمع والتشدد فى معالجة هذه الظاهرة ، الا أن هذا أدى الى زيادة موجة التطرف وتركت العديد من الاثار النفسية والاجتماعية

على شباب العالم الثالث · على أية حال ، فان هـذه الدراسة تهدف الى التركيز على الابعاد الاجتماعية لهذه المشكلة من حيث :

١ ــ بيان العلاقة بين الدين والتغير الاجتماعى فى المجتمع المصرى خاصة فى الفترة من ١٩٦٧ وحتى ١٩٨١ ·

٢ ــ الاثار التى تركتها الاجـراءات القمعية التى تتخـذها الاجهزة الرسمية بالنسبة للمتطرفين وما يؤدى هذا فى كثير من الحالات الى نتائج عكسية تدفع المتطرفين الى استخدام العنف ·

٣ ــ «الوصمة الاجتماعية» لما يطلق عليه متطرف وآثار ذلك على شبكة علاقاته الاجتماعيـة مما يدفعـه فى النهاية الى التوحـد مـع الفكر المتطرف ·

٤ ــ كذلك من بين أهداف هذه الدراسة هو الوقوف على الاتجاهات الاجتماعية نحو التطرف وأسبابه بحسب طبيعة الانتماء الى جماعة دينية أو فئة عمرية معينة أو مهنة معينة ·

٥ ــ كذلك تحاول هذه الدراسة التفرقة بين المفاهيم المرتبطة بالتطرف مثل التعصب ، العنف ، الارهاب · ومن ناحية أخرى التفرقة بين مظاهر التطرف أو ما يسمى بالتطرف الدينى والسياسى والرياضى والمظهرى ·

٦ ــ دور عالم الاجتماع فى التصدى لهذه الظاهرة وتحديد أسبابها ومظاهرها وطرق علاجها سواء على المستوى المجتمعى أو المستوى الشخصى ·

(ب) الاجراءات المنهجية :

١ ــ طبيعة الدراسـة :

نظرا لانه لا يوجد ــ لحد علمى ــ أى دراسات سابقة عن ظاهرة التطرف فى العالم الثالث عامة والمجتمع المصرى خاصة فان هذه الدراسة تقع فى نطاق الدراسات الاستطلاعية التى تعتمـد على مجموعة من الاجراءات المنهجية التى تعين على تحقيق أهداف الدراسة خاصة الاعتماد على التراث والخبرات المتـاحة ومحاولة دراسـة حالات متعمقة · وكما هـو معروف فان البحوث الاستطلاعية تعد خطوة أولى وأساسية فى سلسلة البحث الاجتماعى · فما

نهدف اليه فى هذا البحث هو التوصل الى بلورة الابعاد الاجتماعية لظاهرة التطرف مما يؤدى فيما بعد الى بلورة بعض الفروض حول التصدى لهذه المشكلات ، كذلك فان من بين أهداف البحث الاستطلاعى هو توضيح بعض المفاهيم خاصة الغموض بين مفهوم التطرف ، والتعصب ، والعنف والارهاب كذلك فان هـذا البحث الاستطلاعى يهـدف الى جمـع معلومات متعلقـة بالاتجاهات الاجتماعية الفعلية لعينة من المجتمع المصرى نحو هذه الظاهرة وأسبابها . وسوف يعتمد هذا البحث ـ مثله مثل أى بحث استطلاعى ـ على المسح الاجتماعى ودراسة الحالة كطريقتين فى التوصـل الى البيانات حول ظاهرة التطرف . ولاشك أن تجميع مثل هذه البيانات يعـد تنظيما سوف يساعد على القاء الضوء على الجوانب المختلفة لظاهرة التطرف .

٢ ـ العينة وخصائصها :

لما كان الهدف من هذا البحث هو التعرف على الابعـاد الاجتماعية لظاهرة التطرف فان الاستراتيجية المنهجية اقتضت اعتماد هذا البحث على المسح بالعينة لبعض الحالات وذلك من أجل رصد الاتجاهات الاجتماعية لافراد المجتمع المصرى نحو هذه الظاهرة . ولقد روعى عند اختيار عينة البحث آن تشتمل الاتى :

(أ) مجموعة من الذين ينتمون الى جماعة دينية (ذكور واناث) (الجماعة الاسلامية داخل الجامعة) .

(ب) مجموعة من الطلاب (ذكور واناث) الذين لا ينتمون الي أى جماعة دينية .

(جـ) مجموعة من الشباب (١٨ ـ ٤٠ سنة) ذكور واناث من الذين يعملون فى مهن مختلفة .

(د) مجموعة من أفراد المجتمع المصرى (٤٠ـ٥٠ سنة) ذكور واناث ممن يعملون فى مهن مختلفة .

(هـ) مجموعة من أفراد المجتمع المصرى (٥٠ ـ ٦٠ سنة) ذكور واناث من الذين يعملون فى مهن مختلفة .

ولهذا جاءت عينة هذه الدراسة على النحو التالى :

١ ـ جماعات اسلامية	٥٠	حالة	(ذكور واناث)
٢ ـ طلبة جامعيين	١٠٠	حالة	(ذكور واناث)
٣ ـ افراد من المجتمع يعملون فى مهن مختلفة وتتراوح أعمارهم من ١٨ ـ ٤٠ سنة	١٥٠	حالة	(ذكور واناث)
٤ ـ أفراد من المجتمع يعملون فى مهن مختلفة وتتراوح اعمارهم من ٤٠ ـ ٥٠ سنة	٥٠	حالة	(ذكور واناث)
٥ ـ أفراد من المجتمع يعملون فى مهن مختلفة وتتراوح أعمارهم من ٥٠ ـ ٦٠ سنة	٥٠		
المجمـــــــوع	٤٠٠	حالة	(ذكور واناث)

وكما هو واضح فان عينة الدراسة راعت الاتى :

(أ) أن يكون هناك تمثل للفئات العمرية ١٨ـ٤٠،٤٠ ـ ٥٠،٥٠ـ٦٠ وذلك لان الاتجاهات الاجتماعية نحو الظاهرة محل الدراسة قد تختلف بحسب الفئة العمرية •

(ب) كذلك روعى أن تكون العينة ممثلة للجنسين الذكور والاناث سواء داخل الجامعة أو داخل الجماعة الاسلامية أو فى المهن المختلفةوالفئات العمرية المختلفة •

(جـ) ومن ناحية أخرى روعى أن أفراد العينة من الطلاب ١٥٠ حالة متوازية مع أفراد العينة من المجتمع ١٥٠ حالة ايضا وذلك نظرا لان هذه الفئة العمرية (١٨ ـ ٤٠) أكثر الفئات العمرية حيوية ويرتبط بها الكثير من الفاهيم والمظاهر السلوكية المتعلقة بالظاهرة محل الدراسة • كذلك

روعى أن تكون عينة الطلاب متضمنة للاتجاهين البارزين بالجامعة اعنى الاتجاه الاسلامى أو ما يسمى بالجماعة الاسلامية والاتجاه الاخر ، اتجاه جمهور الطلاب دون تحديد لهوية معينة .

والحق أن هذا البحث واجه بمشكلة الحصول على البيانات من الجماعة الاسلامية ولكن بالاتصال المباشر مع قياداتها داخل الجامعة أمكن لنا التمكن من اجراء المقابلات والحصول على البيانات المطلوبة . ولا ندعى مطلقا بأن ما توصلنا اليه من بيانات ونتائج تعكس اتجاهات المجتمع المصرى باكمله أو الجماعات الدينية به ،ولكن ما نقدمه هنا هو محاولة فقط تبين الاتجاهات العامة سواء بين الطلاب (جمهور الطلاب ــ الجماعة الاسلامية) الفئات العمرية المختلفة (الشباب ــ الرجال ــ الكبار) كذلك المهن المختلفة ، وأخيرا اتجاهات الجنسين نحو الظاهرة . بالاضافة الى ذلك فقد تضمنت عينة البحث فئتين عمريتين من المهن المختلفة هما فئة ٤٠ ــ ٥٠ ، ٥٠ ــ ٦٠ بواقع خمسين حالة لكل فئة وتصبح بذلك العينة الكلية للبحث ٤٠٠ حالة .

٣ ــ أداة البحث :

أشرنا فيما سبق أن طبيعة البحث الاستطلاعى الاعتماد على أكثر من طريقة وأداة منهجية لتمكن الباحث من جمع البيانات المتفرعة المتعلقة بمشكلة الدراسة . فبالاضافة الى الاعتماد على التراث العلمى الذى كتب حول الظاهرة سواء على المستوى العالمى أو المحلى فان هذه الدراسة اعتمدت ايضا على استمارة الاستبيان كأداة للبحث .

ولقد سبقت مرحلة اعداد الاستمارة قيام الباحث بعدة مقابلات مع ذو الخبرة من العاملين فى مجال الشباب والقيادات الدينية والطلابية وأعضاء الجماعة الدينية وذلك للوقوف على بعض الاتجاهات الاجتماعية لظاهرة التطرف والمشكلات التى تعانى منها الشبابسواء داخل الجامعة أو خارجها . ولقد افادت هذه المقابلات فى تزويد الباحث بالكثير من المفاهيم والابعاد التى ساعدت على تعميق استمارة البحث .

ولقد مرت الاستمارة قبل الاستعانة بها لجمع البيانات عن ظاهرة التطرف بعدد من المراحل قبل الاعداد والتجريب والصياغة النهائية . ولقد

مرت الاستمارة على المحكمين من اساتذة قسم الاجتماع ووحدة البحوث والتدريب بالقسم وذلك لاختبار الصدق الظاهرى لها ٠ وقد اقر المحكمين بأن الاســتمارة تقيس ما وضعت من أجله ٠ وكانت الاستمارة فى مشكلتها الاولى تحتوى على ١٥٩ ســؤال وبعــد الاختبار المبدئى للاستمارة بواقع (١٠ استمارات بواقع ٥ر٢٪ من عينة البحث ، وبعد التحقق من ثبات الاسئلة بالنسبة للبحوثين ، تم تعديل الاستمارة حيث كشفت هذه المراحل على بعض المتغيرات التى يجب اضافتها أو تعديلها أو حذفها ، كذلك حذفت الاسئلة التى بين الاختبار المبدئى بأنها تعطى استجابات غير دالة ولا تتميز بالثبات بنسب مرتفعة ٠ وقد أصبح عدد أسئلة الاستمارة فى شكلها النهائى ١٨٠ سؤال وروعى أن تكون لغــة اسئلة الاستمارة فى المستوى الثقافى لجمهور البحث وباللغة الدراجة وأن يكون معظم الاسئلة مغلقة الا عدد بسيط متها تركت نهايته مفتوحة لاعطاء فرصة لافراد العينة للتعبير عن اتجاهاته دون تقييد ٠ وقد حدد مدة ٤٥ دقيقة لاستيفاء الاستمارة ولقد احتوت الاستمارة على البنود الاتية :

١ ـ بيانات أولية (من س ١ـس ١٠) وهى خاصة بالبيانات والخصائص النوعية لافراد العينة مثل النوع ، السن ، الديانة ، مستوى التعليم ، المهنة ، الحالة الاجتماعية ، محل الميلاد والاقامة ، مهنة الاب ، مهنة الام ٠

٢ ـ التكوين الاسرى (من س ١١ ـ س ٤٠) وهى بيانات خاصة بعدد أفراد الاسرة وترتيب المبحوث فى الاسرة والدخل الشهرى للاسرة ، ومصــدر الدخل ، وتوع السكن ، ودرجة تعليم افراد الاسرة ، وسفر الاب أو الام للعمل فى الخارج ، وممتلكات الاسرة ، والمشكلات التى يواجهها المتعلم من أفراد عينة البحث ومشاركته فى الانشطة الطلابيــة والانضمام للجمــاعات الدينية ٠

٣ ـ العلاقات داخل الاسرة (من س ٤١ ـ س ٦٨) وهى بيانات تبين شبكة العلاقات الاجتماعية داخل الاسرة وما اذا كانت طبيعة العلاقات داخل الاسرة هى التى تؤدى الى التطرف فى أى صور من صوره ٠ واحتوى هــذا الجزء على البيانات التى تتعلق بكيفية تصرف الاب أو الام فى بعض المظاهر

السلوكية مثل التاخر فى العودة للمنزل،والمعروف سوء معاملة أى الوالدين، وسوء معاملة الاخوة ، والتخلف الدراسى ، التدخين ، العلاقات مع الجنس الاخر ، اتباع الموضة • كذلك نحاول فى هذا الجزء الحصول على الاتجاهات الخاصة بكيفية استصدار القرار فى الاسرة ، وأخيرا رأى الاصدقاء فى بعض الامور والمشاجرات التى تحدث بالاسرة واستخدام وسيلة العنف (الضرب) داخل الاسرة • كذلك مدى تدخل الام أو الاب فى اختيار نوع التعليم ، واختيار الاصدقاء والامور الشخصية ومن ناحية اخرى احتوى هذا الجزء ايضا على اتجاهات المبحوث نحو تعلم المرأة وعملها ومشكلة الاختلاط بين الجنسين ومنح المرأة الحقوق السياسية وقيد حرية الرجل فى الطلاق ، وتحديد سن الزواج للفتاة ، وتعدد الزوجات ، ودور الاخ فى توجيه الاخت داخل الاسرة •

٤ ـ المفاهيم الخاصة بالتطرف والتعصب والعنف والارهاب • (من س ٦٩ ـ س ١١٣) • وقد حاولنا فى هذا القسم أن نحصل على وعى المبحوثين بالمفاهيم المختلفة مثل التطرف والتعصب والعنف والارهاب وفى كل مفهوم طلب من المبحوث أن يعطى مثالا لسلوك يتصف بأحد هذه المفهومات وتحديد من من فئات المجتمع ينطبق عليه هذا المفهوم وان كان له اصدقاء يعدون فى سلوكهم أو أفكارهم على مثل هذا السلوك وكيفية التعامل معهم خاصة لو طلب من المبحوث المشاركة والمساهمة فى أفكارهم وأنشطتهم ، وان كان المبحوث قد صدر منه أى سلوك ينم عن هذا السلوك فى أى فترة من حياته ، وأخيرا هل يتصف المجتمع الكبير بوجود مثل هذا السلوك ودرجة ذلك •

٥ ـ الاتجاهات نحو التطرف واسبابه • (من س ١١٤ ـ س ١٢٥) وتتعلق أسئلة هذا الجزء بالاسباب التى تؤدى الى التطرف مثل الفراغ الفكرى وأنشطة الجماعات الدينية وأهم المشكلات التى تواجه الشباب المصرى •

٦ ـ مظاهر التطرف • (من س ١٢٦ ـ س ٢٧٧) وفى هذا الجزء نحاول الحصول على بيانات عن مظاهر التطرف الدينى أو السياسى أو

الرياضى أو المظهرى سواء من حيث الافكار أو القيم أو مستوى السلوك والممارسات والانشطة كذلك العوامل التى تؤدى الى هذه الانواع من التطرف .

٧ ـ واخيرا الاقتراحات والحلول (من س ١٧٨ – س ١٨٠) وأسئلة هذا الجزء تدور حول كيفية مواجهة الاسرة والدولة ووسائل الاعلام لمشكلة التطرف .

وقد تم تدريب الباحثين من وحدة البحوث الاجتماعية بقسم الاجتماع ـ كلية الاداب ـ جامعة الاسكندرية على استمارة البحث وكيفية التعامل مع أسئلة المبحوثين وكيفية جمع البيانات المطلوبة وتسجيلها بكل دقة ، كذلك استعين برئيس ـ اتحاد الكلية ـ بكلية الاداب ـ عند استيفاء العينة الخاصة بالجماعة الاسلامية بكلية الاداب ـ وقد تم تطبيق الاستمارة على العينة المطلوبة فى مدينة الاسكندرية خلال شهر مارس ـ ابريل ١٩٨٦ . وتم تفريغ البيانات ، وتم اعداد الجداول البسيطة والمركبة اللازمة واجراء التحليل المطلوب .

ثانيا ـ نتائج الدراسة الميدانية :

(أ) الخصائص النوعية لمجتمع البحث :

١ ـ النوع ، والسن ، الديانة :

كما أشرنا أنه روعى عند اختيار عينة البحث أن تشمل المنتمين الى جماعات دينية وجمهور الطلاب ، كذلك المهن الاخرى ، وروعى أيضا أن تكون العينة ممثلة للجنسين والفئات العمرية من ١٨ ـ ٤٠ ، ٤٠ ـ ٥٠ ، ٥٠ ـ ٦٠ حتى يمكن أن يكون لدينا صورة صادقة عن الاتجاهات الاجتماعية نحو ظاهرة التطرف لدى أكبر قطاع من جمهور المجتمع المصرى .

وتشير بيانات الدراسة الى أن افراد عينة البحث من الجنسين يمثلون ٥٠ مفردة بواقع ١٢ر٥٠٪ من مجموع عينة البحث ، وكانت نسبة الذكور للاناث ٥٠٪ لكل منهما من مجموع هذه الفئة . وفى المقابل كان نسبة تحليل جمهور الطلاب فى عينة البحث من الجنسين ٢٥٪ من مجموع عينة البحث

الكلية وكانت نسبة الذكور للاناث فى هذه الفئة ٥٠٪ لكل منهما • ومن ناحية أخرى ضمت العينة أفراد من مهن مختلفة ولكن فى فئات عمرية متنوعة ـ ففى مقابل جمهور الطلبة (بما فى ذلك المنتمين للجماعات الاسلامية) والذى بلغ عددهم ١٥٠ حالة تم اختيار ١٥٠ حالة من مهن أخرى فى نفس الفئة العمرية وهى من ١٠ ـ ٤٠ سنة وكانت نسبتهم لعينة الطلبة ٥ر٣٧٪ ، ونقصد بهؤلاء افراد المجتمع سواء من الطلاب أو المهن المختلفة والتى مازالت فى سن الشباب • ومازالوا يواجهون مشكلات الحياة وعرضة للتاثيرات الدينية والايديولوجية • وبذلك يكون مجموع هذه الفئة العمرية التى تضم الطلاب والمهن الاخرى بواقع ٣٠٠ حالة وبنسبة ٧٥٪ من المجموع الكلى للعينة • واخيرا فان عينة البحث اشتملت ايضا على ١٠٠ حالة من كل من الفئتين العمريتين ٤٠ ـ ٥٠ ، ٥٠ ـ ٦٠ ، بواقع ٥٠ حالة لكل فئة ونقصد بهؤلاء الذين تخطوا مرحلة الشباب وثبتت مواجهاتهم القيمية • ويشتمل افراد هاتين الفئتين بنسبة ٢٥٪ من مجموع عينة البحث •

وجاءت نسبة توزيع مفردات العينة على الفئات العمرية على النحو التالى :

(أ) الفئة العمرية من ١٨ ـ ٢٠ سنة ، احتلت نسبة ٨ر٢٥٪ من مجموع عينة البحث (٢٪ جماعات اسلامية ، ٤٪ طلبة جامعيين ، ٢ر٢٪ من العاملين فى مهن أخرى) •

(ب) الفئة العمرية من ٢٠ ـ ٢٢ سنة احتلت نسبة ٥ر١٧٪ من مجموع عينة البحث (٢ر٥٪ جماعات اسلامية) ٢ر١٠٪ طلبة جامعيين ، ٢٪ مهن مختلفة •

(جـ) الفئة العمرية من ٢٢ ـ ٢٤ احتلت نسبة ١٩٪ من مجموع عينة البحث ، ٢ر٤٪ جماعات اسلامية ، ٥ر٨٪ طلبة جامعيين ، ٢ر٦٪ من العاملين فى مهن مختلفة •

(د) الفئة العمرية من ٢٦ ـ ٢٨ واحتلت نسبة ٢ر١١٪ من مجموع العينة ، بواقع ١٪ من الجماعات الاسلامية ، ٢ر٢٪ من طلبة الجامعة ،٨٪ من العاملين فى مهن مختلفة •

(هـ) الفئـة العمرية من ٢٨ ــ ٣٠ واحتلت نسبة ٥ر٤٪ من مجموع العينة وجاءت هذه النسبة من العاملين فى مهن مختلفة ٠

(و) الفئة العمرية من ٣٠ ــ ٣٢ ، واحتلت نسبة ٢ر٣٪ من مجموع العينة (وجاءت مفردات هذه العينة من العاملين فى مهن مختلفة) ٠

(ز) الفئة العمرية من ٣٢ ــ ٣٤ واحتلت نسبة ٢ر٢٪من مجموع العينة (وجاءت مفردات هذه العينة من العاملين فى مهن مختلفة) ٠

(ح) الفئة العمرية من ٣٤ ــ ٣٦ واحتلت نسبة ٣٪ من مجموع العينة (وجاءت مفردات هذه الفترة من العاملين فى مهن مختلفة) ٠

(ط) الفئة العمرية ٣٦ ــ ٣٨ ، واحتلت هذه النسبة ١٪ من مجموع العينة (وجاءت مفردات هذه الفئة من العاملين فى مهن مختلفة) ٠

(ى) الفئة العمرية من ٣٨ ــ ٤٠ واحتلت نسبة هذه الفئة ٥٪ من مجموع العينة وجاءت مفرداتها من العاملين فى مهن مختلفة ٠

(ك) الفئة العمرية من ٤٠ ــ ٥٠ واحتلت نسبة هذه العينة ٢ر١٢٪ من مجموع العينة (وجاءت مفرداتها من العاملين فى مهن مختلفة) ٠

(ل) الفئة العمرية من ٥٠ ــ ٦٠ واحتلت هذه الفئة نسبة ٢ر١٢٪ من مجموع العينة (وجاءت مفرداتها من العاملين فى مهن مختلفة) ٠

(م) الفئة العمرية من ٦٠ فأكثر واحتلت نسبة ٥ر٣٪ من مجموع العينة (وجاءت مفردات هذه العينة من العاملين فى مهن مختلفة) ٠

بمعنى أخر أن عينة البحث من الطلاب ٥ر٣٧٪ تقع فى الفئة العمرية أقل من ٢٨ سنة ٠ وأن ٥ر٦٢٪من مجموع العينـة من العاملين فى مهن مختلفة وفى فئـات عمـرية تتدرج من الثالثة والعشرون حتى فوق الستين (انظر جدول رقم ٢) ٠

أما عن ترتيب البحث من حيث الديانة فجاءت العينة ممثلة الى حد كبير أى نسبة التوزيع الدينى فى المجتمع المصرى ٠ فنسبة ٩٥٪ من جمهـور البحث من المسلمين فى مقابل ٥ر٠٪ من المسيحين ٠ وجاءت نسبة المسيحين

موزعة على النحو التالى : ٥٪ من طلبة الجامعة ، ٢ر٢٪ من العاملين فى مهن مختلفة فى الفئة العمرية ٤٠ ـ ٥٠ ، ٧ر١٪ من العاملين فى مهن مختلفة فى الفئة العمرية ٥٠ ـ ٦٠ . ولاشك أن وجود نسبة ٥٪ من المسيحيين فى العينة يساعد على اعطاء بعض الضوء على اتجاهات غير المسلمين فى ظاهرة التطرف .

٢ ـ مستوى التعليم :

وبالنسبة لمستوى التعليم فتشير الى أن هناك ١٥٠ من مفردات عينة البحث من تلقوا تعليما جامعيا بنسبة ٦ر٣٧٪ من مجموع عينة البحث . كذلك فان هناك ٧ر١٦٪ من مفردات عينة البحث فى الفئة العمرية ١٨ ـ ٤٠ من الذين يعملون فى مهن مختلفة قد تلقوا تعليما جامعيا ، ونسبة ٢٪ فى الفئة العمرية ٤٠ ـ ٥٠ ، ٢ر٠٪ فى الفئة العمرية ٥٠ ـ ٦٠ من الذين يعملون فى مهن مختلفة قد تلقوا تعليما جامعيا . بمعنى آخر أن نسبة الذين تلقوا تعليما جامعيا بالنسبة لعينة البحث هى ٥ر٥٦٪ ولاشك أن هذا سوف يفيد الى حد كبير فى اعطاء التفسيرات المناسبة لظاهرة التطرف خاصة داخل الجامعة ، اما عن نسبة الاميين فى العينة وهى ٢ر٥٪ فجاءت على النحو التالى : ٧ر١٪ فى الفئة العمرية ١٨ ـ ٤٠ ويعملون فى مهن مختلفة ، ٧ر٢٪ فى الفئة العمرية ٥٠ ـ ٦٠ والذين يعملون فى مهن مختلفة ، أما نسبة من يقرأ ويكتب فجاءت نسبتهم ٢ر٧٪ من مجموع عينة البحث ، ونسبة من حصلوا على تعليم ابتدائى ٧ر٩٪ ونسبة من حصلوا على تعليم أعدادى ٥ر٧٪ ، ونسبة من حصلوا على تعليم ثانوى ٧ر١٢٪ ويعنى هذا أن المستويات التعليمية دون الجامعة ممثلة فى نسب تكاد تكون متساوية وتحتل فيما بينها نسبة ٤٤٪ من المجموع الكلى للعينة .

٣ ـ المهنـــة :

أما عن التوزيع المهنى لمجتمع البحث فجاءت نسبة ٥ر٣٧٪ من العينة للطلبة ، وتنوعت المهن الاخرى ، على النحو التالى : ٢ر٨٪ يعملون كعمال صناعيين فى الفئة العمرية ١٨ ـ ٤٠ ، ٤٠ ، ٥٠ ، ٥٠ ـ ٦٠ ، ونسبة ٢ر٥٪ يعملون كعمال خدمات فى نفس الفئات العمرية الثلاثة ونسبة ٥ر٣٪ يعملون

كتجار فى نفس الفئات العمرية الثلاثة ونسبة ٢ر١٪ يعملون باعة متجولين فى الفئة العمرية ١٨ ـ ٤٠ ، ونسبة ٧ر٢٦٪ للموظفين فى الفئات العمرية الثلاثة ،ونسبة ٦٪ للذين يعملون فى المهن العسكرية فى الفئات العمرية الثلاثة ونسبة ٧ر٧٪ للحرفيين فى الفئات العمرية الثلاثة ،ونسبة ٢ر٪للذين فى المعاش ونسبة ٥ر٣٪ للذين لا يعملون ، ولاشك أن هذا التنوع فى المهن المختلفة سوف يعطينا اتجاهات اجتماعية قد تكون عاكسة لموجهات قيمية مختلفة حول ظاهرة التطرف •

٤ ـ الحالة الاجتماعية :

وبالنسبة للحالة الاجتماعيــة لمجتمع البحث فان البيانات تشير بأن نسبة ٢ر٤٨٪ من مجمــوع العينة يقع فى فئــة أعزب ، ٥ر٤٤٪ من مجموع العينة يقع فى فئة متزوج ، ٢ر٦٪ فى فئة أرمل ، ١٪ فى فئة مطلق •أما عن مجموع طلاب الجامعة فنجد أن نسبة المتزوجين فى الجماعة الاسلامية هى ٢٪ من مجموع حالات هذه الفئة ونسبة المتزوجين من جمهور وطلاب الجامعة هى ٣٪ وتزداد هذه النسبة فى المهن المختلفة وتصل الى ٦ر٦٦٪ فى الفئة العمرية من ١٨ ـ ٤٠ ونسبة ٦٨٪ فى الفئة العمرية ٤٠ ـ ٥٠ ونسبة ٨٠٪فى الفئة العمرية ٥٠ـ٦٠ ، وهذا يعكس النسب العامة للزواج فى التعداد العام للمجتمع المصرى•ولا تشكل نسبة الطلاق سوى ١٪ من مجموع عينة البحث• وتقع هذه النسبة فى الفئة العمرية ١٨ ـ ٤٠ ،٥٠٪ من نسبة هذه الفئة ،و٢٥٪ فى كل من الفئتين العمريتين ٤٠ـ٥٠ ، ٥٠ـ٦٠ ويتضح من هذه البيانات أن نسبة العينة مــن حيث الزواج والطلاق تتمشى بصفة عامــة مع مثيلتها فى المجتمع المصرى •

٥ ـ محل الميلاد ومحل الاقامة :

جاء توزيع عينة البحث من حيث محل الميلاد (كما اشــارت البيانات) على النحو التالى:نسبة من جاءوا من بيئات ريفية ٧ر١١٪ (٢ر٣٪ جماعات اسلامية) ٥ر١٪ جمهور الطلبة ،٢ر٢٪مهن مختلفة (من١٨ـ٤٠)٧ر٣٪ مهن مختلفة (٤٠ـ٥٠) ، ١٪ مهن مختلفة (من ٥٠ـ٦٠) ونسبة من جاءوا من مراكز حضرية ٥ر١٠٪ (٧ر٪ جماعات اسلامية ، ٢ر٢٪ جمهور الطلبة ،

٥ر١٪ مهن مختلفة (من ١٨ــ٤٠) ، ٤ر٧٪ مهن مختلفة (٤٠ــ٥٠) ، ٢ر١٪ مهن مختلفة (٥٠ــ٦٠) ونسبة ٧ر٧٧٪ من المدن ، ٥ر٨٪ جماعات اسلامية ، ٢ر٢١٪ جمهور الطلبة ، ٧ر٣٣٪ مهن مختلفة (١٨ــ٤٠) ، ٤٪ مهن مختلفة (٤٠ــ٥٠) ، ٢ر١٠٪ مهن مختلفة من (٥٠ــ٦٠) ٠

أما عن محل الاقامة لعينة البحث ، فكما أشرنا بأن هذه الدراسة قد تمت فى مدينة الاسكندرية وكما هو معروف بأن المدينة مقسمة اداريا الى ثلاثة اقسام رئيسية قسم شرق وهو القسم الذى يضم أكثر الاحياء رقيا وقسم وسط وهو القسم الوسط وقسم غرب وهو يضم المناطق المتخفلة فى عمومها ٠ وبالرغم من أن هذا التقسيم غير دال بالنسبة لارتباط التوزيع الجغرافى وارتباط ذلك بقيم ثقافية معينة فان البيانات تشير الى ان ٥ر٤٠٪ من عينة البحث تقيم فى قسم شرق ، وأن ٣٧٪ من العينة تقيم فى حى وسط و ٥ر٢٢٪ فى قسم غرب) ٠

٦ ــ مهنة الاب والام :

ومن حيث مهنة الاب والام فتشير البيانات بأن مفردات العينة جاءوا من أسر يعمل فيها الاب فى مهنة موظف ٢٥٪ وحرفى ٥ر١٥٪ ، وعامل صناعى ٥ر١٥٪ ، تاجر ٧ر١١٪ ، عامل خدمات ٩٪ ، فلاح ٧ر٨٪ ، مهن عسكرية ٨٪، بالمعاش ٥ر٤٪، بائع متجول ٢٪ وما يهمنا هنا أن هناك نسبة ٤٠٪ من أفراد الجماعات الاسلامية جاءوا من أسر يعمل فيها الاب كعامل أو حرفى أو عامل خدمات ، وأن نسبة ٣٠٪ منهم جاءوا من اسر يعمل فيها الاب كموظف ، أما النسبة الباقية فجاءت من أسر يعمل فيها الاب فى مهن تاجر ١٠٪ ، ٨٪ مهن عسكرية ، ٨٪ بالمعاش ، ٤٪ فلاح ٠ مانريد أن نؤكد هنا أن اسر الجماعات الاسلامية تكاد تكون متشابهة من اسر جمهور الطلاب وهذا يدحض الافتراض القائل بأن الكثير من أعضاء الجماعات الاسلامية جاءوا من أسر ذات دخول منخفضة ٠ فكما تشير البيانات بأن نسب مهنة الاباء بالنسبة للجماعات الاسلامية تكاد تكون متطابقة مع مهنة الاباء بالنسبة لجمهور الطلاب ٠ ومن ناحية أخرى أن نسبة ٩ر٢٥٪ من أمهات عينة البحث هى التى تعمل فى مقابل ٩ر٧٥٪ لا تعمل الامهات ،

وجاءت على النحو التالى : ٩٢٪ من فئة الجماعات الاسلامية ، ٨٣٪ جمهور الطلاب و ٨٩٫٣٪ فى الفئة العمرية ١٨ــ٤٠ مهن مختلفة ، ١٠٠٪ الفئة العمرية ٤٠ــ٥٠ ، ١٠٠٪ الفئة العمرية ٥٠ــ٦٠ وما يهمنا أن نسبة ٩٢٪ الخاصة بالجماعات الاسلامية لا تعمل فيها الامهات وهذا أيضا يدحض الفرض القائل بأن أسباب تطرف هذه الجماعات هو عدم عناية الام بتربية أطفالها أما لعملها أو للمشكلات العائلية ٠

(ب) التكوين الاسرى :

(أ) البناء الاسرى :

مما لا شك فيه أن التكوين الاسرى يلعب دورا رئيسيا فى تشكيل اتجاهات الفرد خاصة اذا ارتبط هذا البناء الاسرى بعوامل أخرى مثل التعليم والمهنة والدخل ٠ فالبناء الاسرى الذى يتحقق فيه للافراد الاشباعات المادية والنفسية غالبا ما يكون اتجاهات أفراده متمشية الى حد كبير مع الاتجاهات الجمعية فى المجتمع ، والعكس صحيح حيث نجد أن الحرمان المادى والنفسى فى الاسرة يشكل مصدرا رئيسيا للقلق والاحباط ومن ثم العدوان والتطرف ٠ على أية حال فان عينة البحث تشير الى أن ٦٤٫٧٪ من العينة تنتمى الى اسر مكونة من خمسة الى سبعة أفراد ٠ تشير البيانات بأن الاسر التى ينتمى اليها الجماعات الاسلامية من الاسر ذات الحجم الكبير فلقد بلغت نسبة الاسر التى يزيد عدد أفرادها عن أربعة أشخاص ٧٥٪ من أسر الطلاب المنتمين الى الجماعات الاسلامية بالجامعة ٠ بينما بلغت نسبة الطلاب الذين يزيد عدد أفراد أسرهم عن أربعة أشخاص ولا ينتموا الى جماعات اسلامية ٦٨٪ ، وتزداد هذه النسبة لتصل الى ٩١٪ فى أسر المهن المختلفة والتى تقع فى نفس الفئة العمرية ، وتقل هذه النسبة لتصل الى ٦٤٪ فى كل من عينة البحث المنتمين الى مهن مختلفة ويقيمون فى الفئة العمرية من ٤٠ــ٥٠ سنة وكذلك الاسر التى تقع فى الفئة العمرية من ٥٠ــ٦٠ سنة٠ ومن ناحية أخرى يشكل ترتيب المبحوث داخل أسرته عاملا رئيسيا فى تحديد أستجابته واتجاهاته الاجتماعية ٠ فالطفل الاول والاخير فى الاسرة غالبا ما يكون أكثر تدليلا، مع الاخذ فى الاعتبار أن الطفل الاول فى الاسرة الفقيرة غالبا ما تكون لديه اتجاهات تحمل المسئولية ٠ وعلى أى حال فقد تبين

كذلك أن نسبة ٥ر٢١٪ من عينة البحث ، كان ترتيب المبحوث فيها الاول فان نسبة ٢ر٢٣٪ كانت ترتيب المبحوث فيها الاخير · ولاشك أن هذا يعطينا اتجاها متميزا بالنسبة لاتجاهات المبحوث نحو الظاهرة محل الدراسة · كذلك فانه من الواضح أن هناك حوالى ٦٩٪ من المبحوثين كان ترتيبهم من الثانى حتى السابع أو الاخير · وهذا يعنى أن النسبة الغالبة من عينة البحث قد تشكلت اتجاهاتها فى الاسر التى تتميز بالثبات والابتعاد عن محاولةالتجربة والخطأ فى تربية الاطفال وتكوين اتجاهاتهم ·

٢ ـ الدخل ومصادره :

وكما أشرنا فان الدخل الشهرى للاسرة يلعب أيضا دورا هاما فى الاشباع المادى والنفسى للاسرة وأفرادها · وجاءت نتائج الدراسة لتشير الى أن ٤٣٪ من عينة البحث مقدار دخلها الشهرى أقل من ١٠٠ جنيه فى مقابل ٤٧٪ يزيد دخلها عن ١٠٠ جنيه · ومن الملاحظ ان البيانات توضح ان دخول اسر الطلبة المنتمين الى الجماعات الاسلامية الاقل من ١٠٠ جنيه تصل نسبتهم الى ٦٨٪ وتقل هذه النسبة فى جمهور الطلاب لتصل الى ٤٩٪ وتقل هذه النسبة أيضا لتصل الى ٦ر٣٤٪ فى المهن المختلفة فى نفس الفئة العمرية · وتصل هذه النسبة الى ٣٢٪ فى الفئة العمرية من ٤٠ـ٥٠ ، ٤٠٪ فى الفئة العمرية ٥٠ـ٦٠ فى المهن المختلفة هذا يعنى أن الطلبة المنتمين الى الجماعات الاسلامية (٦٨٪) ينتمون الى أسر الطبقات الفقيرة أو الشريحة الاخرة من الطبقة الوسطى،هذا مع الاخذ فى الاعتبار أن هؤلاء الطلاب جاءوا من اسر فقيرة العدد نسبيا · بمعنى آخر أن نصيب الفرد من هذه الاسراذاأخذنا متوسط الاسرة فى هذه الفئة ٢ر٥٪ وأن متوسط الدخل مائة جنيه أن هذا يعنى أن نصيب الفرد هو عشرين جنيها شهريا وهذا المبلغ يعد غير كاف لضروريات الحياة فى السبعينات والثمانينات من هذا القرن · أما مصدر الدخل فأن ٥٧٪ من عينة البحث يشكل مرتب الاب المصدر الرئيسى للدخل · ويمثل دخل الام ٨ر٢٢٪ من عينة البحث · والملاحظ أن هناك ٣٠٪ من عينة البحث تعتمد على المشروعات التجارية أو العقارات أو السندات · ومن الامور الملفتة للنظر فى هذه البيانات أن مصدر الدخل الرئيسى لاسر الطلاب المنتمين للجماعات الاسلامية يعتمد اساسا على الاب ليصل الى ٨٨٪ ويكاد

يكون محتملا بالنسبة للام ليصل ٨٪ وهذا يعنى تفرغ الام لتربية الابناء ورعاية ابنائها ٠

٣ ـ نوعية السكن :

أما عن نوعية السكن فان البيانات تشير الى أن ٢ر٩١٪ من عينة البحث تقيم فى مسكن مستقل وأن هناك ٨ر٨٪ تقيم فى مسكن مشترك مع الاخرين ٠ وقد تبين كذلك بأن ٤٥٪ من عينة البحث تقيم فى مسكن مكون من غرفتان فأقل فى مقابل ٤٠٪ تقيم فى مسكن مكون من ثلاثة غرف، و٧ر١٢٪ فى مسكن مكون من أربعة غرف و ١٪ فى مسكن مكون من ٥ حجرات فأكثر ٠ ويلاحظ أن الطلاب المنتمين الى الجماعات الاسلامية يقيمون فى مسكن مكون من غرفتين بنسبة ٨٦٪ أما جمهور الطلاب فتبلغ نسبة من يقيم فى مسكن به غرفتين فأقل ٤٢٪ واذا أخذنا متوسط حجم الاسر كما تشير البيانات بحوالى ٥ أشخاص فان هذا يعنى أن هناك حوالى ٨٦٪ من أسر طلاب الجماعات الدينية يقيم كل ثلاثة أفراد فى غرفة واحدة ٠

٤ ـ درجة التعليم فى الاسرة :

أما عن درجة التعليم فى الاسرة ، فنجد أن ٦٣٪ من عينة البحث يشير بعدم تعلم الام وأن هناك ٧ر١٣٪ تلقوا تعليما ابتدائيا و ٧ر٦٪ تلقوا تعليما اعداديا و ٢ر٩٪ تلقوا تعليما جامعيا ٠ ويلاحظ فى هذه البيانات بان امهات طلاب الجماعات الاسلامية ٥٠٪ غير متعلمات فى مقابل ٣٢٪ من أمهات جمهور الطلاب ، كذلك نجد أن ٢٨٪ من أمهات طلاب الجماعات الاسلامية تلقين تعليما ثانويا وجامعيا فى مقابل ٣٦٪ من أمهات جمهور الطلاب وتزداد نسبة عدم تعلم الام لتصل الى ٦ر٦٦٪من عينة المهن المختلفة فى الفئة العمرية ١٨ـ٤٠ وتصل الى ١٠٠٪ فى عينة المهن المختلفة فى الفئة العمرية ٤٠ـ٥٠ ، ٥٠ـ٦٠ وبالنسبة لتعلم الاب نجد أن ٧ر٣٦٪ من عينة البحث أقروا بان أبائهم لم يتلقوا تعليما وأن ٥ر٢٧٪ تلقوا تعليما ابتدائيا او اعداديا وأن ٧ر٣٥٪ تلقوا تعليما ثانويا وجامعيا ٠ ويلاحظ من البيانات أيضا بان نسبة أباء طلاب الجماعات الاسلامية الذين لم يتلقوا تعليما تصل الى ٢٠٪ وأن نسبة من تلقوا تعليما ثانويا أو جامعيا تصل الى ٤٨٪ فى مقابل

آباء جمهــور الطلاب ٢٥٪ لم يتلقوا تعليما و ٤١٪ تلقوا تعليما ثانويا أو جامعيا ٠ وهذا يعنى أن طلاب الجامعات الاسلامية ٨٠٪ جاءوا من أسر يكون فيها الاباء على درجة معينة من التعليم ٠ كذلك تشير البيانات بأن هناك٣ر١٥٪من أخوة المبحوثين الذكور غير متعلمة فى مقابل ١ر١٤٪ للاخوة الاناث ٠ والشيء الجدير بالملاحظة هو تعلم الاناث فى أسر الطلاب المنتمين للجماعات الاسلامية ٠

٥ ـ سفر أحد الوالدين للخارج :

ولقد اشارت البيانات بأن ٥ر١٢٪ من عينة البحث قد ســافر الاب أو الام للعمل فى الخارج وأن ٣٦٪ من المبحوثين الذين سافر أبائهم أو امهاتهم قد اقروا بسفر الاسرة كلها ٠ ولقد بين أفراد العينة بأن أحد الوالدين الذين تولى رعاية الاطفال والمنزل أثناء سفر رب الاسرة (أو الام) ٢ر٨١٪ أو ترك هذا الاخ الاكبر ٥ر١٢٪ أو الاقارب ٢ر٦٪ ٠

٦ ـ متطبالت الاسرة :

وتشير البيانات بأن هناك ٤ر١٣٪ من استجابات المبحوثين تشير الى امتلاكهم المســكن و ٥ر١٠٪ لسيارة و ٥ر١٣٪ لجهــاز التليفون و ٢ر٣٠٪ لجهاز التلفزيون و ٦٪ لجهاز الفيديو و ٧ر٢٥٪ للثلاجة والملاحظ أن عينــة الجماعات الاسلامية يتمتع أفرادها بامتلاك أسرهم لمعظم هذه الاجهزة ٠

٧ ـ طبيعة عينة أسر المتزوجين :

أما من حيث المتزوجين من عينة البحث فلقد اشارت البيانات بأن هناك حالة واحدة متزوجة من طلاب الجماعات الاسلامية وأن هنــاك ٣ حالات متزوجة من جمهور الطلاب على أية حال فان نسبة المتزوجين منذ أقل من خمس سنوات هى ٨ر٣١٪ وأن نســبة من مضى على زواجهم أقل من ١٠ سنوات هى ٨ر٣٣٪ وأن نسبة من مضى على زواجهم أقل من ٢٠ سنة ٥ر١١٪ وهناك ٧ر٢٢٪ من عينة البحث مضى على زواجهم أكثر من ٢٠ سنة ٠ كذلك تشير البيانات بأن هناك ٥ر٤٧٪ من عينــة البحث الذين سبق لهم الزواج لديهم ابنــاء ذكور فى مقابل ٣ر٤٤٪ لديهم أبنــاء اناث وأن هنــاك ٨٪ لم ينجبوا ٠

ولقـد بلغت نسـبة تعلم الاناث بالنسبة للبحوثين الذين سـبق لهـم الزواج حوالى ٨٤٪ فى مقابل ٩٢٪ بالنسبة لتعلم الزوجة وأن تعلم الذكور فى هذه الاسر بلغ ٨٤٪فى مقابل ٨١٪ بالنسبة للاناث ٠ كذلك فقد اشارت البيانات بأن هناك ٥٨٫٩٪ من زوجات المبحوثين يعملن ٠ ويلاحظ أن زوجات الطلاب سواء من الجماعات الاسلامية أو من جمهور الطلاب لا تعمل ٠

٨ ــ طبيعة عينة الطلاب :

(أ) التحصيل الدراسى والمشاكل التى يواجهها الطلاب :

وبالنسبة لعينة الطلاب تشير البيانات بأن ١٤٫٦٪ فى الغرفة الاولى وأن ٢٥٫٣٪ فى الغرفة الثانية وأن ٣٢٪ فى الغرفة الثالثة ، و ٢٨٪ فى الغرفة الرابعة وأن نسبة من يحصلون على تقدير جيد يمثلون ٤٣٫٣٪ من العينـة وان ٣٠٪ يحصلون على تقدير مقبول وأن ١٦٫٦٪ منقولون بمادة وأن ١٠٪ منقولون بمادتين ٠ ولم تظهر الدراسـة أى فروق فى التقـدير بين طـلاب الجماعات الاسلامية وجمهور الطلاب (كما اشارت البيانات) ٠ ويقيم ٦٨٪ من الطلاب مع أسرهم فى مقابل ٨٫٦٪ يقيمون مع الاصدقاء او الاقارب وأن هناك ٢٢٫٦٪ يقيمون فى المدن الجامعية ٠ ويلاحظ من هـذه البيانات بان طلاب الجماعات الاسلامية يقيمون مع اسرهم بنسبة ٦٨٪ وهى تقريبا نفس النسبة لجمهور الطلاب ٠ ويعانى هؤلاء الطلاب من مشكلة الحصول على الكتاب الجامعى ٤٦٫٦٪ وهناك ٤٣٫٣٪ من عينة الطلاب أقرت بأنها تعانى مشكلة الحصول على الملابس المناسبة وأن هناك أيضا ١٠٪ من عينة الطلاب تعانى من مشكلة الحصول على الادوات العلمية ، ولم تشير الدراسة باختلاف نسب هذه المشكلات بين طلاب الجماعات الاسلامية وجمهور الطلاب ٠

(ب) الانشطة التى يمارسها الطلاب داخل الجامعة :

ويشير الطلاب الى أن الانشطة التى يمارسونها داخل الكليات هى الانشطة الاتية ، ٢٩٫٥٪ الاسر الطلابية ، ١٥٫٣٪ الاتحاد الطلابى ، ١٢٫٢٪ الجماعات الثقافية، ١٠٫٢٪ الفرق الرياضية، ٢٪ فى مقابل ٣٫٦٪ من الطلاب لا تشارك فى الانشطة ، وكما تشير البيانات فان أنشطة الجماعات الاسلامية

تنحصر أساسا فى الانشطة الدينيـة والاسر الطلابية واتحاد الطلاب بعكس جهود الطلاب الذى يتنوع أنشطته من ثقافى وأسر طلابية واتحاد طلابى ورياضى وأنشطة دينية • ويتبين من البيانات بأن هناك ١٢٪ من الطلاب وجدوا معارضة سواء داخل الكلية ٧ر٢٧٪ أو خارجها ، ٢ر٧٢٪ للمشاركة فى الانشطة الطلابية •

(جـ) رأى الطلاب فى دور الجماعات الاسلامية داخل الجامعة :

ويقرر ٨٤٪ من عينة الطلاب بأن للجماعات الاسلامية دور رئيسى فى الجامعة • ومن المتوقع أن يبلغ هذا الاتجاه ١٠٠٪ من الطلاب المنتمين لهذه الجماعات ولقد أيد هذا الاتجاه ٧٦٪ من جمهور الطلاب المشاركين فى البحث ويحدد الطـلاب الدور الذى يمكن ان تقوم به هذه الجماعات على النحو الاتى : تخفيض ثمن الكتب ١ر٣٩٪ ، المحافظة على التعاليم الدينية ٤ر٢٨٪ منع الاختلاط بين الجنسين ٢٢٪ ،والقيـام برحلات ٣ر١٠٪ ، ويلاحظ فى بأن اتجـاهات الطـلاب المنتمين للجمعـات الدينيـة يتـركز حول منـع الاختلاط والمحافظة على التعاليم الدينية • ويرى الطلاب (٦ر٥٢٪) بأن هناك اقبالا من الطلاب على الانضمام للجماعات الدينية فى مقابل ٣ر١٣٪ لا يؤيدون هذا الرأى وهناك ٣٤٪ لم يتخذوا موقفا فى ذلك •

وتبين البيانات بأن هناك ٣ر٤٩٪ من الطلاب طلب منه الانضمام الى الجماعة الاسلامية وأن ٧٧٪ من الطلاب قبـل الدعوى للانضمام للجماعات الاسلامية بين الذين لم يقبلوا الدعوة اسباب ذلك بالاتى : أرائهم لا تعجبنى ٤ر٤١٪ ، لم أفكر فى الانضمام اليهم ١ر٣٤٪ ،ليست لدى وقت فراغ ٣ر٣٤٪، من المبحوثين • اما الذين انضموا لهـذه الجماعات فيقرر ٧ر٩٤٪ بأنهم أفكارهم تختلف عن الاخرين خاصة فيما يتعلق بالتمسـك بالتعاليم الدينية ٧ر٣٣٪وأن الاسلام قائم على الجماعة ١ر٣٣٪وأن الامر شورى بينهم ١ر٣٣٪•

(جـ) العلاقات داخل الاسرة : التسامح والتشدد :

١ ـ اسلوب حل المشكلات فى الاسرة :

من الامور المسلم بها أن الاتجاهات الاجتماعية تتكون فى جو الاسرة خاصة فى عملية التنشئة الاجتماعية • فالتسامح والضبط والمنافسة والصراع

والتماثل والتعاون كلها أمور يتعلمها الطفل عندما يواجه المجتمع متمثلا فى أسرته وأقاربه ، وتختلف درجة وشدة هذه العمليات من أسرة لاخرى وبين بيئة لاخرى ومن ثقافة لاخرى • وما نريد أن نؤكده هنا أن الكثير من الاتجاهات المرتبطة بظاهرة العنف فى المجتمع قد نبعت أساسا من طريقة التربية فى الاسرة خاصة عندما يواجه الشباب صورة من صور الاحتياطات المتمثلة فى تدخل الاب أو الام أو الزوجة فى كثير من القرارات التى يعتبرها الشباب من اموره الشخصية •

على اية حال فلقد كشفت هذه الدراسة عن أن هناك أمور نجد فيها العنف هى وسيلة حل المشكلات وأمور اخرى نجد ان المنافسة او التسامح هى البديل للعنف ، فى حالات أخرى نجد عدم الاكتراث هو وسيلة الحل • فبالنسبة لعادة الخروج من المنزل والعودة فى غير ملائمة نجد أن عدم الاكتراث ٤ر٢٩٪ هو الاسلوب الشائع سواء من الاب أو الام أو الزوجة ، ويلى ذلك اسلوب المناقشة ٨ر٢٨٪ سواء من الاب أو الام أو الزوج أو الزوجة ويلى ذلك اسلوب العنف ٨ر٢٢٪ خاصة من قبل الزوج والاب والام اما درجة التسامح فهى تمثل ٩٪ فقط من الاستجابات • كذلك طلب المصروف فنجد ان اسلوب الحل هو المناقشة يلى ذلك العنف ٣ر٣٤٪ ثم عدم الاكتراث ١٦٪ وقد جاءت استجابات المبحوثين بالنسبة لتصرف الام والاب فى حالة معاملة أحد الوالدين بان العنف هو الوسيلة الاولى لحل المشكلة (٢ر٣٩٪) يلى ذلك المناقشة (٦ر٣٤٪) فالتسامح (٤ر١٨٪) وعدم الاكتراث(٧ر٦٪) وبالنسبة لمعالجة سوء معاملة الاخوة من قبل الاب او الام فان الاسلوب الذى يتبع هو المناقشة (١ر٥٤٪) يلى ذلك العنف ٣ر٢٤٪ فعدم الاكتراث (٦ر١٠٪) ويأتى التسامح بنسبة (٨ر٥٪) ويلجأ أسر المبحوثين للمناقشة فى المشكلات الخاصة بالتخلف أو الرسوب فى الامتحانات (١١ر٤٨٪) وتحتل نسبة التسامح فى ذلك (٦ر٢٤٪) وعدم الاكتراث (٤ر١٥٪) ونسبة من يلجأ الى العنف هى ٧ر١١٪ من عينة البحث • ومن الامور الجديرة بالنظر أن الاسرة تبدو عدم الاكتراث لاتباع الابناء بخطوط الموضة فى الازياء (٦ر٨٥٪) وأن نسبة (٢ر١٤٪) من أسر المبحوثين هى التى تتدخل فى المناقشة فى هذه المشكلة • نفس النسب تقريبا بالنسبة لمشكلة العلاقة مع الجنس الاخر فنسبة

عدم الاكتراث فى الاسر تمثل (٧ر٧٩٪) أما أسلوب المناقشة فيمثل(٢ر٢٠٪) وتتخذ الاسر موقفا متشددا من مشكلة التدخين فهناك (١ر٥٠٪) من عينة البحث تلجأ الى أسلوب المناقشة يلى ذلك أسلوب العنف (٤ر٢٢٪) ٠ وهناك أسر لا تعطى اعتبارا لظاهرة التدخين (٨٪) وكذلك يبدى الكثير من الاسر ٦ر٩٥٪ عدم الاكتراث بالنسبة لذهاب الابناء للاصدقاء وأن نسبة ٣ر٤٪ فقط هى التى تناقش الابناء فى نوعية الاصدقاء ٠ أكثر من هذا فان جميع مفردات البحث بينت ان الاسر لا تكترث باصطحاب الاصدقاء الى المنزل فى كثير من الحالات ٠ ويلاحظ من هـذه البيانات ان الاب أو الزوج هـو الذى يميل غالبا الى استخدام اسلوب العنف وأن الموضوعات التى يلجأ فيها الى هذا الاسلوب هى الموضوعات المتعلقة بالعلاقات داخل الاسرة سواء مع الابوين او الاخوة أو كثرة طلب المصروف أو التدخين ٠ اما الامور الاخرى فنجد الاستجابات تتأرجح بين المناقشة والتسامح او عدم الاكتراث ٠

٢ ـ نمط السلطة فى الاسرة :

ان الاسرة المصرية بالرغم من ازدياد التعلم وعمـل المرأة مازالت فى شكلها الخارجى تخضع لسلطة الرجل ٠ فلقد بين ٧ر٥١٪ أن صاحب القرار فى الاسرة للاب فى مقابل ٥ر٦٪ أقروا بان الام صاحبة القرار وان هناك ٤١٪ اقرت بان الاثنين معا ـ الاب والام هما صاحبا القرار (كما اشارت البيانات) ويلاحظ من هذه الارقام أن القرار بالنسبة لمفردات العينـة من الجماعات الاسلامية للاب ٩٢٪ وان دور الام منعدما ٠ بعكس جمهور الطلاب فسلطة الاب تمثل ٤١٪ ٠ أكثر من هذا فان الارقام تبين أن نادرا مايأخذ الاب مشورة الام والابناء فى القرار (٩٤٪) فى حين نجد أن ٥٠٪ من جمهور عينة البحث قد يلجأ الاباء الى أخذ مشورة الام بصورة دائمـة أو فى بعض الاحيان ٠ وقد بين المبحوثين الى ان هناك تشـاور بينهم وبين احد الوالدين ٢ر٥٤٪ ومن الملاحظ أن هذا التشاور يتم بين المبحوث والام بنسبة ٦ر٥٧٪ فى مقابل ٣ر٤٢٪ مع الاب ٠ وان الامور التى يتشاور فيها المبحوث معوالديه تتركز فى أموره الشخصية او الامـور المتعلقة بمستقبله التعليمى ٩ر١٧٪ أو الامـور المتعلقة باختيار شريك أو شريكة الحيـاة ٦ر١٥٪ وفى كثير من الحالات فان المبحوثيلجأ لاخـذ رأى الاخرينفىبعض الامور عندما يكون الموضوعخاص

به فقط ٥ر٢٣٪ أو عندما لا يجد احد يسمعه ١٣٪ أو عندما يجد حرجا فى فتح فتح احد الموضوعات مع اسرته ١١٪ ويشير كذلك بان هناك ٥ر٥٢٪ من المبحوثين نادرا مالا يلجأ الى فتح المناقشة مع الاخرين فى الامور الخاصة بهم٠

٣ ــ طبيعة المشكلات التى تواجهها الاسرة ودرجة تدخل الاباء لحلها ٠

ولقد بينت الدراسة أن ٥ر٦٤٪ من المبحوثين قد أقروا بوجود مشاجرات داخل الاسرة بسبب المشكلات الاقتصادية المتعلقة بميزانية المنزل ١ر٨٢٪ او بسبب المشكلات المتعلقة بمستقبل الاولاد ٩ر٨٪ او مشكلات تتعلق بالاهل والاقارب كما يشير جمهور البحث الى لجوؤ الاسرة الى أساليب مختلفة لحل المشاجرات تتدرج من المعاتبة بهدوء ٦ر٤٠٪ الى استخدام الصوت العالى ٩ر٢٧٪ ، أو الخروج من المنزل ١ر٢٥٪ أو العنف والضرب ٢ر٦٪ ، ولقد بينت الدراسة أن هناك ٢ر١٦٪ من المبحوثين أقروا باستخدام أحد الوالدين (الاب ــ الأم) وسيلة الضرب مع المبحوثين٠وارجع المبحوثين سبب استخدام وسيلة الضرب رفض المبحوث تلبية بعض طلبات المنزل (٨ر٥٣٪) أو زيادة المصروف اليومى (٦ر٢٧٪) أو قيامه ببعض الاعمال الخارجة عن اللزوم (٤ر١٨٪) ٠

ويبين أفراد مجتمع البحث أن الاباء (٥ر٧٣٪) لا يتدخلون فى اختيار نوع التعليم فى حين نجد أن هناك ٥ر٢٦٪ تقر بتدخل الاباء لاختيار نوع التعليم للابناء ٠ ومن ناحية أخرى يقرر أفراد العينة بان الاباء ٧ر٩٠٪ لا يتدخلون فى اختيار الاصدقاء من نفس الجنس وأن الاباء ٥ر٨٧٪ لا يتدخلون فى الامور الشخصية للابناء ٠ ويلاحظ أن تدخل الاباء يزداد نسبيا بالنسبة لاختيار الجنس الاخر للابناء فنجد أن هناك ٥ر٢٨٪ من عينة البحث أقرت بتدخل الاباء وتزداد درجة التدخل بالنسبة لاباء الجامعات الاسلامية ٥٢٪ فى مقابل ٤٢٪ لجمهور الطلاب وتقل هذه النسبة للمهن الاخرى فى كافة الفئات العمرية ٠

ويشير جمهور البحث أن الجو العائلى يتميز بالتفاهم ٢ر٨٩٪ فى

مقابل ٥ر٧٪ أقرت بأن جو الاسرة يتميز بالمشاجرات وان هناك نسبة٢ر٣٪ أقرت بوجود عنف وتوتر فى جو الاسرة خاصة فى أسر المهن الاخرى فى كافة الفئات العمرية المشتركة . ومن ناحيــة أخــرى نجد ان ٢ر٢٧٪ من عينــة البحث اقرت بدخول الاسرة فى شجار مع الجيران او الاقارب بسبب الخلافات حول الاولاد الصغار ١ر٤٣٪ أو بسبب خلافات حول نظافة العمارة ٤ر٣٩٪ أو بسبب خلافات حول الميراث ٤ر١٧٪ .

٤ ـ وضع المرأة ومكانتها وحقوقها داخل وخارج الاسرة :

وتعكس استجابات مجتمع البحث الاتجاه نحــو المــرأة فى المجتمــع المصرى ، فهناك ٥ر٤٩٪ ترى أنه يجب التشدد فى معاملة البنت عن الولد. ويلاحظ فى الارقام ، بأن الاتجاهات الاجتماعية للطلبة المنتمين للجماعات الاسلامية تميل الى هذا التشدد ٧٠٪ فى مقابل ٤٧٪ من جمهور الطلاب . وتقل درجة هذا التشدد فى المهن الاخرى خاصة بالنسبة للفئتين العمريتين ٤٠ــ٥٠ ، ٥٠ــ٦٠ ويرجع سبب التشدد الى اعتقاد جمهور البحث ٢ر٧١٪ بان ســلوك البنت يمس شرف العائلة او بسبب حماية البنت من التيارات الخارجية الفاسدة ٦ر١٩٪ او بسبب الاعتقاد بان النساء ناقصات عقل ودين (٩٪) . ومن ناحيــة أخــرى ، نجــد ان نسبة ٥ر٨٢٪ يوافقون على زواج الابن من فتاة متعلمة فى مقابل ٥ر١٧٪ يرفض ذلك . ويرجع ذلك الى اسباب تتعلق بأن الفتــاة خلقت للبيت فقط ورعاية اسرتها ٧ر٦٥٪ او بسبب ان التعليم افسد اخلاق المرأة (٢ر٣٤٪) من العينة المشتركة . وبالرغم من ان عدم تميز اجابات طلاب الجماعات الاســلامية عن جمهور الطلاب ، نجــد فى البيــانات اعتراض صريح بالنسبة للطــلاب المنتمين للجماعات الاســلامية (١٠٠٪) على الاختــلاط بين الجنسين فى التعليم فى مقــابل ١٨٪ بالنسبة لجمهور الطلاب أو على مستوى العينة ككل ٢ر٣٩٪ ويفسر الذين لا يوافقون على الاختلاط بان ذلك راجــع الى أن الدين يحرم الاختلاط بين الجنسين ١ر٦٨٪ (وهذا هو رأى الطلاب والمنتمين للجماعات الاسلامية ١٠٠٪) أو بسبب ان الاختــلاط يشجع على فســاد المرأة والرجل (٨ر٣١٪) كما تشير الارقام . أما بالنسبة لعمل المرأة فان ٥ر٦٥٪ من جمهور البحث توافق على عمل المرأة خارج المنزل فى مقابل ٥ر٣٤٪ ترفض عمل المرأة خارج المنزل

لاسـباب تتعلق بأن المـرأة خلقت للبيت فقط ٨ر٦٠٪ او لان تربية أولادها ورعاية زوجها أهم من العمل ٤ر٣٪، او لان العمل خارج المنزل يفسد اخلاق المـرأة ٦ر٨٪ ويلاحظ من البيانات بان ٣٨٪ من عينـة طـلاب الجماعات الاسلامية توافق على عمل المرأة • وبالرغم من أن هناك اعتراضا ما على عمل المرأة فان المرأة تختلف الى حد كبير بالنسبة للموافقـة على تعليمها تعليما جامعيا • فنجد أن ٥ر٨٩٪ من جمهور البحث توافق على تعلم المرأة تعليما جامعيا (ويمثـل اتجاهات طلاب الجماعات الاسـلامية ٨١٪ على الموافقة على ذلك) • فى مقابل ٥ر١٠٪ ترفض ذلك لاسباب تتعلق بان الرجل احق بالمكان الذى تأخذه المرأة فى الجامعة ٣ر٥٣٪ أو بسبب الاعتقاد بان التعلم فى الجامعـة يفسـد اخلاق المرأة ٨ر٢٣٪ من جمهور البحث • وقـد كشفت الدراسة الاتجاهات الاجتماعية نحو العديد من الامور المتعلقة بحقوق المرأة سواء على المستوى السياسى اوقانون الاحوال الشخصية او مكانها داخل أو خارج الاسرة • فتشير البيانات بان ٢ر٦٢٪ من جمهور البحث لا توافق على اعطاء المرأة حقوقها السياسية فى مقابل ٥ر٣٥٪ وافقت على ذلك ، وهناك نسبة ٢ر٣٨٪ وافقت الى حد ما والملاحظ ان نسبة رفض الجماعات الاسلامية لهذا الحق بلغت ٣٠٪ فى مقابل ١٥٪ من رفض جمهور الطلاب لهـذا الحق وتزداد نسبة الموافقة على حق المرأة السياسى فى المهن المختلفة وفى كافة الفئات العمرية • وبلغت نسبة رفض جمهور البحث لقيد حرية الرجل فى الطلاق ٢ر٧٣٪ وجاءت استجابات طلاب الجماعات الاسلامية قاطعة ١٠٠٪فى هذا الرفض فى مقابل ٦٨٪من جمهور الطلاب ويوافق ٥ر٤٠٪ من جمهور البحث بمنح الرجل حقوقا أكثر من المرأة وان هناك نسبة٥ر٣٧٪ وافقت على هذا الى حد ما فى مقابل ٢٢٪ رفضت هذا الرأى • وتمثل نسب اجابات الجماعات الاسلامية ٤٨٪ بالموافقة على الرأى فى مقابل ٢٩٪ من جمهور الطلاب • وتزداد هـذه النسبة فى المهن المختلفة خاصـة فى الفئة العمرية (٤٠ ــ ٥٠) ولقد وافق ٢ر٤٥ من جمهور البحث على تحديد سن ١٨ سنة كحد ادنى لزواج الفتاة • ولقد عبر جمهور البحث ٥ر٦٥٪ عن رفض لعدم توظيف المرأة اطلاقا فى مقابل ٢ر١٧٪ وافقت على هذا بالاضافة الى نسبة ٢ر١٧٪ وافقت الى حد ما • والملاحظ أن ٣٨٪ من طلاب الجامعات

الاسلامية رفضت هذا الاتجاه فى مقابل ٧١٪ من جمهور الطلاب • ويرفض ٧٨٪ من جمهور البحث تشجيع الزواج بأكثر من واحدة وجاءت اجابات طلاب الجماعات الاسلامية لتشير الى ٣٨٪ فهم يوافقون على ذلك سواء موافقة تامة او الى حد ما فى مقابل ١٤٪ من جمهور الطلاب هم الذين وافقوا على ذلك فقد زادت النسب فى المهن المختلفة خاصة فى الفئة العمرية ٤٠ـ٥٠ حيث بلغت نسبة الموافقة ٥٢٪ • ولا يوافق ٥٦٪ من جمهور البحث علىأن ياخذ الرجل أجرا اكبر من المرأة عن نفس العمل وجاءت بعدم موافقة الجماعات الاسلامية لتمثل ٥٠٪ فى مقابل ٦٥٪ من جمهور الطلاب • ولقد وافق ٦٠٪ موافقة تامة و ٣٢ر٧٪ موافقة الى حد ما على اعطاء الحقللاخوة الذكور لتوجيه الاخوة الاناث وجاءت اجابات الجماعات الاسلامية لتمثل ٩٢٪ فى مقابل ٩٤٪ من جمهور الطلاب وتزداد هذه النسبة فى المهن المختلفة خاصة فى الفئة العمرية (١٨ـ٤٠ ، ٥٠ـ٦٠) وأخيرا نجد ان هناك نسبة ٢٠ر١٩٪ من جمهور البحث ترفض تحديد وظائف معينة للمرأة وتميل أراء الجماعات الاسلامية الى تجديد وظائف معينة للمرأة (٩٤٪) فى مقابل (٧٦٪) من جمهور الطلاب • ولقد كشفت الدراسة أيضا أن نسبة امتثال الابناء للاباء فى فرض زواج شخصى معترض عليه هى ٤٢٪ (تمثل اجابات الجماعات الاسلامية التى تعبر عن الامتثال فى مقابل ٧٠٪ من جمهور الطلاب) وان درجة الاعتراض تكون بنسبة ٣٦٪ او فرض الرأى ٢٢٪ •

(د) التطرف والمفاهيم المرتبطة به :

١ ـ مفهوم التطرف ، أسبابه ومظاهره :

كما اشرنا ان التطرف ظاهرة عامة توجد فى كل المجتمعات والتطرف بمعناه العام هو الخروج عن المألوف او ما هو متفق عليه • ولقد ارتبط هذا المفهوم بكثير من المفاهيم الاخرى ؛ فالتطرف فى رأى يلحقه تعصب لهذا الرأى وعندما يتحول التطرف والتعصب الى سلوك غالبا ما يستخدم العنف كوسيلة لتحقيق اهدافه وقد يستخدم العنف ايضا وسيلة الارهاب الفكرى أو المادى لحمل الاخرين بالاتفاق مع أو الابتعاد عن ما تحاول الجماعة المتطرفة تحقيقه •

تشير البيانات بان مفهوم التطرف عند عينة البحث اخـذ المدلولالات الاتية : الشطط فى الدين ٣٠ر٤٪ او ان الواحـد يتبنى افكار منافيـة مثل الماركسية والالحاد ٢٢ر٤٪ ، او ان الواحد ينتمى لجماعات دينية أو سياسية معينة ١٤ر٧٪ او ان الواحد يأتى بافعال ضـد الدولة ١٣ر٤٪ او ان يؤمن الانسان بشىء ويريد ان يقنع به الناس ١٠ر٢٪ واخيرا ان الواحد يخرج عن الجماعة وتقاليدها ٨ر٦٪ • ويلاحظ ان هناك تخفظ فى مفهـوم التطرف فالبعض ربط المفهـوم بالمستوى الدينى فقط والبعض الاخر ربطه بالمفهوم السياسى • كذلك نجد ان البعض ربط المفهوم بالانتماء الى جماعات دينية أو سياسية•وان نسبة ٨ر٦٪ هى التى حددت التطرف بأنه خروج عن الجماعة والمألوف والمتعارف عليه •

ومن ناحية أخرى نجد ان مفهوم التطرف بالنسبة لغالبية استجابات الجماعات الاسلامية ٤٩٪ هو أن الواحد يتبنى افكار منافية ذى الماركسية والالحاد • على العكس من جمهور الطلبة نجد أن غالبية استجاباتهم عن التطرف هـو ان الواحـد يشـط فى الدين (٤١ر٦٪) نفس الشىء بالنسبة لمفردات فئة المهن المختلفة نجد ان المفهوم الدينى للتطرف هو الغالب على الاتجاهات ٣٢ر٤٪ • ونجد ان الفئة العمرية من ٥٠ ـ ٦٠ هى الوحيدةالتى قد ربطت المفهوم فى معناه الدينى والسياسى كل هذا يشير بوضوح الى أن المفهوم بمعنـاه الصحيح غامض لدى الكثير وان لكل مفهومه عن التطرف فما هو متطرف لجماعات اسلامية قد يكون على عكس ما يفهمه الاخرين خاصة ارتباط التطرف بالمحتوى الدينى او الانتماء لجماعات دينية معينة • وتأكد هذه النتيجة ان ٤٣ر٢٪ من مجموع عينة البحث هى التى اعتبرت التطرف شطط فى الدين فى مقـابل ٥٦ر٧٪ ترى ان التطرف تبنى لافـكار الحادية والشىء الجدير بالملاحظة فى جمهور البحث ان ٤٢٪ من الجماعات الدينية ترى ان التطرف هو الشطط فى الدين فى مقابل ٥٨٪ ترى ان التطرف هو تبنى الافكار الملحدة • وتتفق هـذه النسب الى حـد كبير مع جمهـور الطلاب • اما فى المهن المختلفة فنجد ان الفئة العمرية ١٨ـ٤٠ تربط التطرف ٦٦ر٦٪ بالتطرف فى الافكار الالحادية نفس الشىء بالفئة العمرية ٥٠ـ٦٠ ،

فالتطرف هو تبنى لافكار الالحادية ٦ر٦٦٪ اما الفئة العمرية ٤٠ـ٥٠ فان التطرف هو الشطط فى الدين ٧٢٪ .

ويكشف جمهور البحث بان اكثر الناس تطرفا هم الجماعات الدينية ٧ر٣٩٪ يلى ذلك الجماعات السياسية ١ر٢١٪ ثم المفكرين ٥ر١٥٪ فالشباب ٢ر١٤٪فالطلبة٢ر٧٪فالعمال١ر٢٪ .ولقد نسبت الجماعة الاسلامية التطرف الى الجماعات السياسية ٧ر٣٧٪ ثم المفكرين ٣٠٪ فالشباب ٢١٪ بعكس جمهور الطلاب الذى رأى أن أكثر الناس تطرفا هم الجماعة الدينية ٩ر٥٣٪ ، يلى ذلك الجماعات السياسية (١ر١٧٪)ثم المفكرين (٧ر١١٪)ويتفق هذا مع افراد المهن الاخرى فى الفئات العمرية المختلفة حيث نجد ان الجماعات الدينية هى اكثر الناس تطرفا (٩ر٤٦٪) ٨ر٥٧٪،٩ر٣٣٪ على التوالى بالنسبة للفئات العمرية الثلاثة) . هذا يعنى بوضوح أن جمهور البحث ـ عدا الجماعات الاسلامية ـ ترى أن التطرف مرتبط اساسا بالجماعات الدينية وعلى العكس من ذلك تـرى الجماعات الدينية أن التطرف مرتبط بالجماعات السياسية وأفكار المفكرين .

وتشير الدراسة الى ان ٢ر٨٨٪ من عينـة البحث نفت ان يكون لها علاقة باصدقاء يتميزون بالتطرف فى حين نجد أن ٧ر١١٪ أقروا بوجـود علاقات مع اصدقاء متطرفين ، وجاء أعلى نسبة لهؤلاء بين المهن المختلفة فئـة ١٨ ــ ٤٠ سـنة (٧ر٤٪) والجماعات الاسـلامية بنسـبة (٥ر٣٪) ويحاول ١ر٥٣٪ مـن الذين لهـم عـلاقات مـع المتطرفين تغير سلوكهم أو مفاهيمهم أو المناقشـة معهم فى الاعمـال التى يقومون بها ٤ر٢٣٪ . ومن ناحية أخرى نجد ان ٧ر١٣٪ من الذين لهم اصدقاء متطرفين اقروا بأنهم يلتقون بالمصادقة فقط دون الدخول فى مناقشات وان هناك ٦ر١٠٪ يتجنبون معاملة اصدقائهم المتطرفين اطلاقا ، وتنحصر معظم الاعمـال المفروضـة على جمهور البحث من الاصـدقاء المتطرفين فى قراءة كتبهم خاصـة المهن المختلفة الفئة العمرية ١٨ــ٤٠ (٤ر٤٠٪) ، الجماعات الاسلامية (٧ر٢٩٪) طلبة الجامعة (٤ر٢٣٪) .

ويشير جمهور البحث بان ٢ر٣٧٪ من جمهـور عينة البحث اقرت بان المجتمع المصرى يعانى من ظاهرة التطرف فى مقابل ٥ر٣٧٪ لاترى وجـود

لهذه الظاهرة فى المجتمع وهناك ٢ر٢٥٪ لم تحدد اجاباتهم ٠ ويرى الذين أقروا بوجود التطرف فى المجتمع المصرى بان مظاهره متمثلة فى ظهور الجماعات الدينية المتطرفة (٢ر٤٤٪) ، أو ظهور بعض مدعى النبوة (٩ر٣٦٪) ، أو ظهور بعض الجماعات الارهابية (٧ر١٨٪) ٠ ويلاحظ ان مظاهر التطرف عند افراد طلاب الجماعة الاسلامية كان منحصرا فى ظهور مدعى النبوة او ظهور الجماعات الارهابية ٠ ويفسر الذين أقروا بوجود تطرف فى المجتمع المصرى بان سبب ذلك راجع الى ظهور الازمات الاقتصادية (كازمة السكان) ٦٣٪ ٠ وبسبب ابتعاد الحكومة عن الشريعة الاسلامية (٨ر٢٦٪) أو بسبب بعد الشباب عن التعاليم الدينية السمحة (١٠٪) ويلاحظ أيضا ان اسباب التطرف بالنسبة لطلاب الجماعة الاسلامية راجع اساسا الى ابتعاد الحكومة عن الشريعة الاسلامية (٨٠٪) او ابتعاد الشباب عن التعاليم الدينية ٢٠٪ تعكس جمهور الطلاب والفئات المهنية المختلفة التى ربطت اسباب ظهور التطرف باسباب الازمات الاقتصادية ولقد انكر جميع مفردات البحث قيامهم باى سلوك يتصف بالتطرف ٠

٢ ـ مفهوم التعصب اسبابه ومظاهره :

ارتبط مفهوهم التعصب بالنسبة لجمهور البحث بان الواحد يعتقد ان رأيه هو الصحيح والباقى غلط ٤٣٪ ٠ ولقد ذهب ٣ر١٤٪ من عينة البحث بان التعصب هو ان الواحد يدافع عن افكار الجماعة التى ينتمى اليها وان هناك ٧ر٨٪ قرنت التعصب بالدفاع عن دينه ضد الاديان الاخرى ٠ والجدير بالملاحظة فى جمهور البحث بان هناك نسبة ٨ر٣٣٪ من جمهور البحث قرنت التعصب بالتطرف والعنف ولقد ذهب جمهور البحث بان التعصب يتمثل فى الايمان بالرأى الواحد ٥ر٥٥٪ أو الدفاع عن افكار الجماعة المتطرفة ٥ر٢٢٪ أو التعصب لدين الفرد ضد الاديانالاخرى٢٢٪ويلاحظ فى جمهور البحث بان الجماعات الاسلامية ترى ان التعصب هو فقط الايمان بالرأى الواحد ١٠٠٪ فى مقابل ٤٥٪ من جمهور الطلاب ٠ ويرى جمهور البحث بان الجماعات الدينية اكثر الناس تعصبا فى المجتمع (٤ر٣٧٪) ٠ يلى ذلك الشباب ٥ر٢٧٪

ثم الجماعات السياسية ١٩٪ ، وتنسب الجماعات الاسلامية التعصب للجماعت السياسية والشباب والطلبة بينما ينسب جمهور الطلاب والمهن الاخرى التعصب للجماعات الدينية والشباب والجماعات السياسية ٠

ولقد أقر ١٨٪ من جمهور البحث بأن لهم علاقة باصدقاء يتصفون بالتعصب خاصة اصحاب المهن المختلفة وطلبة الجامعة والجماعات الاسلامية المختلفة ٠ وتتماثل هذه النسبة مع هؤلاء من خلال تغير سلوكهم ومفاهيمهم (١ر٢٩٪) ، أو من خلال تجنب معاملتهم (٨ر١٣٪) أو الاكتفاء بالصداقة فقط (٥ر٥٪) ، وتنحصر الاشياء المفروضة على المبحوثين من الاصدقاء المتعصبين فى قراءة كتب معينة تدعو لافكار سياسية (٢٥٪) واخيرا قراءة كتب تدعو الى التعصب الدينى (٢ر١٥٪) ٠

ولقد بينت جمهور البحث بأنهم جميعا لم يصدر عنهم أى شىء يتسم بالتعصب والتطرف ولكن نجد فى جمهور البحث بان ٢ر٢٧٪ يعترفون بوجود ظاهرة التعصب فى المجتمع المصرى فى مقابل ٢ر٤٦٪ رفضوا وجود هذه الظاهرة وهناك ٥ر٢٦٪ لم تتحدد اجاباتهم ٠ وقد اقر الذين اعترفوا بوجود التعصب فى المجتمع المصرى بأن مظاهره متمثلة فى ظهور الخلافات الحادة بين الطوائف الدينية ٧ر٥٧٪ أو متمثلة فى حوادث الشغب اثناء المباريات الرياضية ، ٢ر٤٢٪ ، ويغلب على اتجاهات الجماعات الاسلامية وطلبة الجامعة والمهن المختلفة (٥٠ – ٦٠) الاخذ بارجاع مظاهر التعصب الى الاختلاف بين الطوائف الدينية ٠ ويشير جمهور البحث ان تفسير اسباب التعصب بالنسبة لعينة البحث الى اسباب اقتصادية ٩ر٥٥٪ أو ابتعاد الشباب عن القيم الدينية ١ر٤٤٪ وينسب الجماعات الاسلامية اسباب التعصب اساسا الى ابتعاد الشباب عن القيم الدينية ٥ر٨٧٪ ٠

٣ – مفهوم العنف اسبابه ومظاهره :

وجاء استجابات عينة البحث بالنسبة لمفهوم العنف أكثر وضوحا عن المفاهيم الأخرى فنجد ان ٢ر٤٠٪ من عينة البحث تعتبر العنف هو أن

الواحد يستخدم القوة لتحقيق أغراض او ان العنف بالنسبة ١ر٢٧٪ سلوك اجرامى ضد القانون ، وجاءت المدلولات الاخرى بالنسب الاتية :

سلوك عادى لما الواحد ينفعل ٦ر٩٪ ، سلوك ناجم عن التطرف فى الافكار أو السلوك ٨ر٨٪ او سلوك ناجم عن التعصب فى الافكار والسلوك ١ر٨٪ واخيرا سلوك مخالف يستخدمه بعض المنتمين للجماعات الدينية (٩ر٥٪) ، وترى عينة البحث ان العنف هو استخدام القوة لتحقيق أغراض معينة ٥١٪ او انه سلوك اجرامى يستخدم فيه السلاح ٤٩٪ ولقد بينت الدراسة انه فى نظر جمهور البحث يعد الشباب اكثر الناس عنفا ٦ر٢٧٪ يلى ذلك الجماعات الدينية ٨ر٣٦٪ فالجماعات السياسية ١ر٢٠٪ فالطلبة ٣ر١٠٪ ، فالعمال ٥ر٨٪ فالمفكرين ٤ر١٪ وتؤكد جميع مفردات عينة البحث ـ ماعدا الجماعات الاسلامية ـ على ان اكثر الناس عنفا هم أفراد الجماعات الدينية . وهناك ٥ر٧٪ من عينة البحث لدىمفرداتها علاقة بأصدقائها من الجماعات يتميز سلوكهم بالعنف . ويحاول ٨٠٪من هؤلاء تغير سلوك أصدقائهم وأفكارهم وهناك ٢٠٪ منهم يحاولون تجنب معاملاتهم وتركزت الاشياء المفروضة على المبحوث من قبل اصدقائه الذين يتميز سلوكهم بالعذف بقراءة كتب تدعو الى العنف (٦ر٥٦٪) أو المشاركة فى القيام بمظاهرة (٣ر٤٣٪) .

ولقد انكر جميع مفردات البحث بانهم قاموا باى سلوك يتسم بالعنف أما عن وجود ظاهرة العنف فى المجتمع المصرى فان ٥ر٢٦٪ أقرت بوجود هذه الظاهرة فى مقابل ٢ر٥٣٪ أنكرت وجودها فى حين ان ٢ر٢٠٪ لم تحدد اجاباتها .

وجاءت التأكيدات على وجود هذه الظاهرة من قبل الجماعة الاسلامية (٥٤٪) وجمهور الطلاب (٣٣٪) والذين أيدوا وجود هذه الظاهرة فان مظاهر العنف فى المجتمع المصرى تتمثل فى استخدام القوة فى تحقيق أغراض معينة (٣ر٣٧٪) أو جرائم الاغتصاب (٧ر٣٦٪) أو السلوك الاجرامى المسلح (٤ر٢٥٪) ويرجع هؤلاء اسباب العنف فى المجتمع المصرى الى الازمات

الاقتصادية ٤ر٣٩٪ أو بسبب عدم تطبيق الشريعة الاسلامية ٨ر٣١٪ أو ابتعاد الشباب عن القيم الدينيــة السمحة ، ويلاحظ فى جمهــور البحث أن تفسير ظاهرة العنف فى المجتمع المصرى لدى الجماعات الدينية يتركز حول عــدم تطبيق الشريعة الاسلامية أو الابتعاد عن الدين بعكس مفردات العينة الاخرى التى ركزت تفسيرها للظاهرة بالاسباب الاقتصادية ٠

(د) مفهوم الارهاب أسبابه ومظاهره :

كما أشرنا بان التطرف مرتبط بالتعصب والعنف والارهاب ٠ ولقد بينا ان العنف والارهاب أسلوب من اساليب فرض وجهة النظرالتى يؤمن بها الفرد أو الجماعة على الاخرين ٠ ولقد حدد جمهور البحث مفهوم الارهاب اساسا بأن سلوك الجماعة التى تفرض سيطرتها على المجتمع بالقوة ٦ر٣٤٪ أو أنه ســلوك يفرض فيــه الفرد رأيــه باستخدام التهديد ٣٣٪ ، أو ان الارهاب بمفهومه العام هو سلوك خطف الطائرات ٧ر٤٠٪ أو احتجاز الافراد بالقوة (١٧٪) ويــرى جمهــور البحث ان اكثــر الناس استخداما لاسلوب الارهاب هم الجمــاعات السياســية ٥ر٥٥٪ يلى ذلك الشــباب ٢٧٪ ، فالجمــاعات الدينية ١١٪ ، فالطلبة ٤٪ ، فالعمال ٥ر٢٪ واكدت الجماعات الاسلامية على الصاق الارهاب بالجماعات السياسية ٤٦٪ بينما نجد أن باقى جمهور البحث ينسب ذلك الى الجماعات السياسية والجماعات الدينيــة والشباب ولقــد انكر جميــع مفردات جمهــور البحث بعلاقاتهم بأصــدقاء يتصفون بالارهاب أو قيامهم باى سلوك يتصف بالارهاب ولقد ذهبت ٧ر٧٩٪ مــن عينة البحث بأن الارهاب ليس ســمة من سمات المجتمع المصرى فى حين لم يحدد ٣ر٢٠٪ اجاباتهم ٠

(هـ) اسباب ومظاهر التطرف :

١ ـ اسباب التطرف :

كما سبق أن اشرنا بأن التطرف ظاهرة عامة فى كل المجتمعات وفى كل الفترات التاريخية فهناك من ينسب التطرف لعوامل اقتصادية بحتة مثــل عدم وجود فرص للعمل أو زيادة المتطلبات الاجتماعية وغموض المستقبل المهنى الاسرى للشباب ، والبعض الاخر ينسب التطرف الى عدم وضــوح

المفاهيم الدينية لدى كثير من الشباب وهناك فريق ثالث ينسب الظاهرة الى عوامل خارجية ، ومازال هناك فريق رابع يفسر التطرف بعوامل تاريخية أو بنائية في التاريخ المصرى خاصة بعد نكسة ١٩٦٧ وظهور فترة الانفتاح الاقتصادى وما يتبعها من مظاهر ترف وفساد اثرت او استنفذت جموع الشباب ٠ ولقد جاءت استجابات المبحوثين لتبين ان ٢٧٪ فقط من مجموع عينة البحث هى التى نسبت التطرف الى مايسمى بالفراغ الفكرى وان هناك ٧ر٢٣٪ وافقت على هذا الرأى ويبين بان ٥٠٪ من جمهور البحث يرى ان جماعة التكفير والهجرة من الجماعات المتطرفة في المجتمع يلى ذلك جماعة الجهاد ٢٩٪ ثم الجماعات السياسية ٧ر١٦٪ ٠ وينسب طلاب الجماعات الاسلامية التطرف أساسا الى الجماعات السياسية وليس الجماعات الدينية ٠ ولقد رفض كل جمهور البحث الموافقة على أنشطة الجماعات المتطرفة المختلفة وبالرغم من هذا الاعتراض الظاهرى على التطرف فان ٢ر٦٥٪ من جمهور البحث هى التى اقرت بانها تستمع للرأى الاخر فى حالة اختلافه عن رأى المبحوث ٠ وان هناك ٥ر٢٠٪ أقرت بتمسكها برأيها او بتجنبها من يختلف معها فى الرأى ٧٪ أو محاولة اقناع الاخرين برأى المبحوث ٢ر٧٪ من جمهور البحث ويلجأ ٥ر٤٢٪ من جمهور البحث الى الاب او الام او الزوج او الزوجة فى حالة وجود مشكلة ، يلى ذلك الاصدقاء ٢ر٣٠٪ فالاخوة ٧ر١٤٪ فرجال الدين ٥ر١٢٪ وكما أن ٥٠٪ من أفراد الجماعة الاسلامية هى التى تعتمد على رجال الدين لحل مشكلاتها ٠

ويرى جمهور البحث بان اهم مشكلة تواجه الشباب بعد التخرج هى عدم تناسب الدخل مع ظروف الحياة ٢٦٪ ، يلى ذلك ارتفاع تكاليف الحياة ٧ر٢٠٪ ، وعدم وجود فرص عمل مناسبة ٢ر١٩٪ وضعف المرتبات ١ر١٩٪ وعدم القدرة على الزواج ٨ر١٤٪ من جمهور البحث ويرى ٧ر٤٦٪ بان وجود هذه المشكلات سببا فى ظهور الافكار المتطرفة المختلفة ، وذلك بسبب ان هذه المشكلات تؤدى الى احساس الشباب بعدم وجود عدالة اجتماعية ٦ر٤٠٪ أو لوجود المحسوبية والرشوة ٣ر٣٦٪ أو لظهور الطبقات الطفيلية ٩ر٢٢٪ وفى محاولة تحديد الاسباب المباشرة التى تؤدى إلى التطرف ، لدى

جمهـور البحث كشفت الدراسة بأن جمهـور البحث نسب ذلك الى عـدم وجود توعية دينية ٣ر٢٥٪يلى ذلك الرغبة فى تحسين ظروف المجتمع٣ر١٩٪ ووجود المشكلات الاقتصادية التى تمنع اعطاء فرص للشباب للعمل والزواج والسكن ٦ر١٥٪ أو لعدم وجود فرص المشاركة فى الرأى والامور السياسية ٢ر١٢٪، أو لوجود تيارات الحادية وافكار هدامة ١ر١١٪ ، أو الاحساس بالانتماء لفكر معين ٢ر٩٪ او ان هذا شىء طبيعى لمواجهة الفساد فى المجتمع ٥ر٣٪ ، ويلاحظ فى جمهور البحث تركيز اتجاهات الطلبة سواء الجماعات الاسلامية او جمهور الطـلاب على ارجاع التطرف الى عـدم وجود توعية دينية • ومن ناحية أخرى فان ٢ر٦١٪ من جمهـور البحث ترى أن ادمان الناس على المخدرات هو نوع من التطرف ويرجع ادمان هؤلاء الناس على المخدرات لاسباب تتعلق بعدم وجود توعية دينية ٨ر٥١٪ أو للهروب من المشكلات التى يعانى منها المدمن ٥ر٣٧٪ او كنوع من التظاهر بين الاصدقاء ٦ر١٠٪ •

٢ ـ مظاهر التطرف :

كما أشرنا أن هناك مظاهر متعددة للتطرف•فالتطرف قد يكون فكريا متمثلا فى اعتناق الفرد لمجموعة من الافكار التى يخالف بها رأى الجماعة ، وقد يكون التطرف اعتناق الفرد لمجموعة من الافكار الجديدة المغايرة كما هو شائع او تقليدى والتطرف قد يأخذ شكل السلوك سواء الدينى أو السياسى أو المظهرى أو الرياضى • وسوف نحاول فى هذا الجزء ان نرصد الاتجاهات الاجتماعية فى عينة البحث نحو مظاهر التطرف فى المجتمع المصرى •

(أ) المظهر الدينى للتطرف :

لقد بينت الدراسة ان ٥ر٥٦٪ من جمهور البحث اقر بالمواظبة على اداء الشعائر الدينية ، وبالنسبة لاب المبحوث فنجد ان ٥ر٨٠٪ منهم يؤكدون على مواظبة الاب على اداء الشعائر وان هناك ٨٦٪ من أمهات جمهور البحث تواظب على اداء الشعائر اما بالنسبة لمواظبة الاخوة الذكور لاداء

الشعائر فنجد ان ٧ر٥٩٪ من جمهور البحث يؤكد على ذلك فى مقابل ٥٧٪ للاخوة الاناث · ويلاحظ فى جمهور البحث بان اعضاء الجماعات الاسلامية تواظب بصفة مطلقة على اداء الشعائر كذلك ابائهم وامهاتهم بنسبة ٨٨٪ واخوتهم الذكور بنسبة ٨٨٪ واخواتهم الاناث بنسبة ٧٤٪ ويلاحظ ايضا فى نفس الوقت بان افراد عينة البحث من جمهور الطلاب تواظب بنسبة ٢٠٪ على اداء الشعائر · فى حين ان ابائهم يواظبون بنسبة ٧٦٪ وامهاتهم بنسبة ٨٧٪ واخواتهم الذكور بنسبة ٥٤٪ واخواتهم الاناث بنسبة ٥٨٪ ويلاحظ ايضا أرتفاع نسبة المواظبة على الشعائر فى المهن المختلفة خاصة فى الفئات العمرية ٤٠ ــ ٥٠ و ٥٠ ــ ٦٠ ·

ويبين تردد ٧ر٤١٪ من جمهور البحث بصفة دائمة على دور العبادة ، وان هناك ٢ر٥٤٪ منهم يتردد ولكن بصفة ليست مستمرة· ونلاحظ فى جمهور البحث اجماع طلاب الجماعات الدينية على التردد على دور العبادة كذلك فان هناك ٣٥٪ من جمهور البحث لهم علاقة برجال الدين هى ٩٠٪ فى مقابل ٢٥٪ من جمهور الطلاب · ولقد بين ٥ر٤٨٪ من جمهور البحث باستشارة رجال الدين فى مشاكلهم وأن هناك حوالى ٤٢٪ يعتمدون على رجال الدين فى بعض الاحيان ·

ويقوم ٧ر٨٪ من جمهور البحث بزيارة الاولياء الصالحين بصفة دائمة وان هناك ٢ر٣٩٪ تقوم بذلك فى بعض الاحيان ــ والملاحظ فى جمهور البحث أن هناك ٤٠٪ من أعضاء الجماعات الدينية تقوم بهذه الزيارات فى مقابل ٣٦٪ من جمهور الطلاب · كذلك يشارك ٧ر٣٦٪ من جمهور البحث فى الانشطة التى يقوم بها المسجد وهى تتنوع بين عقد ندوات دينية ٤١٪ أو الاحتفال بالمناسبات الدينية ٩ر٣٨٪او عقد فصول لتقوية الطلاب ٢٠٪وتمثل درجة مشاركة اعضاء الجماعة الاسلامية ٨٨٪ فى مقابل ٢٣٪ من جمهور الطلاب ·

ويقر ٢ر٩٪ من جمهور البحث بأنتمائهم الى جماعة دينية وان ٤٨٪ من الجماعات الاسلامية قد اقرت بذلك فى حين لم يفصح ٥٢٪

عن ذلك • وبالنسبة لجمهـور الطلاب نجـد ان ٥٪ فقط هم الذين اقروا بانتمائهم لاحـد الجماعات الدينية ويلاحظ فى جمهور البحث رفض جميع المنتمين لهذه الجماعات الافصاح عن اسم الجماعة التى ينتمى لها ، ويبين هؤلاء ان اهداف الجماعة التى ينتمون اليها هو العمل على تطبيق الشريعة الاسلامية ٣ر٤٤٪ او تعريف الشباب بأمور دينهم ٩ر٣٢٪ او محاربة اعـداء الاســلام ٧ر٢٢٪ • ويبين جمهـور البحث بأن ٣ر٧٨٪ مـن الذين لهـم انتماءات لهذه الجماعات قـد فعلوا ذلك بمفردهم فى حين نجد أن ٦ر٢١٪ اقروا بأن الذى دفعهم للانضمام للجماعة هو احد اعضاء الجماعة • يصف المنتمين بهذه الجماعات شعورهم بعد الالتحاق بالجماعة بان دور الجماعة بالنسبة لهم هو أن الجماعة تعطى الاحســاس بالثقــافة والتعاليم الدينية ٥ر٢٤٪ أو أن الجماعة تعمل على كسب الشباب للوعى الدينى ٥ر٢٤٪ أو أن الجماعة تعمل على القضاء على الفساد فى المجتمع ٥ر٢٤٪ولقد ذهب٢ر١٣٪ بان الجماعة تعطى الاحساس بالهوية او الانتماء للمجتمع ٢ر١١٪ ويبين جمهور البحث بان دور الجماعة فى حل المشكلات المالية يكاد يكون منعدما ٦٦ر٪ أو فىحل المشكلات التعليمية ٣ر١٪ • ويقر الذينينتمون الى جماعات دينية بأنهم يحضرون اجتماعات الجماعة دائما ١ر٣٥٪ أو احيانا ٧ر٥٦٪ • ويرى الذين ينتمون لهذه الجماعات بأنه يوجد عدم توافق بينهم وبين أفكار الجماعة اثناء المناقشة ٣ر٥١٪ • وان الاساليب التى استخدمت لتغيير افكار الاعضاء الجدد هى ان المبحوث غير افكاره بنفسه نحو الافكار التى تتبناها الجماعة ١ر٦٣٪ أو أن بعض الاعضاء شرح له بعض الافكار الجديدة ٥ر٢١٪ أو اعتماد المبحوث على القرارات الخاصة بالجماعة ٧ر١٥٪ • ويرى ٣ر٥١٪ من المنضمين للجماعات الدينية بأن تصف هذه الجماعات بأنها متطرفة فهم غير صحيح لانشطة الجمـاعة ويـرى ٦ر٤٨٪ بان الافكار الجديدة دائما ما توصف بالتطرف •

وفى نظر جمهور البحث نجد ان رأيهم فى شباب اليوم متمسكا بدينه الى حد ما ٦٥٪ وان الذين اقروا بتمسك الشباب بدينه بصفة دائمة هم ٥ر١٣٪ من مجموع عينة البحث فى حين ان ٥ر٢٠٪ اقروا بعدم تمسك الشباب بدينهم

ويقترح جمهور البحث ٧ر٥٤٪ بضرورة اضافة مقررات دينية جديدة فى المدارس والجامعات ويوافق اعضاء الجماعة الاسلامية على هذا الراى بنسبة ١٠٠٪ ويرى ٦٦٪ من جمهور البحث ان اجهزة الاعلام لا تقدم برامج دينية كافية ،ويلاحظ ايضا فى جمهور البحث اجماع اعضاء الجماعة الاسلامية على هذا الرأى ٠

ويبين جمهور البحث بان ٥ر٦٥٪ من جمهور البحث يواظبون على مشاهدة وسماع البرامج الدينية ٠ ويلاحظ ايضا اجماع اعضاء الجماعة الاسلامية على ذلك خاصة حديث الشيخ الشعراوى بنسبة ٦ر٥٨٪ واذاعة القرآن الكريم ٩ر٣٧٪ وبرنامج هدى النبوة ٣ر٣٪ ٠

ويرى جمهور البحث بالموافقة التامة على الاختلاط بين الجنسين ٣٩٪ بالاضافة الى ٢٩٪ الى حد ما ٠ فى مقابل ٣٢٪ لايوافق على ذلك ٠ ويلاحظ فى جمهور البحث بان هناك اعضاء من قبل الجماعات الاسلامية يرفض فكرة الاختلاط بين الجنسين فى مقابل ١٧٪ رفضوا بين جمهور الطلاب ٠ كذلك فان ٢ر٦٤٪ من جمهور البحث وافقت موافقة تامة على تطبيق الشريعة الاسلامية بالاضافة الى ٢ر٣١٪ وافقوا على ذلك الى حد ما ، ويلاحظ أيضا اجماع اعضاء الجماعة الاسلامية على هذا الاتجاه ، وبالنسبة لفرض الحجاب نجد ان ٢ر٦٤٪ وافقوا على ذلك تماما وان ٧ر١٧٪ وافقوا على ذلك الى حد ما ٠ وأيضا نجد هناك اجماعا لاعضاء الجماعة الاسلامية على فرض الحجاب على المرأة يوافق ٧ر٨٤٪ موافقة تامة على ان التدين هو الطريق الصحيح للتقدم بالاضافة الى ٢ر١٢٪ وافقوا على ذلك الى حد ما ، ويلاحظ اجماع اعضاء الجماعة الاسلامية على هذا الاتجاه ويوافق ٧ر٤٤٪ بأن رجال الدين هم افضل من يقود المجتمع ونجد أن هناك نسبة ٢ر٤٠٪ يوافقون على هذا الرأى الى حد ما ٠ ويذهب ٥٥٪ من جمهور البحث بعدم الموافقة على الرأى القائل بعدم التعامل مع من هم من دين آخر ٠ كذلك لا يوافق ٤٦٪ من عينة البحث عن استقلال الدين عن السياسة ويوافق ٧١٪ من جمهور البحث بأن الفكر الدينى الواضح يمنع ظهور العنف ٠ ومن ناحية أخرى يرى ٧٥٪ بأن رجال الدين معزولين عن مشاكل الشباب ٠

(ب) المظهر السياسى للتطرف :

يرى ٧٨٪ من جمهور البحث انه لا يوجد تعارض بين الدين والسياسة وجاءت استجابات اعضاء الجماعة الاسلامية على ماهو متوقع بعدم الانفصال بين الدين والسياسة • كما تشير البيانات الى ان هناك (٥ر٩١) من جمهور البحث لاتنتمى الى أى حزب سياسى وأيضا نجد هناك اجماعا من أعضاء الجماعات الاسلامية على رفض الانتماء الى الاحزاب السياسية القائمة • ولقد بينت الدراسة أيضا عدم مشاركة ٧ر٧٨٪ من المبحوثين فى الادلاء باصواتهم فى الانتخابات • ويلاحظ ان ٢٦٪ من اعضاء الجماعات الاسلامية تحرص على المشاركة فى الادلاء بالاصوات فى الانتخابات ويجمع ٤ر٨٣٪ من المبحوثين بأن سبب عدم اشتراكهم فى الانتخابات راجع اساسا لعدم وجود بطاقة انتخاب لديهم • ونجد أن هناك ٥ر١٦٪ يرجحون عدم اشتراكهم فى الانتخابات الى اسباب تتعلق بعدم توفر النزاهة فى الانتخابات أو لان الناخبين يعملون لاغراض شخصية • ويجمع جميع المبحوثين الى عدم ادراج اسمه فى قائمة الناخبين لهذا العام •

ويرى ٧ر٣٢٪ من عينة البحث ان وسائل الاعلام المصرى تعطى اخبار غير صادقة وتذهب نسبة ٥ر١٨٪ الى ان هناك تعتيم اعلامى فى وسائل الاتصال الجماهيرى•كما يؤكد جمهور البحث بنسبة ٦ر٣٤٪ بأنه يمكن اصلاح حال البلد بتحسين الدخل الاقتصادى ، ويؤكد نسبة ١ر٢٥٪ على محاربة الفساد ، وترى نسبة مماثلة للنسبة السابقة إنه يمكن اصلاح حال البلد لما يكون الدين اساسى فى كل الامور وترى نسبة ١ر١٥٪بان هذا يمكن ان يتحقق لما يختار الشعب خير من يمثله كما أوضح جمهور البحث ان مظاهر التطرف السياسى لدى جمهور البحث هو ٥ر٣٢٪ والخروج على مبادىء المجتمع ٢ر٢٥٪ او انتشار المبادىء الهدامة ٧ر٢٠٪ او الخروج فى مظاهرات عامة ٣ر٩٪ او اضراب العمال عن العمل ٦ر٧٪ او اشتراك الجماعات الدينية فى السياسية ٤ر٤٪ • اما الاشياء التى تعبر عن الارهاب فهى فرض الرأى باستخدام السلاح ٨ر٢٩٪ أو استخدام العنف فى تلبية المطالب ١ر٢٤٪ أو اسلوب خطف الطائرات ٨ر٢٣٪ او استخدام اسلوب التهديد ٢ر٢٢٪ •

ويجمع جمهـور البحث بان النظـام الذى يحقق التعبير عن الرأى ويحقق المساواة وتكافؤ الفرص هو النظام المناسب كذلك فان النظام يحقق الحرية الفردية يعد مناسبا كلية بنسبة ٧ر٧٤٪ والى حد ما بنسبة ٣ر٢٥٪ • ويرفض ٢ر٤٤٪ النظـام الذى يتيـح للدولة التدخل فى كل شىء • ويـرى ٥ر٩٤٪ من جمهور البحث بالموافقة على النظام الذى يطبق تعاليم الدين • ويوافق ايضا ٢ر٧٥٪ على النظام الذى يحقق الانفتاح الاقتصادى • ويلاحظ رفض الجماعات الاسلامية لهذا النظام (٧٢٪) •

واخيرا يحدد جمهور البحث مشكلات مصر بالاتى : مشكلة الاسكان ٢ر٣٩٪ مشكلة الغذاء ٧ر٣٠٪ ، ضعف المرتبات ٢٥٪ •

(جـ) المظهر الرياضى للتطرف :

تتنوع وسائل تمضية وقت فراغ جمهور البحث بين القراءة ٨ر٢٤٪ ، او مشاهدة التلفزيون٣ر٢٣٪، او الانشطة الدينية ٨ر١٣٪أو الانشطةالرياضية ٢ر١٣٪ أو الجلوس مع الاصدقاء ٩ر١٠٪ او ممارسة الهوايات ٧ر٥٪ او العمل لزيادة الدخل ٢ر٦٪ • ويلاحظ فى جمهور البحث ان انشطة طلاب الجماعات الاسلامية يتركز حول القراءة والانشطة الدينية والرياضية ويوضح جمهور البحث بأن هناك ٢٩٪ فقط من جمهور البحث يشتركون فى نادى رياضى، وان نسبة ممارسـة جمهـور البحث لاحـدى الالعاب الرياضية هى ٣٣٪ • وتتنوع هـذه الالعاب التى يمارسـها المبحوثين بين كـرة القدم ١ر٣٧٪ والسباحة ٣ر٣٣٪ وكرة السـلة ١ر١٨٪ والعاب القـوى ٣ر١١٪ ويشجع ٧ر٤٨٪ مـن جمهـور المبحوثين لعبـة كرة القـدم ويلاحظ فى جمهـور البحث أن تشجيع الجماعات الاسـلامية لهذه اللعبـة جـاء بنسبة ٣٠٪ فى مقابل ٥٧٪ مـن جمهـور الطـلاب • والشىءالجدير بالملاحظـة ان تشجيع جمهـور البحث لم يكن اساسا للفرق التقليدية بل جاء للاتحاد الاسكندرى بنسبة ٩ر٥٧٪ يلى ذلك الاهلى ٦ر٢٤٪ فالزمالك ٤ر١٧٪ ، وربما يفسر ذلك بأن معظم مفردات عينـة البحث من الاسـكندرية ويفسـر جمهـور عينـة البحث التعصـب لفريـق معين بـأن ذلك راجـع اسـاسـا لان اجهـزة الاعـلام هى التى تشجع على كده ٧ر٣٨٪ ، أو أن ده حاجة طبيعية للفراغ الفكرى لدى الناس

٣٠٪ أو أن هذا راجع الى أن الناس عندها طاقة والكرة تفرغ هذه الطاقة ٢٣٫٥٪ أو بسبب الفراغ السياسى لدى الناس ٧٫٧٪ • ويواظب ٦٨٫٧٪ من جمهور البحث على مشاهدة مباريات كرة القدم للفريق القومى ويرجع اسباب عدم مشاهدة البعض لهذه المباريات لاسباب تتعلق بعدم مشاهدة كرة القدم ٣٨٫٤٪ أو لعدم الرغبة فى مشاهدة الفريق القومى مغلوب ٣٢٫٨٪أو بسبب ان مشاهدة المباريات يثير الاعصاب ٢٨٫٨٪ •

(د) المظهر المظهرى للتطرف :

كما اشرنا بأن التطرف مفهوم عام له مدلولاته سواء فى المجال الدينى أو السياسى او الرياضى وأيضا المظهرى • فاثارة الرأى العام بملابس غير مألوفة يعد تطرفا بالنسبة لغالبية الناس وخروج الفتاة بملابس معينة أى كانت يعد أيضا تطرفا عن ماهو مألوف على اية حال حاولنا ان نرصد اتجاهات جمهور البحث حول بعض المظاهر التى تميز التطرف المظهرى وجاءت الاستجابات لتبين ان ٩٦٫٧٪ يعتبرون ارتداء الملابس الغريبة ، وأن مجلات الموضة ٧٤٫٥٪ أمور غير مناسبة ، ويلاحظ اجماع طلاب الجماعة الاسلامية على هذا الاتجاه ومن ناحية اخرى نجد ٨٠٫٧٪ من جمهور البحث تعد لبس الحجاب واطلاق اللحى ٤٤٫٧٪ ولبس الجلاليب ٤٧٫٥٪ من الامور المناسبة • ويلاحظ ايضا اجماع طلاب الجماعات الاسلامية على هذه الامور ، ويلاحظ فى جمهور البحث انسبة ٢٩٪ فقط هى التى اعتبرت لبس النقاب من الامور المقبولة ويرفض هذا الاتجاه ٢٠٪ من طلاب الجماعة الاسلامية •

ويرى ٧٢٫٥٪ من جمهور البحث أن مسلك الفتاة المتبرجة يعتبر منافيا للدين فى حين يرى ٣٢٫٥٪ أن هذا امر شخصى • ونلاحظ ايضا اجماع طلاب الجماعات الاسلامية على رفض تبرج المرأة (رفضا تاما) ويرجع جمهور البحث تبرج الفتاة الى الرغبة فى التقليد ٣٢٫١٪ او عدم الاهتمام بالدين ١٣٫٧٪ او بسبب الانفتاح على الغرب ١٧٫٥٪ او عدم انتشار الوعى بالزى الاسلامى ١٣٫٧٪ او بسبب وسائل الاعلام ١١٫٦٪ ، أو أن ما يحدث هو أمر طبيعى بنسبة ٩٫٪ • ويقترح جمهور البحث عدة وسائل لتعديل

سلوك الفتاة المتبرجة فهناك من يقترح حث الاهل ٣ر٤٧٪ وهناك من يقترح التصدى لها ٧ر٢٩٪ ويقترح فريق ثالث الامتناع على معاملتها أو مقاطعتها ٣ر١٦٪ من جمهور البحث . وفى مقابل ذلك نجد أن ٥ر٨٧٪ من جمهور البحث يوافقون على لبس الفتاة المسلمة للحجاب للحجاب وهناك اجماع من طلاب الجماعات الاسلامية على ذلك فى مقابل ٨٤٪ من جمهور الطلاب . وتعتبر نفس النسبة فى المهن الاخرى وفى الفئات العمرية المختلفة . ويرجع جمهور البحث اسباب لبس الفتاة للحجاب الى ان هذا هو الزى الاسلامى ٦ر٤٧٪ أو أن هذه الملابس تساعد على غرس القيم الدينية ٢٧٪ أو ان هذا الزى هو صورة من صور الاحترام وذلك بنسبة ٢ر٢٥٪ . اما الذين يرفضون لبس الفتاة للحجاب ٥ر١٢٪ فان هذا يرجع بالنسبة لهم الى ان الحجاب ليس من الدين ٤ر٤٧٪ او ان الحجاب يعكس التطرف الدينى ٩ر٣٢٪ او ان لبس الحجاب تجذب الانتباه ٥ر١٩٪ .

ويرى ٧ر٥١٪ من جمهور البحث بأنه لا يجب مقاطعة المنتجات والتكنولوجية الغربية فى حين نجد أن النسبة الباقية تطلب المقاطعة لاسباب تتعلق بان استخدام هذه التكنولوجيا الغربية يضر بالصناعة الوطنية ٥ر٢٣٪ أو لانها غالية الثمن بنسبة ٢ر١٧٪ او لانها ضد الدين بنسبة ٥ر٦٪ . والملاحظ ان ٦٠٪ من طلاب الجماعات الاسلامية ترى انه لا يجب مقاطعة المنتجات والتكنولوجيا الغربية ويرجع جمهور البحث سبب انتشار الإدمان بين الشباب الى سوء التربية ٨ر٢٢٪ أو الى اسباب نفسية ١ر١٨٪ أو لوجود فراغ دينى ٧ر١٧٪ او بسبب عوامل اقتصادية ٦ر١٦٪ أو بسبب الانفتاح الاقتصادى ٩ر٧٪ أو بسبب كثرة اوقات الفراغ عند الشباب ٤ر٧٪ او بسبب وسائل الاعلام ٢ر٥٪ واخيرا بسبب السفر الى الخارج ٤٪ .

(و) اقتراحات لمواجهة مشكلة التطرف :

يرى جمهور البحث انالاسرة يمكن ان تقوم بدور رئيسى فى مواجهة مشكلة التطرف وينمو دور الاسرة كما يتصوره جمهور البحث فى الارشاد والوعى الدينى ٨ر٤٩٪ او مراقبة الابناء ٣٠٪ او شغل اوقات الفراغ للابناء

١ر٢٠٪ ، اما عن دور الدولة فى مواجهة هذه المشكلة فينحصر فى الارشاد والوعى الدينى ٢ر٣٩٪أو فى عقد الندوات الدينية٧ر٣٧٪ أو فى شغل اوقات الفراغ عند الشباب ٩ر٢٢٪ ٠

ويرى جمهور البحث بان وسائل الاعلام يمكن ان تقوم بدور فى مواجهة التطرف من حيث زيادة البرامج الدينية ٨ر٤٢٪ أو تحرى الحقيقة فى كل الامور ٣ر٣٧٪ ، أو فى حث الشباب على الانتماء للوطن ٧ر٢٩٪ ٠

الخاتمـــــة

حاولنا فى هـذه الدراسـة تحليل العوامل التاريخية والبنائية التى تؤدى الى ظاهرة «التطرف» . وبالرغم من أن «التطرف» ظاهرة عامة الا ان لهذه الظاهرة «خصوصية» خاصـة فى المجتمع المصرى ، نظرا لعمق الدافع الدينى فى نفوس الغالبية الساحقة من المصريين ، كذلك فان اهمية هذه الظاهرة ترجع الى اشكالية الصراع بين الدولة واجهزتها والجماعات الدينية ابتداء من الاخوان المسلمين الى تنظيم الجهاد الاسلامى .

ولقد بينا وجوب النظرة الموضوعية نحو ظاهرة التطرف . فالتطرف يحكم عليه من خلال المحيط الذى يعيش فيه الفرد . فالوسط الاجتماعى الذى ينشأ ويحيا فيه الفرد هو الذى يحكم سلوكه وتدينه اما بالتطرف أو التوسط أو التسيب ، وهكذا . كذلك بينا ان التطرف لا يعنى التمسك ببعض الاراء الفقهية المتشددة ، ولكن التطرف اتجاه عقلى يجعل الفرد يؤمن بان افكاره واعتقاداته هى الصحيحة ، ومن ثم يتشدد فى الحكم على الاخرين اما باتباعها ا والحكم عليهم بالكفر . وما اردنا ان نؤكده ان مفهوم التطرف مفهوم نسبى يختلف من مجتمع لاخر ومن وقت لاخر وهو مفهوم عام له مدلولاته السياسية والمظهرية والدينية والاستهلاكية ... الخ .

وظاهرة التطرف ظاهرة مركبـة واسبابها كثيرة ومتنوعة ومتداخلة فمنها ما هو دينى ومنها ما هو سياسى ومنها ما هو اجتماعى ومنها ماهو اقتصادى ومنها ماهو نفسى . وقد يكون سبب التطرف ذاتى بحت ـ أى يرجع الى شخصية الفرد ذاته وتنشئته الاجتماعية وعلاقاته داخل اسرته وأصـدقائه . وقد ترجـع الاسباب الى المجتمع الذى يعيش فيه الفرد وما يحمله من تناقض قيمى ، او تنـاقض صـارخ بين «الواقع» و «المثـال» والتفاوت الاجتماعى والاقتصـادى وعـدم وضـوح الرؤية المستقبلية أمـام

الشباب • ما أردنا ان نؤكده فى هـذه الدراسـة الاخـذ بالنظرة المتكاملة الشمولية •

ونظرا لارتباط ظاهرة «التطرف بالعنف» فلقد بينا ان التطرف هـو وصف من قبل الجماعة الاجتماعية لتنظيم او تيار أو شخص معين • وبنائيا ينسب التطرف الى حجم المتغيرات الهيكلية التى يطالب التنظيم الجديد بتغيرها • وقد يلجأ هذا التنظيم«المتطرف»الى استخدام «العنف» كأسلوب لتحقيق اهدافه المنشودة وقد يكون هناك علاقات طردية بينها (مثل ظهور التنظيمات البيئيـة المتطرفة وما اتبعها من ظهـور مدعى النبـوة وحالات الاغتصاب وخطف الاناث وقاتل أبويه وحادث قتل الزوجة للزوج والابن وحوادث العنف فى الامن المركزى وحوادث تحطيم نوادى الفيديو بالقاهرة) •

وفى محاولتنا البحث فى وعاء السببية لهذه الظاهرة ، فان الدراسـة الراهنة اثارت السؤال الرئيسى لماذا الحركة الدينية ولماذا الغلو فيها ؟ ولقد بينـا ان «التطرف» هو حادث اجتمـاعى فى اوقات تاريخية خاصـة وفى مجتمعات معينة • فلقد ظهر التطرف الدينى كرد فعل «للتطرف العلمانى» • فما يسمى بتطرف دينى الان من نتيجة لما ظهر فى اواخر العشرينات من هذا القرن على أيـدى الاخـوان المسلمين والتى برزت الى الوجـود للغلو فى «التغريب» ، فجاءت هذه الحركة لتحديد الهوية الحضارية لمصر ، وتعمل على حـل الصراع الوطنى الذى ظهـر ممتزجا ومرتبطا بالصراع الوطنى السياسى • وهكذا ارتبطت الدعوة الى الاصلاح والهوية بالمشكلة السياسية • وهذا برر لقادةهذه الحركات استخدام القوة أو العنف السياسى لتحقيق التحرر الوطنى والتحرر الفكرى والعودة الى التراث والهوية الاسلامية فالصراع كان بين طرفى نقيض الطرف الاول «الوافـد ـ الغازى» والطرف الاخـر هو «المتوارث الوطنى» • ولهذا ظهرت الحركة الاسلامية فى مصر كرد فعل لهيمنة التغريب •

ولقد بينت الدراسة الاسباب الاتية التى ادت الى ظهور هذه الظاهرة:

١ ـ ان التفاوت والحرمان الاقتصادى قد خلق احساسا بالظلم وتحيز

الدولة ضد الفقراء . بل ان الامر وصل فى مرحلة الانفتاح الاقتصادى ان جهاز الدولة ذاته صار أداة فى يد المستثمرين ، ولم يتم الربط بين الحقوق الممنوحة للمستثمرين وبين قضايا توزيع الثروة . هذا التباين فى الظروف قد ارتبط بشكل مباشر بظهور التطرف والعنف بمعناه العام .. لقد ظهر بشكل واضح فى مصر وفى اواسط السبعينات بسبب الانقلاب السياسى والاجتماعى الذى شهدته مصر فى تلك الفترة مقترنا بسياسة الانفتاح . فلم يجد هؤلاء الشباب من محدودى الدخل والذين ينتمى اكثرهم الى اصول ريفية محافظة أى «دور» يؤدونه او اى مستقبل ينشدونه . ومن ثم عجزوا عن التفاعل مع دوافع الانفتاح . فانكروا وانسحبوا .

٢ ـ ان ظاهرة هجرة العديد من ابناء المجتمع المصرى للعمل فى الدول النفطية قد اثر بشكل مباشر فى ظهور «الفكر الدينى» «المصدر» لمصر بعد اعادة تشكيله فى هذه المجتمعات النفطية .. ومن ناحية اخرى ، فان العمل فى الدول النفطية قد احدث العديد من الاختلالات الاجتماعية على مستوى الاسرة وعلى المستوى الاجتماعى مما ابرز على السطح مظاهر عديدة وجديدة للتطرف كظواهر العزلة والاغتصاب وجرائم المال العام ..

ولقد احدث سفر الزوج للعمل فى الدول النفطية الى ظاهرة «تانيث» الاسرة واصبحت المرأة رجل البيت والمتصرفة فى شئونه .

٣ ـ يلاحظ انه نظرا للحرمان الاقتصادى فان هناك من قبل الدولة عملية تهميش سياسى بمعنى اخر ، عدم وجود احزاب سياسية شعبية تعبر عن المطالب والحاجات الاجتماعية والاقتصادية . ولهذا تلجأ جموع الشباب الى التنظيم الدينى . فوجود الاحزاب والجماعات الوسيطة من شانه ان تعمل على تجميع الشباب حول اهدافها ، ومن ثم الابتعاد عن وسيلة العنف السياسى واحيانا المادى والجسدى والذى يصل الى حد الارهاب ..

٤ ـ ان مظاهر العنف الذى تحاربه اجهزة اية دولة ضد المواطنين

يؤدى الى حرمان المواطنين من حق التعبير عن «عدم الرضا» فى الوقت الذى تمارس فيه الدولة كافة صور العنف السياسى والاجتماعى . (أى مواطن يحاول التعبير عن رأيه سواء فى مظاهرات او صور الاحتجاجات) . كل هذا يساعد عن ظهور التنظيمات السرية ويساعد على انتشار موجة الارهاب وعمليات التخريب المتعمد والمنظم . يضاف الى ذلك صور أخرى من العنف غير المباشر كالامتناع عن العمل والاضطرابات والسلبية وعدم المبالاة . فالدولة لا يجب أن تكون طرفا ضد أى صورة من صور الاعتراض .

ان لجوء الدولة لاستخدام سلطات الاكراه السياسى يخلق جو التوتر والتطرف والعنف . وفى هذا المعنى يقول فؤاد زكريا فى مقاله عن «ثورة يوليه والجماعات الاسلامية» «بأن نفس الفترات التى سادها التسلط الفردى المطلق واختفت فيها مظاهر الديمقراطية . كان الاسلوب الذى يتبعه انصار هذا النمط من الحكم قريبا كل القرب من الاساليب التى تتبعها الجماعات الدينية المتطرفة فى تفكيرها وتنظيمها . فقد كان القرار السياسى يصدر عن سلطة يستحيل معها الاعتراض عليها ، سلطة متعالية يتعين على المستويات الدينية اطاعتها بلا مناقشة . وكان الكثير من المسيطرين على اجهزة الاعلام ... ينظرون الى المعارضة السياسية كما لو كانت كفرا أو الحادا . وكانت كثيرا من الخلافات السياسية تحل بالقوة والعنف لا بالحوار والفهم والنقد المتبادل وكانت الطاعة هى اعظم الفضائل التى يراد من المواطن .. ان يتحلى بها...ولكن ألم تكن هذه هى بدورها سمات الحركة الدينية المتطرفة ؟ واذا تذكرنا ان اجيالا كاملة قد تربت ونشأت فى ظل هذه النظرة الخاصة الى العلاقة بين الحاكم والمحكوم تلك العلاقة التى لاينقصها الا أن تخلع عن الحاكم صفات الالوهية . فهل يحق لنا أن نستغرب من أن نجد اعدادا كبيرة من شباب هذا الجيل يلحق .. بركب الجماعات الدينية المتطرفة بعد كل موجة قمع تتعرض لها هذه الجماعات هل هناك ما يدعو الى الدهشة حين نرى الشباب الذى تربى على أن هناك حقيقة واحدة ورأيا واحدا لا يناقش ... يلتحق بجماعة دينية تقوم ممارستها على

اسس مماثلة مع فارق اساسى هو ان المطاع وصاحب الامر عندها هو خالق الكون بأكمله» .

٥ ـ ان فكر التطرف ـ خاصة فكر التكفير . قد نشأ اساسا فى السجون ودعمه الاجراءات القمعية والتعذيبية والتنكيلية التى كانت تقوم بها اجهزة الدولة كل هذا جعل شباب هذه السجون واتباعهم يكفرون بالمجتمع ويكفرونه .

٦ ـ ان الفكر المتطرف ينمو من جيل من الشباب الحائر يغلب عليه اليأس ولهذا يحاكم الواقع ويتهم المجتمع «بتجاهل» مطالبه . ولهذا فى هذه الظروف الضاغطة التى لا تتيح لهذا الشباب الامل فى الحاضر أو المستقبل ولهذا يلجأ هذا الشباب الى تجريم المجتمع وتكفيره ووصفه بالجاهلية . وازاء هذه الحيرة انقسم الشباب الى تيارات سياسية واجتماعية فهناك التيار الليبرالى او الغربى وهناك التيار الاسلامى وهناك التيار الماركسى.. فهذه الاتجاهات ما هى الا وسيلة فكرية لمجتمع الشباب حول اهدافهم وهى تصوره لصورة الحياة المنشودة سواء على المستوى السياسى أو الاجتماعى أو الاخلاقى .

٧ ـ ان الاسباب البنائية التى ادت الى ظهور صور التطرف وارتباطه بالعنف السياسى هو هزيمة ١٩٦٧ . فالهزيمة العسكرية ومن ثم السياسية للفكر الناصرى قد اثبتت الفشل«للفكر الوافد»ولم يبقى الا الحل الاسلامى. ولقد استغل القادة الدينيين هزيمة ١٩٦٧ لبيان مشكلة الصراع التاريخى القائم بين الوافد والمتوارث فى الهوية الحضارية . ويلاحظ فؤاد زكريا فى مقالته عن «ثورة يوليو والجماعات الاسلامية» «ان الانتشار الهائل لهذه الحركات ... هو تعبير صريح عن اكتمال الهزيمة وعن تغلغلها فى نفوس الناس وعقولهم وليس رد فعل عليها او محاولة لازالة آثارها . تنوع الفكر الذى عملت على نشره هذه الحركات يثبت بوضوح كامل ان الانسان الذى يتناولها لا يفعل ذلك الا أنه مهزوم من الداخل .. فمثل هذا الانسان لايجهد

عقله ولا يشحذ فكره وانما يتلقى من قادته أو أمرائه اجابات سهلة مباشرة عن أى سؤال يطرأ له» .

لقد هيأت فترة الحكم الفردى على هذا . لقد تعود الناس على السمع والطاعة ان يتركوا لغيرهم اتخاذ القرار «واصبح من طبائع الاشياء فى نظرهم ان يكون هناك مصدر خارجى هو الذى تأتى منه الأسئلة والاجابات عن كافة الاسئلة والحلول لكل المشاكل» .. فاذ لم يكن مطلوبا من الفرد ان يسهم بفكره واجتهاده فى اتخاذ اى قرار حاسم واذا كان عليه ان يتلقى جميع الاوامر من مصدر اعلى منه أليس الاجدى به ان يتلقاها ممن ينسبونها الى الوحى الالهى بدلا من ان يتلقاها من حاكم وفى نهاية المطاف انسان فان ؟ ....

هكذا عملت سنوات طويلة من الحكم السلطوى اللاديموقراطى على تمهيد الارض وتهيئتها ثم جاءت الهزيمة فدفعت الشعوب العجز وانعدام الحيلة الى اقصى مداه واصبح فى امكان ابسط داعية ان يخطب فى الناس بصوت حماسى وعبارات طنانة فارغة من المضمون لكى يلتف حوله على الفور عشرات الالوف .

ان التصدى لهذه المشكلة لا يمكن ان يكون بالمعالجة السطحية والمتمثل فى النظر الى هذه المشكلة على انها مشكلة «قلة منحرفة» و «ان أمور الشباب المصرى بخير» ، كذلك لا يكون التصدى للمشكلة بالتطرف فى تصوير التطرف فلا يبالغ فى تصوير هذا التطرف على انه الخطر الذى سوف يطيح لكل من يقف امام حركته ، ان التصدى لهذه المشكلة لابد من ان تكون من خلال سياسة اجتماعية شاملة للشباب تحقق لهم حرية التعبير بالاضافة الى العدالة الاجتماعيـة فى توزيع الثروة القومية ان ما تحتاجه هذه السياسة الاجتماعية الجديدة هو :

١ ـ التأصيل الفكرى والملاحظ ان هناك ثلاثة اتجاهات فى التيار

الاسلامى الفريق الاول وهم علماء الدين يقدمون تفسيرات محافظة للشريعة الاسـلامية الا ان تفسيراتهم لا ترضى جمـوع الشباب الذى ينـادى افراده بالتطبيق الفورى للشريعـة ، الفريق الثانى الذى نصبوا أنفسهم فقهـاء ثوريون والذين أباحوا لانفسهم تقديم تفسيرات انقلابية للشريعة الاسلامية تركز على جاهلية المجتمع وعلى فساد النظام وعلى شرعية الخروج عليها ، والفريق الثالث هو الذى يقف موقفا معتدلا يحاول الدعوة الى تطبيق الاسلام ويؤكد على تربية الفرد وتنقية المجتمع •

ويقول السيد يسن فى مقالته «عـن الفكر السياسى ومسئولية الابداع الفكرى» انه من الخطأ وليس من الانصـاف او الحكمة «أن نترك فصيلا صغيرا من مثقفينا الاسلاميين يقوم بالعبء وحده فى سياق لا يتاح لهم فيه أن يظهروا بوجوههم الحقيقية» ، فالحاجة ، اذا ، ماسة الى تاصيل فكرى وهذا هو «المخرج الوحيد من الحلقة المفرغة التى تدور فيها منذ سنوات والتى جعلت العلمانيين يظهرون وكأنهم يعـادون الدينيين والتى دفعت بالدينيين الى الصـدام الفكرى مع خصومهم • ذلك هو الضمان الا يترك تراثنا الاسلامى الاصيل نهبا لتفسيرات جامدة متخلفة أو لنظريات انقلابية متطرفة أو لدعوات ناقضة تصبح طالبة التغير وليس لديها بديل مدروس • وقد يكون هذا هو الطريق الى التاصيل الفكرى الذى نسعى اليه منذ بداية احتكاك الفكر العربى بالفكر الاوربى الحديث» •

٢ ــ الدعوة للحوار • من الخطأ إن نتحدث عن جموع الشباب وكأنهم كتلة واحدة صماء يجمعها التجانس الفكرى والسياسى • والحق ان هناك مجموعة من التجمعات الشبابية المتعددة يفرق بينها الانتماءات الايدلوجية والتى غالبا ما تكون متعارضة فبعض الشباب يتميز بعدم المبالاة والسلبية والعزوف عن المشـاركة السياسية • والبعض الاخر منهم يعتقـد فى بعض المثاليات المجردة والتى تتحول تدريجيـا لتصبح أداة نقـدية لكل ظواهر المجتمع وهناك الاتجاه الذى يغلب على بعض فئات الشباب وهو الاتجاه الغربى من حيث تقليد الشباب الغربى فى ثقافته الفرعية من ملبس وشكل

خارجى . واخيرا فان هناك الفئات الكادحة من الشباب والتى تعانى من المشكلات الاجتماعية والتى من اهمها ازمــة الاسـكان والزواج والاجــور المنخفضة . فالحوار مع هذه التجمعات الشبابية قد يكشف الكثير عن الافكار التى تبدو غامضة . ولهذا يعتبر الحوار كما يذهب فؤاد زكريا فى مقالته «دعوة الى الحوار فائدة كبرى»فى اخراج هؤلاء الشباب ذوى النوايا الطيبة من سجن اللصــوص والاقتباسات والاستشهادات الى رحابة الفكر العقلى وسماحته فهو يفتح امامهم آفاقا جديدة لم يكن مسموحا لهم داخل جماعاتهم بالاقتراب منها ويعينهم على استخدام ملكة العقل» . كل هذا يساعد على تجنب التعميم دون إدراك الفروق الجسيمة بين فئات الشباب واختلافاتهم الايدلوجية .

٣ ـ من الخطأ الجسيم النظر الى التطرف وما يرتبط به من عنف من خلال النظرة الامنية والتى تركز على انها ظاهرة وافدة الينا من الخارج أو أن هناك عنصرا خارجيا وراءها ، والحق أن هذه الظاهرة لا تفسر الا من الداخل كما يذهب سعدالدين ابراهيم فى كتابه **مصر تراجع نفسها** الى أن الظاهرة «انتاج محلى وما لم نتعامل معها على هذا الاساس سنكون كمن يحرث فى البحر فالغالبية الساحقة من الشباب المنخرط فى الجماعات الدينية المتطرفة هم مصريون ومن صلب الطبقات الوسطى ومن طلبــة وخريجى الجامعات ...

لقد وفدت على مصر على مر العصور افكار ومعتقدات وممارسات .. ولكن بعض هذه الافكار والمعتقدات والممارسات يتم لفظها او رفضها بواسطة الجسم الاجتماعى المصرى ، وبعضها الاخر يجد تربة او مناخا مواتيا ينمو وينتشر . العبرة ـ اذن ـ لمن يريد ان يحتوى ظاهرة العنف الدينى هو أن يدرك العوامل الهيكلية الدينية التى تجعل المناخ والتربة مواتيين لنمو هذه الظاهرة وان يتعامل مع هذه الظاهرة من جذورها» (المرجع السابق ص ٣٢:٢٨) ان التحليل العلمى لهذه الظاهرة هو الذى يحدد العوامل الداخلية سواء البنائية أو التاريخية التى تساعد على بروز هذه الظاهرة والتطرف مازال قائما فى اغوار عقول وقلوب كثير من الشباب لا لشىء الا ان

الاسباب التى تدعو اليه مازالت قائمة ٠ ان هذه التنظيمات التى تحمل لواء التطرف لها موقفا شديد الاتساق تستطيع بمقدماتها ان تحيط خيوطها على ضحاياها من الشباب الحالى ٠ وما لم يبدأ التعامل النفسى والفكرى والاجتماعى والاقتصادى والسياسى مع الاسباب التى ادت الى وجودها ، فان دائرة نفوذها سوف تتسع «ولا تلبث فوهة البركان ان ترسل الحممعلى اصحابها وعلى الناس» ٠

تـم بحمـد الله